فَرِيضَةٌ عادِلَةٌ .. عادَةٌ مُحَكَّمَةٌ .. سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ:

الحِجَابُ في مِيزانِ الشَّرْعِ

«ثلاثون سؤالا وجوابًا»

تأليف

أسامة بن محمد بدوي البَرَّاجة

(يحتوي هذا الكتاب على ردٍّ وافٍ شافٍ لمن أنكر النقاب، أو شكَّكَ في شرعيته، أو قلَّل من شأنه)

(الطَّبعة الأولى)

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٢٦٠٢٦ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: ٢ - ٠٣٧ - ٧٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مكتبة البلد الأمين:

تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤

دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

مقدمة

الحمد لله الذي مَنَّ على أمَّة الإسلام بكونها خاتم الأمم، وجعلها أمَّة وسطًا قوَّامين بالقسط، شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، لا يتَّبعون الهوىٰ، ولا يَلوُون النصوص أو يُعرِضوا عنها(١).

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ الذي جعل الفوز العظيم في تقواه جلَّ وعلا، وفي القول السديد الموافق لشرعه الحكيم من القرآن الكريم وسنة نبيه الأمين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه القائل: { **لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** }(٣)، مع أن هذا لا يمكن أن يحدث أبدًا، لأن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا خير نساء العالمين، وأكملهن، فلم يكمل من النساء إلا أربع هن:

١- الصدِّيقة مريم بنت عمران (أمُّ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

(٣) إشارة إلى حديث المرأة المخزومية التي سرقت فشفع لها أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أتشفع في حدٍّ من حدود الله}.

أخرجه البخاري: ك الحدود، ب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ح (٦٧٨٧)، ومسلم: ك: الحدود، ب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ح (١٦٨٨)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

٢- آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣- أم المؤمنين **خديجة** بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤- فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [١]، وبعد:

{ فَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّين }[٢]: كلمة قالها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، تهدي الحيران، وتُوقِظ الغفلان. يعلو بها الحقُّ ويزدهر، ويُدحَض الباطل ويَنحسر، ـ ليتعلَّم الجاهل، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا.

تحذير نبوي غالٍ ونفيس يحذِّرنا فيه من الغُلُوِّ، وخصَّ منه الغُلُوَّ في الدِّين.

وهذا الدِّين وَسَطٌ بين طرفين هما: المُغالي فيه المتنطِّع بما ليس منه، والمُفَرِّط فيه المتهاوِن في أحكامه وفي أداء الحقوق والواجبات.

وكل ما جاء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وصحيح سنة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَمَلِ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المهاجرين والأنصار، هو الحقُّ الوسط العدل اليسر الموافق للفطرة الربانيَّة، والمناسب للبشريَّة، الملائم لمصالحها ولسعادتها.

والمتطرِّف هو المخالف لذلك الحقِّ، سواء بالترك والإهمال، أو المتشدِّد ببدعة أو هوًى يقصد بذلك المبالغة في التعبُّد والتنسُّك.

والحقُّ هو ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك، والحقُّ هو ما وافق الحقَّ جلَّ وعلا وإن قلَّ تابعوه أو كثر مخالفوه، والحقُّ هو ما قاله الحقُّ سبحانه على مراده جلَّ

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥/٣٩٥) بلفظ: {كمل من الرجال كثير.....}، وأصله في الصحيحين: البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد ح (١٨٥١)، وابن ماجه: ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، ح (٣٠٢٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعلا من غير تأويل فاسد، أو هوًى متبَّع، أو ليٍّ للنصوص.

وسوف نحاول بعون الله وتوفيقه في هذه الرسالة توضيح: ماهية الحجاب الشرعي الذي أمر الله تعالى به المسلمات، وهل في غطاء وجه المرأة تشدُّدٌ وغلوٌّ، أم أن التشدد على الحقيقة إنما هو في التَّبرُّج والسُّفور، سعيًا في حلِّ الخلاف والنزاع، والله عز وجل قال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

وبيان ذلك كله من خلال السؤال والجواب.. وإن أول مَن علَّمنا تلقي العلم عن طريق السؤال والجواب هو جبريل عليه السلام عندما جاء في صورة رجل، وسأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن الساعة وأشراطها، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم في كل ذلك يجيبه، والصحابة رضي الله عنهم حوله يستمعون.

عسى الله أن يهدينا إلى ما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنه، فإنه سبحانه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعه. وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللهم لا تجعله مُلْتَبِسًا علينا فنضلَّ، واجعلنا للمتقين إمامًا.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران]. (اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنا علَى دِينِكَ).

كتبه

أسامة بن محمد بدوي البراجة



النقاب بجامعة الأزهر والمدن الجامعيَّة

(القاهرة - من علا مصطفى عامر)

في محاولة لوضع حدٍّ للتصاعد المستمرِّ في أزمة اعتراض شيخ الأزهر على ارتداء تلميذة بالأزهر النقاب داخل فصلها أصدر المجلس الأعلى للأزهر - عقب جلسة طارئة دعا إليها الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي أمس ـ عدة قرارات لتنظيم عمليَّة ارتداء النقاب داخل المؤسسة التعليميَّة والأزهريَّة جاء في مقدمتها منع الطالبات والمدرسات من ارتداء النقاب داخل الفصول الدراسيَّة الخاصة بالبنات، والتي يقوم بالتدريس فيها المدرِّسات فقط، وذلك لجميع المراحل الابتدائيَّة والإعداديَّة والثانويَّة، ويسري القرار نفسه على المدن الجامعيَّة الخاصة بالطالبات.

كما تقرَّر منع الطالبات في جامعة الأزهر من ارتداء النقاب في قاعات الامتحان الخاصة بالفتيات، على أن تكون أعمال المراقبة مقصورة على النساء.

وجاء في بيان المجلس الأعلى أن الأزهر ليس ضد ارتداء المرأة النقاب في حياتها الشخصيَّة، أو في الشارع، أو في تعاملاتها اليوميَّة، وعملها.. لكنه ضد استعمال هذا الحقِّ في غير موضعه.

[جريدة الأهرام في ٢٠/ ١٠/ ١٤٣٠ هـ، ٩/ ١٠/ ٢٠٠٩م]



وقفة
أقوال مأثورة

• يتحلَّىٰ أغلب أعداء الحجاب بخاصية «الجهل المركب» فهم ليسوا فقط جهَّالًا، بل يجهلون أيضًا أنهم جهَّال.

• ما خان أمين قط، ولكن ائتمن غير أمين فخان، وما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم فضلّ وأضل.

• قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بكىٰ ربيعة يومًا بكاءًا شديدًا، فقيل له: «مصيبة نزلت بك»؟ قال: «لا، ولكن أبكاني أنه استُفتِيَ مَن لا علم له»، وظهر في الإسلام أمر عظيم (١).

قال محمد بن رشد: إنما أبكىٰ ربيعة من استُفتِي ولا علم له، لأن ذلك مصيبة في الدين، وهي أعظم من المصيبة في المال.

• قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

• إن الذي يتنكَّر للإسلام، ويسعىٰ في أذيَّة أهله، وصدِّهم عن دين ربهم... إنه لا يحطِّم الصخر، ولا يجفِّف البحر... ولكنه يمشي علىٰ رأسه في القبر، فيموت هو بأوزاره، ويبقىٰ الإسلام شامخًا بشرائعه وأحكامه وأتباعه.

---

(١) أورده أبو الوليد القرطبي ت: ٤٥٠ هـ في البيان والتحصيل (١٧/ ١١).

تذكَّر دائمًا أنَّ:

- (مَنْ لَمْ يَسْمَعِ الخِلافَ فلا تَعُدَّهُ عالِمًا).
- (هذا العِلْمَ دِينٌ، فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ).
- (هذا العِلْمَ يَحْتاجُ إلَى نَقْلٍ مُصَدَّقٍ، وَنَظَرٍ مُحَقَّقٍ).

السؤال الأول: ما معنى عبادة الهَوَى في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الجاثية:٢٣] ؟

الجواب: نقول - وبالله التوفيق -:

معنى العبادة:

قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ وهذا يعني أنه عبَدَ الهَوَىٰ حتىٰ صار الهَوَىٰ إلهًا له.

لذلك لا بُدَّ من توضيح معنىٰ العبادة، ومعنىٰ الهَوَىٰ، حتىٰ يتَّضح لنا متىٰ تكون عبادة الهَوَىٰ إلهًا يُعْبَدُ من دون الله ﷻ.

العبادة: « **اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة** ».

فهي إذن تجمع أربعة أشياء: (قول ظاهر باللسان، ونيَّة في سريرة الإنسان، وعمل ظاهر بالأركان والجوارح، وعمل باطن من أعمال القلوب).

أمثلة للقسم الأول:

قول ظاهر باللسان: كذكر الله تعالىٰ من تسبيح وتهليل وتمجيد وثناء علىٰ الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ، وصلاة علىٰ النَّبيِّ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستغفار واسترجاع وحَوْقَلَةٍ، وحَمْدٍ وشُكْرٍ، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتقديم النصح، وتعليم الناس الخير، وأجلُّ ذلك العناية بكتاب الله ﷻ تلاوة وتدبُّرًا وفهمًا، وعملًا وجهادًا.

أمثلة للقسم الثاني:

نيَّة في سريرة الإنسان: كتمنِّي الخير وهو لا يملكه.كما في حديث: { **مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ..** } وذكر منهم: { **وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ**

يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ }[١].

أمثلة القسم الثالث:

عمل ظاهر بالأركان والجوارح: وهذا يشمل جميع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وصدقة وحجٍّ وجهاد، وكذلك المباحات من طعام وشراب ونكاح ونوم وسعي على المعاش، إن كانت إرادته في هذه الأعمال خاضعة لمنهج الله تعالى، بعيدة عن المحرَّمات، ويدخل في ذلك أيضًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحقِّ، والشهادة لله، وفعل الخيرات.

أمثلة القسم الرابع:

عمل باطن من أعمال القلوب: وهذا أهم هذه الأقسام وأجلُّها، لأن الأعمال كلها متبوعة وخاضعة لأوامره، فهو الباعث على نهضته، والمحفِّز على همته، وهذا القسم يشمل: النيَّة والمحبة والرجاء والخشوع والإنابة والتوكل واليقين والتقوى، وما شابه ذلك.

والنيَّة: تنقسم خمسة أقسام هي: (**الهاجس، والخاطر، وحديث النفس، والهمُّ، والعزيمة**).

وهذه الأقسام الخمسة تحدِّد معنى النيَّة، وقد حصر النَّبيُّ ﷺ الأعمال بها. في قوله: { **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** }[٢]، فجميع الأعمال يكون الحساب والجزاء عليها عند الله تبارك وتعالى حسب النيَّة، وهذا يتلاقى مع قوله

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٠٢٤)، وابن ماجه ك: الزهد، ب: النية، ح (٤٢٢٨) من حديث أبي كبشة الأنماري سعد بن عمرو رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) أخرجه البخاري ك: بدء الوحي، ب: كيف كان بدء الوحي... ح (١)، ومسلم ك: الإمارة، ب: قوله ﷺ: {إنما الأعمال بالنية} وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، ح (١٩٠٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ }(١).

لأن العمل يسبقه نيَّة، ويحتاج إلى همة وعزيمة أثناء العمل، وهما من لوازم النيَّة، وفي ختام العمل يحتاج إلى المحافظة على عمله من الرياء والعُجب، وهما من تمام النيَّة وصلاحها.

• **والنيَّة محلها القلب:** وتعلُّم النيَّة لا يقل أهميَّة عن العمل نفسه، فكم من عمل عظيم حقَّرته النيَّة، وكم من عمل حقير عظَّمته النيَّة.

• **علامات قبول العمل:** ويعرف ذلك من خلال سؤالين:

الأول: الإخلاص (القصد): أي: لمن أردتَ التوجُّه بهذا العمل؟

والثاني: الاتِّباع: أي: كيف عَمِلْتَ هذا العمل، وَوَفْقَ أيِّ منهج أو طريقة أدَّيت بها هذا العمل؟

والسؤال الأول يعني: الإخلاص، وهو الشرط الأول في قبول النيَّة وتحويل العمل به إلى سجلِّ الحسنات والأعمال الصالحة.

فلا بُدَّ لقبول العمل عند الله تعالى أن يفعله العبد خالصًا لوجه الله تعالى يبتغي به مرضاته ورضاه، ولا يرى غيره فيه، وليس لغيره فيه نصيب من حبِّ تطلُّع العبد في عمله لثناء الناس أو كسب حبِّهم وودِّهم بهذا العمل، أو لأجل شهرة أو مادة أو منصب يسعى إليه أو يفعله لواسطة بينه وبين الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾ **[البينة:٥].**

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: { **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: القدر، ب: العمل بالخواتيم، ح (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }(١).

فالعبادة المقبولة لا بُدَّ أن يسبقها نيَّةٌ خالِصةٌ لوجهه الكريم، يبتغي بها الأجر من الله وحده، ولا يتطلع إلا لنظر الله وحده حتى يصل بهذا الإخلاص إلى مرتبة الإحسان، وهي: { أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }(٢).

- **والإخلاص هو ثمرة العبادة المقبولة المعتدلة.**

والسؤال الثاني: يعني أن تكون العبادة بالكيفيَّة التي شرعها الله تعالى وارتضاها لعباده، وأرسل بها رسوله ليعلِّمها للناس من طريق الوحي. وهذا ملخص معنى كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله، محمد رسول الله**)، فلا إله إلا الله تعني الإخلاص «**إيَّاكَ أُرِيدُ**»، ومحمد رسول الله تعني الكيفيَّة والمتابعة «**بِما تُرِيدُ**».

فلا يَقبل الله تعالى أي عبادة من الناس إلا بشرطين: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة والموافقة لرسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على نمط ما نقله وطبَّقه أصحابه من المهاجرين والأنصار، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة].

ويلحَق بهذين الشرطين في قبول النيَّة (الإخلاص والمتابعة) شرط كمال ثالث، وهو العزيمة الصادقة والهمَّة العالية قبل فعل العبادة، وهذا الذي يفرِّق بين المؤمن والمنافق في العبادة.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الزهد والرقائق، ب: من أشرك في عمله غير الله، ح (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: سؤال جبريل عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان والإحسان، ح (٥٠)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح (٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال عنهم أيضًا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

وهذا الشرط: (**العزيمة الصادقة**) هو الذي يؤكِّد قبول النيَّة عند الله تعالىٰ، وإعطاء العبدِ ثوابَ العمل كاملًا بالنيَّة حتىٰ ولو لم يعملِ العَمَلَ، أو حال دون عمله حائِلٌ أو عائِقٌ.

• **مثال ذلك:** رجلٌ نوىٰ قيام الليل، وقيام الليل عبادة لا بُدَّ أن يتوفَّر فيها الإخلاص لله تعالىٰ، حيث لا يراه أحد، والناس نيام من حوله فلا رياء فيها، وهي عبادة موافقة للسنة وعمل الصحابة. إذن تحقق فيها شرطا القبول.

لكن هذا الرجلَ جاء بعد صلاة العشاء وسهَر في المباحات حتىٰ بعد منتصف الليل، ثم نام ولم يستيقظ لقيام الليل، ورجل آخر نوىٰ قيام الليل لكنه صلىٰ العشاء ثم نام بعدها مباشرة ولم يستيقظ لقيام الليل، مَن يُكْتَبُ له قيامُ الليل كاملًا؟

لا شكَّ أنه الرجل الثاني لتوفُّر الهمَّة والعزيمة الصادقة لديه، والدليل حرصه علىٰ النوم بعد العشاء مباشرة، فهذا الرجل يُكتَب في سجلِّ حسناته قيام الليل كاملًا.

• وهذه الهمَّة والعزيمة تُكتَبُ في الخير والشرِّ، أي في الحسنات والسيِّئات، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] ، وحبُّ إشاعة الفاحشة من أعمال القلوب، وفي حديث { مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ.. }، وذكر منهم: { وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْمًا، وَلَا مَالًا،

فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ }(١).

فهذا الرجل لم ينفق مالًا، لكن قوله باللسان يدلُّ على همَّته بالسوء؛ لذلك تُكْتَبُ عليه مع أنه لم يعملها.

• ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، **فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ }**(٢)، وهذا الحرص من عمل القلب، وهو دليل على نيِّته السوء، فدخل النار مع صاحبه مع أنه هو المقتول.

❁ ❁ ❁

والتوحيد محلُّه القلب، وهو من أهم أعمال القلوب، فالخضوع والاستسلام والمحبة لله تعالى، والخوف والوجل منه جلَّ وعلا، وخشيته والإنابة له، والرجاء، وتعلُّق القلب به لكشف الضرِّ وجلب النفع، في الرزق والأجل، والرضا بقضاء الله وقدره، والتوكُّل عليه، والشَّوق والإنابة له سبحانه، والذُّل والخضوع لله عَزَّ وَجَلَّ، والتقوى، والولاء له سبحانه وَلِدِينِهِ، والحبُّ والبغض، والطمأنينة والسَّكينة، كلُّ ذلك من أعمال القلوب.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾**﴾ [الشعراء].

أي بقلب خالٍ من الشرك والرياء والنفاق والكفر والجاهليَّة، وخالٍ من كل شُبْهَةٍ أو شَهْوَةٍ تخالِفُ أمرَ الله وخبرَه.

---

(١) سبق تخريجه، ص (٩).

(٢) أخرجه البخاري ك: الإيمان، ب: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فسماهم المؤمنين، ح (٣١)، ومسلم ك: الفتن، ب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فسلامة التوحيد في القلب هي التي تنفع المسلم يوم القيامة.

فالعبادة - كما ذكرنا - اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وذلك التعريف مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟**﴾ [الحج:٣٤] .وقوله تعالى: ﴿ **بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾**﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾**﴾ [الصافات]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾**﴾ [الأنعام].

فليست العبادة في الإسلام مقصورة على الصلاة والصيام والزكاة والحجِّ، لكنها شاملة لكل حركة في الحياة، حتى الأعمال والمباحات تكون عبادة، حتى الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ**﴾ [الأعراف:٣١]، ﴿**كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ**﴾ [الأعراف:١٦٠] .

فهذا أمرٌ من الله تعالى، وتنفيذ أوامر الله عبادة، وإذا تابعت الأمر وأَحطتَّهُ بالسنة النبويَّة المباركة فلم تأكل إلا بيمينك، وتأكل مما يليك، وتُسَمِّي الله قبل الأكل، وتأكل بثلاثة أصابع(١)، ولا تأكل حرامًا، تظل الملائكة تكتب لك حسنات، وأنت تأكل لاتِّباعك السنَّة النبويَّة، فإذا حَمِدتَ اللهَ تعالى بعد الأكل فُزت بمحبة الله تعالى، { **فإِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**

---

(١) أخرج مسلم عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا**»: ك: الأشربة، ب: استحباب لعق الأصابع والقصعة...، ح (٢٠٣٢).

أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا }(١).

فانظر طعامك من المباحات تسعد فيه بلذة الطعام وتقضي فيه شهوتك ويكون لك عبادة وحسنات، ومحبة الله تعالى.

وهكذا عَمَلُكَ وسعيُك على المعاش، وتحصيل العلوم النافعة وسهرك فيها، ونومك ويقظتك، حتى شهوتك تقضي وطرك وتأخذ عليها أجر.

كما في الحديث: { **وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ** }، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: { **أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ** }(٢).

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الذكر والدعاء والتوبة، ب: استحباب حمد الله، ح (٢٧٣٤)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم ك: الزكاة، ب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح (١٠٠٦)، عن أبي ذر جندب بن عبدالله الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

▪ والأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام:-

الأول فَرْضٌ: كالصيام والصلاة والزكاة والحج والصدقة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان فرضَ عَيْنٍ علىٰ كل مسلم كالصلوات الخمس، أو فرضَ كِفايَةٍ إن قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين، كالصلاة علىٰ الميت، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرض الكفاية إن تركه الجميع أثم الجميع بتركه.

والثاني مُباحٌ: كالطعام والشراب والنكاح، والسعي علىٰ المعاش، واللهو المباح شرعًا، والنوم، وما شابه ذلك مما أباحه المولىٰ عَجَّلَّ لعباده.

والثالث حَرامٌ: كالشرك والكفر، والنفاق، وأعمال الجاهليَّة، والقتل بغير حق، والزنا، والربا، والسحر، وعقوق الوالدَين، والفرار من الزحف، وشرب الخمور، والدخان، وادعاء علم الغيب والكهانة والتنجيم، وشهادة الزور والكذب، وطلب المدد من الأموات، وخلف الوعد، وضياع الأمانة، والفجور عند الخصام، وسائر ما نهىٰ الله ورسوله عنه.

• الطاعة والمعصية وسائر الأعمال (المباحات) تتغيَّر مسمَّياتها بالنيَّة، فأعمال الطاعة والأعمال المباحة يكون كل منهما معصية بالنيَّة إذا صرفت لغير الله تعالىٰ، كالشرك والرياء.

أما المعصية فلا تكون طاعة بالنيَّة أبدًا، فلا يمكن أن يكون التَّبرُّج (الذي نهىٰ الله تعالىٰ عنه وحرمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) طاعة بالنيَّة، ويستحيل أن تكون مقدمات الزنا (من الخلوة والمصافحة والخضوع بالقول وعدم غض البصر، والاختلاط والصحبة الفاسدة) طاعة بالنيَّة، ولا يكون شرب الخمور (تحت أي

مسمى وبأي حجة) طاعة بالنيَّة، إلا للمضطر الذي أقبل على فقد حياته أو عضو من أعضائه فيباح له المحرم قدر الحاجة لرفع الاضطرار.

فالحرام من المعاصي والسيئات والمخالفات التي نهى الله تعالى عنها لا ينفع معها إلا الإقرار بالخطأ، والندم على فعلها، والتوبة منها والإقلاع عنها.

• ولا يجوز الاستدلال على الخطأ والحرام بدليل من الكتاب أو السنة، أو تتبع رخص العلماء، لتبرير ما يفعله من مخالفة، مثال هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد]، وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل]، وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف:٣٠] .

ولماذا حقَّ عليهم الضلالة؟

الجواب: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

فالطامَّة أن يكون الإنسان وليًّا من أولياء الشيطان وهو لا يَدرِي فهذه مصيبةٌ، والطامَّة الكبرى أن يظن أنه مهتدٍ وصالحٌ وخيرٌ من خلقٍ كثير، وهو عاصٍ مضلٌّ.

وطامَّة الطامَّات أنه أغلق على نفسه بذلك أبواب الهداية والتوبة، فقد يستمر في غيِّه وعَماه إلى أن يشاء الله له بالموت، أو بمصيبة تردُّه وتكون سببًا في هدايته، نسأل الله تعالى أن لا نكون من هؤلاء أبدًا.

❁❁❁

وقفة: شروط العبودية

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف العبادة: الطاعة مع خضوع وتذلل لله وحده، وقيل لغة: الخضوع، وعرفًا: فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه(١).

والعبادة تجمع بين كمال الحب لله ﷻ، مع كمال الذلِّ له سبحانه، وفعل كل مأمور أمر الله تعالى به، وترك كل محظور نهى الله تعالى عنه.

▪ شروط العبودية:

١- أن يباع ويشترى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٠٧] .

٢- أن تكون له مهمة يؤدِّيها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات] .

٣- أن لا يعمل لغير سيده: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:٢٩] .

٤- أن يكون الولاء والخضوع والاستسلام والإذعان له. فلا يناقش في الأمر ولا يجادل (السمع والطاعة) ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[النور:٥١] .

٥- أن يكون راضيًا عن مولاه «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا».

٦- أن يشعر بالأمان لديه ومعه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام].

٧- أن لا يعمل عملًا بغير رضا سيده، ولا عملًا لا يرغب فيه سيده.

٨- أن يكون مستعدًّا لبذل النفس والمال في رضاه.

٩- أن يرغب ويحب ما يرغبه سيده ويحبه، وأن يكره ما يكرهه.

١٠- أن يعلم أن العبودية لغير الله ذِلَّةٌ ومَهانَةٌ، والعبودية لله تعالى عِزٌّ وكَرامَةٌ.

---

(١) فيض القدير للمناوي (١/ ٥٤٩).

السؤال الثاني: لماذا ذمَّ الله الهَوَى؟

الجواب: «الهَوَىٰ هو ميل الطبع إلىٰ ما يلائمه. ولما كان الإنسان بعقله وطبعه يميل إلىٰ ما يضرُّه ويؤذيه كانت الحاجة ضرورة وملحَّة إلىٰ وحي من الله تعالىٰ يرشده ويهديه إلىٰ جلب المصالح ودفع المضارِّ» (١).

مثال ذلك: ميل الهَوَىٰ إلىٰ التدخين (تدخين السجائر وما شاكلها)، مع أنها تدمِّر الصحَّة وتسبِّب الوفاة، والآثار المترتِّبة علىٰ التدخين تصيب المدخِّن وغير المدخِّن (٢)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[النازعات].

والهَوَىٰ من النفس أو الشيطان، يقابله الوحي من الرحمن.

إذن هما طريقان للعبد لا ثالث لهما: إما اتِّباع الوحي والهدىٰ، أو اتِّباع الهَوَىٰ والرَّدَىٰ؛ لذلك لم يرِد الهَوَىٰ إلا مذمومًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

قال الشعبي: « إنما سُمِّي هوًىٰ لأنه يَهوِي بصاحبه ».

• «وعموم الهَوَىٰ يدعو إلىٰ اللذَّةِ الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث علىٰ نيل الشهوات عاجلًا، وإن كانت سببًا للألم والأذىٰ في العاجل، ومنع لذَّات في الآجل».

مثال ذلك: من يُفرِط في المباح من الطعام والشراب والنكاح مما عبَّر عنه القرآن بالإسراف في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[الأعراف:٣١].

قد يقضي عمرًا طويلًا وهو محروم من أطايب الطعام والشراب والنكاح لمرض أصيب به بسبب الإسراف. فالمعِدة بيت الداء، وتعاليم الوحي: { **فَثُلُثٌ**

---

(١) كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بتصرف -.

(٢) هكذا كتبت الشركات المصنعة على علب السجائر.

لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ }(١).

فالعاقل ينهَىٰ نفسه عن لذَّة عاجلة تُعقِب ألَمًا، وشهوةٍ تُورِث ندمًا وذلًّا.

مثال ذلك: من يَقع في الزنا الذي حرَّمه الله ﷻ، فيعاقَب بأمراض عديدة، منها الزُّهري والسَّيَلان والإيدز وغيرها، إضافة إلىٰ ما يشعر به من حُزن وندم علىٰ ما سوء فعلته التي سمَّاها القرآن: ﴿فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

ألا ترى أن الطفل يؤثِر ما يهوَى وإن أدَّاه إلى التلف؟.

• وبهذا القدر من العقل الذي حكم الهَوَىٰ فُضِّل الآدمي علىٰ البهائم بملَكة الإرادة، لأن البهائم واقفة مع طباعها، لا تنظر لها إلىٰ عاقبة، ولا تفكِّر في مآلٍ. فهي تتناول ما يدعوها إليه الطبع من الغذاء إذا حضر، وتقضي حاجتها من روث وبول في أي وقت اتفق، بينما الآدمي يمتنع عن ذلك بقهر عقله لطبعه.

فالعاقل يرفع كل حادثة إلىٰ حاكم الشرع والعقل، إلىٰ أن يتيقن السلامة من الشرِّ في العاقبة، أو الوقوع في الشبهة باستعمال الأحوط في كفِّ الهَوَىٰ، وهو بذلك يتمرَّن علىٰ دفع الهَوَىٰ.

• ولْيعلَمِ العاقل أن مدمني الشهوات يصيرون إلىٰ حالة لا يلتذُّونها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها، لأنهم تعوَّدوا عليها. ولهذا ترىٰ مدمن الخمر والدخان والزنا لا يلتذُّ بذلك عُشْرَ لذَّة مَن لم يُدمِن، غير أن العادة تقتضيه لذلك، فيلقي نفسه في المهالك لنيل ما يقتضيه تعوُّده؛ فيشقَىٰ من حيث قَدَّرَ السعادة، ويغتمُّ من حيث ظنَّ الفرح، ويتألَّم من حيث أراد اللذَّة، فهو كالحيوان المخدوع بحبِّ الفخِّ، فلا هو نال ما خُدِع به، ولا أطاق التخلُّص مما وقع فيه.

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الزهد، ب: ما جاء في كراهية الأكل، ح (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، عن المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقفة
مكانة العقل

- قليل ممن يرجو السلامة هو الذي يشعر بأعراض الهوىٰ، يشكو المرض ويبادر إلىٰ استعمال الدواء.

- من كان له عقل يملكه ويحكمه ويحفظه من هواه كان أفضل في الدنيا والآخرة من العبَّاد والنسَّاك والزهَّاد.

- أوثق الناس مطية، وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمَحَجَّة الواضحة أفضلهم عقلًا.

- إن الرجل ليكون من أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد، فما يُجْزَىٰ يوم القيامة إلا بقدر عقله، الذي عقل عن الله عَجَّلَ مواعظه، ففاقوا الخلق بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة.

- المؤمن العاقل أشد علىٰ الشيطان من أن يكابد مئة جاهل، حيث يسهل عليه ركوب رقابهم وانقيادهم له حيث شاء، ويصعب عليه أن ينال من المؤمن العاقل شيئًا.

- ما عُبِدَ اللهُ بشيء أفضلَ من العقلِ، لأن العقل إذا زلّ تدارك ذلك بالتوبة والندم والإصلاح، والجاهل بمنزلة الذي يبني ويهدم، فيأتيه من جهله ما يفسد صلاح عمله.

- لا يتم دين الرجل حتىٰ يتم عقله، وما أودع الله امرءًا عقلًا إلا استنقذه به يومًا.

- سُئل ابن المبارك: ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غزيرة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن، قيل فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشيره، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل! [**ذم الهوى: ابن الجوزي**].

❁❁❁

السؤال الثالث:

ما الخطوات التي تساعد على التخلص من الهَوَى المذموم؟!

• لا سبيل للتخلُّص من هذا إلا بالعزم القويِّ في هُجران ما يؤذي، والتدرُّج في ترك ما لا يؤمَن أذاه، وهذا يحتاج منه إلىٰ عدَّة خطوات:-

أولها: التفكير في أن الإنسان لم يَخلُق للهَوَىٰ، وإنما هُيِّئَ للنظر في العواقب والعمل للآجل، ويدل علىٰ ذلك أن البهيمة تصيب من لذَّة المطعم والمشرب والمنكح ما لا يناله الإنسان، مع عيش هنيء خالٍ عن فكر وهمٍّ، ولهذا تُساق إلىٰ مَنحَرِها (أي: ذبحها) وهي منهمِكة علىٰ شهواتها، لفقدان العلم بالعواقب.

وثانيها: أن يفكِّر في عواقب الهَوَىٰ، فكم أوقع نفسَه في رذيلة أو فضيحة، وكم من مرض أوقع نفسه فيه، وكم من ذِلَّة انكسر بها جاهُه ومكانتُه!

وثالثها: أن يتخيَّل ويتصوَّر العاقل انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصوَّر الأذىٰ الحاصل عقيب اللَّذَّة.

وقد أنشد بعض الحكماء:

وأفضلُ الناسِ مَن لم يَرتكِبْ سبباً * حتى يَميز ما تَجني عواقبُه**

ورابعها: أن يتصوَّر ذلك في حقِّ غيره، ثم يتلمَّح عاقبته بفكره. فإنه سيرىٰ ما يعلم به عيبه إذا وقف في ذلك المقام.

مثال ذلك: من تأمَّل حال من أصيب بالسرطان أو انسداد الشرايين أو بمن مات بالسكتة القلبيَّة وهو في مقتبل العمر... بسبب التدخين.

وخامسها: أن يفكِّر فيما يطلبه من اللذَّات، فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشيء، وإنما عَين الهَوَىٰ عمياءُ.

يقول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: « **إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ فَأَعْجَبَتْكَ فَاذْكُرْ مَنَاتِنَهَا** »(١).

وسادسها: أن يتذكَّر عزَّ الغلَبة وذلَّ القهر، فإنه ما من أحد غلَب هواه إلا أحسَّ بقوة عزٍّ، وما من أحد غلبَهُ هواه إلا وجد في نفسه ذلَّ القهر.

وسابعها: أن يَتَفَكَّر في فائدة المخالفة للهوىٰ، من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا، وسلامة النفس والعِرض، والأجر في الآخرة، ثم يعكِس فيَتَفَكَّر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك.

ولْيتدبَّرْ حالتَي آدم ويوسفَ عليهما السلام: فالأول خرج من الجنة في لُقمَةٍ، والآخر صبر فكان عاقبته حفيظًا علىٰ خزائن الأرض! أين لذَّة آدم التي قضاها عندما أكل من الشجرة، من همَّة يوسف التي حجبَتْه عن فتنة امرأة العزيز؟!

وثامنها: أن يعلم أن وراء مخالفته لهواه جنةً عرضها السموات والأرض، لا يبغي عنها حولًا، وأن اتِّباعه للهوىٰ قد يجعله يتردَّىٰ.

وتاسعها: أن اتِّباعه هواه يُوقِعه في الظلم وعدم القيام بالقسط بين الناس، مما يجعله يقع في فخِّ لَيِّ النصوص من القرآن والسنة وفق هواه.

عاشرها: أن اتِّباعه لهواه يفتح له أبواب الضلال حتىٰ ولو كان علىٰ علم، ويُعَرِّضه للخَتم علىٰ القلب والسمع، والغشاوة علىٰ العين، وأن النجاة من ذلك والسلامة في مخالفته لهواه (٢).

❁❁❁

---

(١) قال الألباني في الإرواء (٦/١٩٩): لم أقف على سنده إلى ابن مسعود، وقد أخرج ابن أبي شيبة (١/٥٢) بإسناد رجاله ثقات نحوه عن إبراهيم في الرجل يرى المرأة فتعجبه، قال: «يذكر مناتنها».

(٢) انظر: كتابنا: «الربا بين ضرورات العصر ومتطلبات النصر»، فقد ذكرت فيه أكثر من خمسين مسألة تساعدك على التخلص من الهوى.

وقفة
(أضغاث أحلام)

• قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما سنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سنَّ سواهما فإنا نرجيه (أي: نؤخره)».

• قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «السنة والله سنة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق وإن قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا».

وسئل عن حسن الظن فقال: «من حسن الظن ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك».

• وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خصلتان إذا رأيتهما في الرجل، فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان جالسًا حابسًا للسانه، يحافظ على صلاته». «كنز العمال».

• الحلم والأناة صفتان يحبهما الله ورسوله، والحياء لا يأتي إلا بخير.

• «صلة الأرحام، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يَعْمُرْنَ الديار، ويَزِدْنَ في الأعمال». «صحيح الجامع»

• ارض من الدنيا باليسير مع سلامة دينك، كما رضي أقوام بالكثير مع ذهاب دينهم.

• لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك.

• اعلم أن اختلاف الليل والنهار وممرهما يسرعان في هدم بدنك وفناء عمرك وانقضاء أجلك.

• الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضغاث أحلام.



السؤال الرابع: ما هي الأسباب التي تؤدي إلى اتباع الهَوَى؟

الأسباب التي تؤدي إلى اتِّباع الهَوَى:-

١- التمسُّك بما عليه الآباء من عادات وتقاليد وإن خالفت الشرع.

٢- اعتقاد أن المصلحة والمنفعة الذاتيَّة في اتِّباعه لهواه، وبمخالفته للهدىٰ إرضاء للسَّاداة والكبراء، أو طمعًا في شهرة أو مادة أو شهوة.

٣- التعصُّب والانتصار لحزب أو جماعة أو فرقة أو طريقة أو مذهب. وهذا التعصُّب يؤدِّي إلىٰ الفرقة التي تُضعِف وحدة الأمَّة وتماسكَها.

٤- تفضيل العقل علىٰ الشرع، والاعتماد علىٰ العقل وَحْدَه بعيدًا عن الشرع، أو الاكتفاء بالعلوم الماديَّة دون الشرعيَّة، أو تحوير الشرعِ ليلائم الواقع ويقرَّه علىٰ ما هو عليه، لا العكس من تحوير وتغيير الواقع ليلائم الشرع؛ مع أنه لا تناقض بين الشرع الصحيح والعقل السليم، ولا بين العلم النافع والشرع الساطع، بل إن الشرع الحنيف هو الأمثل والأنسب لقيام واقع يحيا فيه الناس حياة قيِّمة طيِّبة.

٥- التشبُّه والتقرُّب إلىٰ الكفار والمنافقين، والاعتزاز بهم، والفخر والإعجاب بأحوالهم، والظنُّ أن ما هم عليه من تقدُّم وحضارة سببُهُ فصلُ الدِّينِ عن الدولة، وعزل الدِّين عن العلم والحياة، دون بحث واستقصاء لهذا الأمر.

❁ ❁ ❁

وقد مدح الله تعالىٰ مخالفة الهوَىٰ، فقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾ **[النازعات]**.

أي: نهىٰ النفس عما حرَّم الله عليها، وقيل: هو الرجلُ يَهِمُّ بالمعصية فيذكُرُ نظرَ اللهِ تعالىٰ إليه، ومُقامَه للحساب بين يديه فيتركها.

وتأمَّل وصف الله تعالى لمن اتَّبع هواه، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال جل شأنه: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [الروم:٢٩]. وقال سبحانه: ﴿ لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال أيضًا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ [القصص:٥٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف]، وقال أيضًا: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ ﴾ [النساء:١٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص].

تدبَّر هذه الآيات وتأمَّل هذه الأوصاف لمن اتَّبع هواه، ثم اسأل نفسك هذا السؤال: **من يتَّبِع الهَوَى ممن يتَّبِع الهدى، هل هم دعاة الحِجاب والستر والعفاف، أم دعاة التَّبرُّج والسُّفور والخَنا؟**

۞۞۞

• قال الحسن في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ قال: « هو المنافق الذي لا يهوَىٰ شيئًا إلا ركِبَه، فهو يعبد هواه ».

وفي الحديث: { **حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمُكَارِهِ** }(١).

• لذلك كان من معاني الإيمان مخالفةُ الهَوَىٰ. ومما حذَّر منه الإسلام:

---

(١) أخرجه البخاري ك: الرقاق، ب: حجبت النار بالشهوات، ح (٦٤٨٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١- شهوات الغَيِّ في البطن والفرج.

٢- مضلَّات الهَوَىٰ، أو هوًىٰ متَّبَع.

٣- حكم جائر.

٤- نساء كاسيات عاريات.

٥- زلَّة عالِم.

٦- شحٌّ مطاع.

٧- إعجاب المرء بنفسه.

وفي الحديث قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ** }(١).

تأمَّل هذه الجمل الأربعة: (**دَانَ نَفْسَهُ، عَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ ، أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، تَمَنَّى عَلَى اللهِ**).

• «**دان نفسه**»: أي اتَّهمها بالتقصير في حقِّ الله تعالىٰ، وبمقام ربِّه جلَّ وعلا، وذلك حتىٰ يتسنَّىٰ له الاجتهاد في الطاعة، وبذل الجهد في تعلُّم دينه، والتخلص من النفاق، ويحمي نفسه من الغرور والعجب واتِّباع الهَوَىٰ، وقد كان خيرة أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمثال الصديق أبي بكر والفاروق عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يخشون على أنفسهم من النفاق، لذلك كانا من أشدِّ الصحابة إخلاصًا، وأكثرهم

---

(١) أخرجه البزار (٧٢٩٣) وقال: هذا حديث لم يروه عن قتادة، عن أنس إلا الفضل بن بكر، ولم يحدِّث عن الفضل إلا أيوب بن عتبة.

قال ابن حبان في الفضل: لا يتابع على حديثه من وجه يثبت، وقال أبو حاتم الرازي في أيوب: فيه لين قدم بغداد ولم يكن معه كتبه فكان يحدث من حفظه على التوهم فيغلط، وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٤٤٧/٣) وقال: وقد روي عن أنس من غير هذا الوجه، وعن غير أنس بأسانيد فيها لين.

إيمانًا وأعمالًا.

• «**عمل لما بعد الموت**»: وذلك حتىٰ يتخلَّص من الكسل والعجز وكل ما يثبِّطه عن العمل الواجب عليه، ويستعدُّ للحساب، فيخاف علىٰ نفسه إن قال في الدِّين برأيه، أو بغير علم، أو نقل كلام المستشرقين وعبَّاد الهوَىٰ، أن يخسر الآخرة، ويعلم أن الآخرة خيرٌ من الأُولَىٰ وأبقىٰ منها.

• «**أتبع نفسه هواها**»: فهو أمام أمرين:

الأول: أن تقوده نفسه فيتَّبع الهوَىٰ، **والثاني**: أن يقود نفسه ويتَّبع الهدىٰ، واتِّباع الهدىٰ ثمرته: ﴿**أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ ، ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

• «**تمنَّى على الله**»: فتمنِّي الرحمة والهداية والمغفرة والجنة بغير عمل وإخلاص واتِّباع للسنَّة ومخالفة الهوَىٰ والبدعة وهمٌ وخيال،كمثل الظمآن يرىٰ السراب ماءً، وإنَّ قومًا غرَّتهم الأمانيُّ حتىٰ خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: إنا نحسن الظنَّ بالله، وكَذَبوا والله، فلوأحسنوا الظنَّ بالله لأحسنوا العمل، وكيف يجود الرب جلَّ وعلا برحمته علىٰ من بخِل بطاعته؟!

❁ ❁ ❁

• فليس الشديد من غلب الناسَ، ولكن الشديد من غلب نفسَه وهواه.

• قال الحسن: « إنما يثقل الحساب يوم القيامة علىٰ الذين جازفوا الأمور في الدنيا، اتَّخذوها علىٰ غير محاسبة، فوجدوا الله عَزَّ وَجَلَّ قد أحصىٰ عليهم مثاقيل الذرِّ. ثم قرأ: ﴿**وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا**﴾[الكهف:٤٩] .

• فالمؤمن قوَّام على نفسه، يحاسب نفسه لله ﷻ، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب على الذين أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، وإن المؤمنين قومٌ أوثَقَهُم القرآن وحال بينهم وبين هَلَكَتِهِم.

• ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه: « يا بُنَيَّ إن الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرُون، فإن فتر سائقها ضلَّت عن الطريق، وإن فتر قائدها حَرَنَتْ، فإذا اجتمعا استقامت ».

« إن النفس إذا أُطعِمت طَعِمت، وإذا فوَّضْتَ إليها أساءت، وإذا حملتَها على أمر الله صلحت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت، فاحذر نفسك واتَّهمها على دينك، وأنزَلها منزلة مَن لا حاجةَ له فيها ولا بُدَّ له منها، وإن الحكيم يُذِلُّ نفسه بالمَكارِهِ حتى تَعتَرِفَ بالحقِّ، وإن الأحمق يخيِّر نفسه في الأخلاق، فما أحبت منها أحب، وما كرهت منها كره ».

• وقال قتادة: « والله ما زال المؤمنون يقولون ربَّنا ربَّنا في السِّرِّ والعلانية حتى استجاب لهم ».

• وقال الحسن: « إن هذا الحقَّ أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحقِّ من عَرَفَ فضله ورَجا عاقبتَه ».

• وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة]، قال: « تَندمُ على ما فاتَ وتلومُ عليه »[١].

• وقال ميمون بن مهران: « لا يكون العبد تقيًّا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٤/ ٥٠) تحقيق أحمد شاكر.

شريكه، من أين مطعمه وملبسه؟ ».

• وقال خالد بن صفوان عن الأحنف بن قيس: « كان أشدَّ الناس على نفسه سلطانًا فبلغ ما بلغ ».

• وقال رجل لعبد الملك بن مروان: « يا أمير المؤمنين إن للناس في القيامة جولة لا ينجو من غُصَص مرارتها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ».

وقال عبد الله بن الأهتم لابنه: « يا بُنَيَّ تَوَقَّ نفسَك فإن في خلافها رشدَك ».

• وقال عمر بن عبد العزيز: « أفضل الأعمال ما أُكرِهَتْ عليه النفوس ».

فالنفس قد تكره القيام لصلاة الفجر، وقد تكره قيام الليل، وقد تكره أي قيود عليها، وقد تكره الحِجاب والسِّترَ فمن صحِب نفسه على هذا هلك، ومن صحبته نفسه على طاعة الله نجا وفاز فوزًا عظيمًا. ألم تقرأ قول الله تعالى في الكافرين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[محمد]، وقوله تعالى في المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد] ، صنف كره ما أنزل الله وهم الكفار، وصنف آخر كرهوا ما فيه رضوان الله وهم المنافقون. فإذا كره المسلم ما أنزل الله أو كره ما فيه رضوان الله تعالى، فهل يرضى بالانتساب لأحد الفريقين؟!

• أليس الحِجاب مما أنزل الله؟ أليس فيه رضوان الله تعالى؟! استمع إلى قول ذي الجلال والإكرام: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الأحزاب]،

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

• والنفس مجبولة على سوءِ الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد مجتهد في ردِّها، فمتى أعانها فهو شريك في فسادها.

• قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [النساء: ٢٩]، قال: « لا تَغفَلُوا عن أنفسكم، فمن غَفَلَ عن نفسه فقد قتلها »(١).

• فمن عجز عن أدب نفسه بِكَبْحِ لجامها عن الطمع والمخالفة والرذيلة، كان عن أدبِ غيره أعجزَ.

• ومن علامات استدراج الله تعالى للعبد، العَمَى عن عيوب النفس.

• فمن ملك نفسه عزَّ، ومن ملكته نفسه ذلَّ، والنفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يَعرِفْ ما في نفسه فكيف يَعرِفُ ربَّه؟!!

• قال أبو محمد الجريري: « من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حُكْمِ الشهوات، محصورًا في سجن الهَوَى، وحرَّم الله على قلبه الفوائد، فلا يَستَلِذُّ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه ».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١١٨٢٩).

• وقال محمد بن سالم البصري: «من صَبَرَ علىٰ مخالفة نفسه أَوْصَلَهُ الله إلىٰ مقام أنسه».

❁ ❁ ❁

• فالمغلوب بموافقة الهَوَىٰ والنفس مقهورة، تجد في نفسه ذلًّا لمكان القهر، وغالِب الهَوَىٰ ذو صولة، ولذلك وَقْعٌ عَظيمٌ في الشرع وعند الخلق، وتأمَّل وتدبَّر قول الله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢].

• عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصارِيِّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: **{ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ الله، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ الله، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ الله، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ}**(١).

فالحذرَ كلَّ الحذرِ من مصاحبة صاحب الهَوَىٰ والبدعة.

وكان من وصايا عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رَحِمَهُٱللَّهُ: «لا تُجالِسْ ذلَّ الهَوَىٰ فيُلْقِي في نفسك شيئًا يَسْخَطُ الله به عليك».

• وقال يونس بن عبيد: «لا تمكِّن سمعَك من صاحب لـهْوٍ».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٤)، والحاكم (١/ ٧٣) وقال: هذا حديث حسن على شرط مسلم ولا أعرف له علَّة ولم يخرجاه.

وقفة
(أقوال في الهوى)

• الهوىٰ عدو العقل: يحطُّه عن رتبته، ويستنزله عن درجته؛ لذا يجب أن يظل العقل حاكمًا، فهو الزمام وهو المتبوع، والغالب لهواه أشدُّ من الذي يفتح المدينة وحده.

• إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعًا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعًا لعمله فيومه يوم صالح.

• بئس العبدُ عبدٌ همُّه هواه وبطنُه.

• ليأتين علىٰ الناس زمان تكون همَّة أحدهم فِيِّهِ بطنه، ودِينُهُ هواه.

• إذا أَشْكَلَ عليك أمران لا تدري أيها أرشد فخالف أقربها من هواك، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوىٰ، فالهوىٰ داء، والدواء ترك هواك.

• أهل النار غلبت شهواتهم فلم يَحْتَمُوا فهَلَكُوا.

• البلاء كله في هواك، والشفاء في مخالفتك إياه.

• من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق.

• إذا انتصر الهوىٰ ذهب الرأي والحكمة.

• حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء، إن صبَّرَ نفسه علىٰ مَضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقَىٰ طالت به علة الضنىٰ.

• قيل: مَن أصحُّ الناس عزمًا؟ قال: الغالب لهواه.



السؤال الخامس: عَرِّف لنا ما معنى لَيِّ النص؟!

لَيُّ النصوص من ثمرات اتِّباع الهَوَىٰ، بل هو البرهان والدليل عليه، فصاحب الهَوَىٰ يُخضِع النصَّ لهواه، فيفسِّره وفق مصلحته، ويفصِّله حسب ما يريد.

قال الله تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥**﴾[النساء].

وقال تعالىٰ مبيِّنًا أن ليَّ النصوص من دأب أهل الكتاب الذين حرَّفوه وبدَّلوه في قوله ﷻ: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨**﴾ [آل عمران].

والناس لا بُدَّ لهم من دين يتَّبعونه، والأديان اليوم تنقسم إلىٰ قسمين:-

الأول: دين سماويٌّ عن طريق الوحي المنزل علىٰ الرسل (كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والتسليم)، نزل به الروح الأمين جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع رسالة (كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن)، وجميعهم جاءوا بدين واحد هو الإسلام لله رب العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾[آل عمران:١٩].

والثاني: دين أرضيٌّ من تأليف البشر، كالبوذيَّة والهندوسيَّة وعبَّاد البقر والكواكب وعبدة الشياطين .. إلخ، وكلها أديان باطلة، أصحابها وما يعبدون حَصَبُ جهنمَ هُمْ لها وارِدون، كما أخبر القرآن الكريم.

• واليهود والنصارىٰ قد حرَّفوا وبدَّلوا كتبهم ولم يتمَّ حفظُها ونقلها بأمانة، وقد نَسَبُوها إلىٰ البشر، ولم يُعجبهم إنجيلٌ واحد فصار هناك أناجيل: (متَّىٰ، ولوقا، ويوحنا، وبولس، وبرنابا)، وغيرها، بل صار كل إنجيل يختلف عن غيره، ناهيك عن مثله في كل طبقة وكل زمان ومكان، ولم يبقَ للناس وحي صحيح من السماء إلىٰ الأرض إلا القرآن والسنة، فقد حفظهما الله تعالىٰ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، وَوُضِعَت القواعد التي تحمي الكتاب والسنة من الهَوَىٰ، لذلك اختاره الله تعالىٰ خاتمًا لوحي السماء، فلا كتاب بعده، ولا نبيَّ بعده، ولا أمَّة تحمل هذا الهدىٰ بعد أمَّة الإسلام.

• ولكن الهَوَىٰ تسرَّب إلىٰ كثير من ضعاف النفوس والعقيدة من المنافقين والفاسقين والذين تأثَّروا بالحضارة الماديَّة وانبهروا بها، وأَثَّر الاستشراق فيهم وبَلَغَ مَبْلَغَهُ، ولم يجدوا أمامهم سوىٰ لَيِّ النصوص يحرِّفون به الكلم عن مواضعه، وتبدَّلت شريعة الرحمن بغواية الشيطان من الإنس والجان، ففضَّلوا قانون نابليون تارة، وميلر وكرومر وبلفور تارة أخرىٰ، وصار الرِّبا والزِّنا والرقص والعهر والخمور والسُّفور حضارة وتقدُّمًا، وكل ذلك تمَّ إباحته عن طريق لَيِّ النصوص، واتِّباع الهَوَىٰ.

إنك تستطيع عن طريق لَيِّ النصوص أن تُحِلَّ ما حرَّم الله ﷻ، وتُحرِّم ما أحلَّ الله، وتكون بذلك ندًّا لله ﷻ، وتصير زنديقًا لا دين لك.

• وقد دبَّ الشرك في بلاد المسلمين عن طريق لَيِّ النص.

مثال ذلك: حرَّم الإسلام بناء القبور في المساجد، ولعن الله تعالىٰ من فعل ذلك من اليهود والنصارىٰ، ثم تجد أصحاب الهَوَىٰ يَلوُون النصَّ ويؤَوِّلونه تأويلًا فاسدًا

ليستدلُّوا به على قبح أفعالهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[الكهف]. ذلك قول الذين غلبوا على أمرهم لفسقهم وفجورهم، أما أصحاب الدِّين والصلاح فقالوا: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾[الكهف:٢١]، يعني ادفنوهم وضعوا علامة على أن هنا قبرًا، لأننا لا نعلم عنهم شيئًا، فقد كان بيننا وبينهم أكثر من ثلاثمائة سنة، إن كانوا صالحين أو غير صالحين فربُّهم أعلم بهم.

• ودبَّ الغناء والرقص والتمثيل، وفُتِحت معاهد ومراكز لهم في بلاد المسلمين، ثم تجد أصحاب الهَوَىٰ يَلوون النصوص ليجادلوا به الحقَّ.

سَمِعْتُ رجلًا كان يدرِّس لنا في الجامعة مادة الرياضيات وهو يكرِّر قول قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» الذي نقله عن مستشرق فرنسي في آية غضِّ البصر في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[النور:٣٠] ، فيقول: إذا كان الأمر بغضِّ البصر، وسترت المرأة وجهَها عن الأجانب فعن ماذا يغضُّون البصر؟! ثم سمعت هذا الكلام في الإذاعات وقرأته في الصحف، ويستدلُّ بذلك بالرد على من أوجب أو أباح غطاء وجه المرأة أمام الأجانب من غير المحارم.

ولو تدبَّر هؤلاء، لعلموا أن وقت نزول هذه الآية كان هناك إماء لا يسترن وجوههنَّ، والعرب تُفَرِّق بين الأمَة والحرَّة بكشف الوجه، فالحرَّة لا تكشف وجهها بخلاف الأمَة، وكانت نساء النصارىٰ واليهود وسائر الملل يَغدُون للتجارة والزيارة، والأمر بغضِّ البصر عامٌّ، وقد يمرُّ الرجل فجأة على نسوة لم يشعرن بقدومه وهنَّ كاشفات، فعليه بغضِّ البصر، وقد ترفع الرياحُ الكِساء عن المرأة

فيبدو منها شيء فعلى الرجل غضُّ البصر، وهكذا... لكنه إذا ضاقت العقول ضاقت الأفق وانحرفت الأفكار.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

• يقول د. محمد إسماعيل: « ومن الضعف الطبيعيِّ في الإنسان إنه إذا اختار مذهبًا من المذاهب في شئون حياته يكون بدء اختياره لذلك المذهب بنزعة عاطفيَّة غير عقليَّة ثم يأتي بعد ذلك فيستعين بالمنطق والعقل ليثبت كون نزعته تلك صحيحة معقولة، كذلك وقع في أمر الحِجاب أيضًا، فلما عرضت للمسلمين مسألة الحِجاب لشعورهم بضرورة عقليَّة أو شرعيَّة إليه، وإنما أتت من ذلك الميل والنُّزوع الذي نشأ من تأثُّرهم ببريق الحضارة، وما عليه المرأة الأوربيَّة من زينة وحريَّة، مما دفع المنهزمين إلى أن يقوموا بحركة ما يسمَّى «تحرير المرأة» والتي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديِّ »(١).

وأخذوا هم وأقرانهم من المستشرقين يتصفَّحون كتب الفقه والأحكام، وينقِّبون عن اجتهادات بعض الأئمَّة منها، وأقوال الفقهاء لعلهم يجدون في ثناياها ما يُعينهم على ذلك الهَوَى، فإذا بهم يقعون على أقوال لبعض الأئمة تُجيز أن تُبدي المرأة المسلمة وجهَها وكفَّيها، وسوف يأتي تفنيد آراء هؤلاء.

❁❁❁

• والمقصد الأعلى الذي يريد أن يحقِّقه الإسلام من خلال نظامه الاجتماعي هو: (صَوْنُ العِرْضِ، وكَبْحُ جِماحِ الشَّهَواتِ، وتقييدها بضوابط شرعيَّة أخلاقيَّة

(١) كتاب «عودة الحِجاب» (١/ ١٩) - بتصرف -.

تتضمن استعمالها في خير الإنسان وطهارته، بدل إهمالها أو تضييعها في الفوضى والهمجيَّة).

• أما النظام الغربيُّ فهو يسعَىٰ لمشاركة المرأة الرجل في تدبير شؤون الحياة، وتحمُّل تبعاتها علىٰ حدٍّ سواء، واستعمال الشهوات في فنون ووسائل تحوِّل متاعب الحياة إلىٰ لذَّات ومسرَّات.

إن الحدَّ الأقصىٰ للمسلمة أن تُبدِيَ وجهَها وكفَّيها إذا دعت الضَّرورة، وأن تخرج من بيتها لحاجتها، ولكن هؤلاء يجعلون هذا الحدَّ الأقصىٰ من حريَّتها نقطة البدء وبداية المسير.

وهذه الرخصة في الخروج مشروطة بالتستُّر والعفاف والوقار بعيدًا عن الزينة والفتنة للناظرين.

• في (سنة ١٨٦٠م) خرج أحد الأفَّاكين متأثِّرًا بإقامته في فرنسا خمس سنوات، وقال: «الرقص علىٰ الطريقة الأوروبيَّة ليس من الفسق في شيء، بل هو أناقة وفُتوَّة، وهو لا يخرج عن قوانين الحياة»(١).

• وإذا أردت أن تتعرَّف علىٰ أبعاد المؤامرة فاقرأ ما فعله الخِديوِي «إسماعيل» لرفاعة بك حين قال له: إنك منهم (أي من رجال الأزهر) ونشأت معهم، وأنت أقدر علىٰ إقناعهم، فأخبرهم أن أوروبا تضطرِب إذا هم لم يستجيبوا إلىٰ الحكم بشريعة «نابليون» فأجابه بقوله:

«إنني يا مولاي قد شِخت، ولم يطعن أحد في ديني، فلا تعرِّضني لتكفير مشايخ

(١) مؤلف كتاب: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، رفاعة الطهطاوي.

الأزهر إياي في آخر حياتي، وأقِلْنِي من هذا الأمر، فأقاله»(١).

• في (سنة ١٨٩٤م) صدر كتاب «المرأة في الشرق» لمرقص فهمي دعا فيه إلىٰ: القضاء علىٰ الحِجاب الإسلامي، وإباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها، وتقييد الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضي، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

وصدر هذا الكتاب لهذا النصراني الحقود محتميًا بالنفوذ البريطاني في مصر.

• ثم توالت الكتب بعد ذلك منها: كتاب: «المصريون» لسائح غربي زار مصر عدَّة مرات وصدر (سنة ١٨٩٣م).

• ثم صَدَرَ كتاب فتنة الأجيال وداعية السُّفور في عهد الاحتلال، للمحامي قاسم أمين الذي تأثَّر بالحياة في أوروبا أثناء إقامته في فرنسا حتىٰ لقَّب مصر بدلًا من «أم الدنيا» بلفظ: «خادمة الدنيا» وصاحَبَ الفرنسيَّة «سلافا» والتي كان لها أثر كبير في فكره وأفكاره. فأصدر كتابه «تحرير المرأة» (سنة ١٨٩٩م).

❁❁❁

وإذا أردت أن تتعرف علىٰ ديانة «لَيِّ النصوص» فاقرأ ما قاله د. محمد محمد حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ «لِيِّ النصوص» في كتب هؤلاء. قال: « إني أحب أن أسأل الذين يحاولون أن يُسوِّغوا باطلهم الذي يُقحمونه علىٰ إسلامنا بمزاعم يتحايلون علىٰ إلصاقها بالدِّين ونصوصه. أحب أن أسأل هؤلاء سؤالًا حاسمًا يفرِّق بين الحقِّ والباطل: هل تعلمون أن أحدًا من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتِكم؟ فإِذا كان

---

(١) تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ محمد رشيد رضا (١/ ٦٢٠، ٦٢١).

ذلك لم يَحدُثْ من قبل فهل تستطيعون أن تَزعُموا أن صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعًا عن فهم نصوص دِينِهم، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإِنس في باريس من أمثال قاسم أمين فانتكس تفكيرهم بين معاهِدِها ومَباذِلها، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد، يذود عنهم كل شيطان مريد، وذلك حين بُعِثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها فضلوا الطريق، وعادوا إلينا بغير الوجه الذي بُعِثُوا به. جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرنًا من نزول القرآن ليُخرِجوا للناس حقائق التنزيل التي غاب عِلمُها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسِّرين، ويَضربوا بإِجماع المسلمين في الأجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة عُرْضَ الحائط. أليس ابتداع هذه الدعوة في ظلِّ الاحتلال الإِنجليزي وتَزعُّمُ فريق من المتفرنجين الذين عُرِفُوا بموالاة ذلك الأجنبي المحتَلّ، هو وحده دليلًا كافيًا على أنها طارئة علينا من الغرب تقليدًا لمذاهب أهله المبتدعين في دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم والخارجين على نصرانيتهم وكتابها؟ »[1].

• يقول الأستاذ محمد طلعت حرب: «إن رفع الحِجاب والاختلاط كلاهما أمنيَّة تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يُدرِكُها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي»[2].

• إن الإحصائيات أثبتت أن المرأة الشرقيَّة المسلمة – بسبب الحِجاب ـ أكثر

---

(١) «حصوننا مهددة من داخلها» د. محمد محمد حسين.

(٢) «تربية المرأة والحِجاب» لمحمد طلعت حرب.

نساء العالم تعفُّفًا.

• يقول مصطفى كامل: «إن تربية البنات على المبادئ الأوربيَّة في ذلك خطرٌ كبيرٌ على مستقبل الأمَّة، ولكل أمَّة مدنيَّة خاصة بها، فلا يليق بنا أن نكون قِرَدَةً مُقَلِّدينَ للأجانب تقليدًا أعمى، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا، وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة هو تعليم الدِّين»[١].

❁❁❁

(١) الحركات النسائيَّة في الشرق وصلتها بالاستعمار، محمد فهمي عبد الوهاب.

وقفة
(بداية الفتن العظمى)

• مازال الناس إلى يومنا هذا يتناقلون كلام قاسم أمين، ويردِّدونه ويقدِّسونه أكثر من كلامِ الله ورسولِهِ وفِعلِ أصحابِه.

لقد بدأت «حركة تحرير المرأة» على أيدي المتفرنجين، فقلدهم بعض الخطباءِ الجهلة، والكُتَّابِ الفسقة، ونشبت المعركة حول «كشف وجه المرأة» وأقام العلماء الناصحون الدنيا وأقعدوها، لِيُحْبِطُوا تلك الدعوة إلى السفور، لا لأنه الحكم الراجح في المسألة فحسب، ولكن لأنهم فطنوا لحقيقة الخطة المدمرة للمرأة التي تستهدف القضاء على حياء المرأة المسلمة.

• لقد نادى هؤلاء المتفرنجون «قبحهم الله ومن عاونهم» بتخليص المرأة من الحجاب والخروج من البيت، وعدم الخضوع للآباء، أو الخنوع للأزواج، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، كل ذلك تمَّ والأمةُ مُسْتَعْبَدَةٌ للأجنبي الكافر، مُسْتَعْمَرَةٌ له، تَرْزَحُ تحت نيرانه، يَسُومُها سوء عذابه. فماذا كانت النتيجة؟! تأخر وضعف وهوان، وتعليم عقيم، وسياسة فاجرة، وحياة اجتماعية فاسدة.

فماذا كسبت الأمة المسلمة بعد هذا الانحطاط؟!

بدأت الفتن العظمى، وانخلع ثوب الحياء، ولم يعد هناك مانعٌ للمرأة أن تتحدث مع هذا، وتُجالِسَ هذا، وتصافح وتضاحك من شاءت، وأُزِيلَت الحواجز بين الرجال والنساء في المدارس والجامعات والأعمال والمواصلات، ونسي هؤلاء أن الدعوة لنزع الحجاب هي مرحلة تهيئ لما يليها من دعوات لانسلاخ الأمة عن هويتها الإسلامية، ومن ثَمَّ عزل الإسلام عن الحياة.

ومرض تَزيينِ الباطل من أخطر العوامل التي تجعل الإنسان يَثْبُتُ علىٰ الضلال، بل قد يجعله يدافع عنه، ويَنْسِبُهُ إلىٰ الدين ويستخدم التأويل الفاسد للنصوص الصحيحة، ويُصبِحُ من المنافقين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[التوبة] .

• ومثال ذلك: استدلال النساء المتبرجات اليوم أو الكاسيات العاريات أو من ترتدي حجاب الموضة وتضع المساحيق، ولا تفرق في التعامل بين الرجال المحارم لها وغير المحارم، وتستدل علىٰ صحة واقعها المخالف للكتاب والسنة في جرأة ووقاحة لتؤيد صحة واقعها بالحديث الصحيح: **{إنَّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إلَى صُوَرِكُمْ وَأمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُمْ وَأعْمَالِكُمْ}**. وتُخْفِي عن قصد أو غير قصد تكملة الحديث: { **وأعمالكم** }رواه مسلم (٢٥٦٤).

فالقلب محل التوحيد والنية، وهو أكثر الأشياء تأثرًا بالذنوب والمخالفات، وصلاح الأعمال دليل علىٰ صلاح القلب، وقد أهلك الله تعالىٰ فئامًا من الأمم والأفراد بسبب المعاصي الظاهرة والمخالفات، وأمر بترك ظاهر الإثم وباطنه، وإن صفة المؤمن لا تلحق إلا بمن ظاهره صالح وباطنه صالح، وإن صفة الكافر تلحق بمن ظاهره فاسد وباطنه فاسد، وصفة المنافق تلحق بمن باطنه فاسد وظاهره صالح، وصفة الفاسق تلحق بمن باطنه صالح وظاهره فاسد

❁❁❁

السؤال السادس:

من أحق الناس بالحديث عن الأحكام والفتيا في الدِّين؟

• يقول أبو المظفر السمعاني: «رحم الله امرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وقَدْرَ بضاعتِه من العلم، فيطلب الربح على قدره»[١].

• وقالوا: «مَن تعاطَى تحرير فنٍّ غير فَنِّه، فهو مُتَعَنَّى».

• وقالوا: «من تكلَّف ما جهل، ولم تُثبِّته المعرفة، كانت موافقته للصواب غير محمودة، وكان خَطَؤُه غير مغفور إذا نطق فيما لم يُحِط به علمًا».

• وقال الحافظ ابن حجر: «وإذا تكلَّم المرء في غير فنِّه أتى بهذه العجائب».

• وقال الجرجاني: «إذا تعاطَى الشيء غيرُ أهله، وتولى الأمر غير البصير به، أُعضل الداء، واشتدَّ البلاء»[٢].

• قال الشاعر المسلم:

متى ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابِهِ ضللتَ * وإن تَدخلْ من البابِ تَهْتَدِ**

• وقال ابن حزم: «لا آفة على العلوم وأهلها، أضرُّ من الدخلاء فيها وهم من غير أهلِها، فإنهم يَجهَلُون ويظنون أنهم يعلمون، ويُفسِدون ويقدِّرُون أنهم يُصلِحون»[٣].

• وقال الإمام يحيى بن معين لما سُئِل عن إبراهيم بن محمد بن عرعرة: «ثقة

---

(١) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي.

(٢) «دلائل الإعجاز» للجرجاني.

(٣) «مداواة النفوس» لابن حزم.

معروف مشهور بالطلب، كيِّس الكتاب، ولكنه يُفسِد نفسه، يدخل في كل شيء»(١). فمن المآخذ على الإنسان أن يُدخِل نفسه في كل شيء.

• انظر: فهؤلاء علماء! فما بالك إذا تكلَّم في الدِّين الكُتَّاب والأدباء والصحفيون والفنانون والمهندسون والأطباء والقضاة والحقوقيون وغيرهم!.

• قال الشافعي: «من تعلَّم علمًا فَلْيُدَقِّق فيه، لئلا يَضيعَ دقيق العلم»(٢).

وقال أيضًا فيمن يحمل العلم جزافًا: «هذا مثله كمثل حاطب ليل، يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيه أفعى تلدغه وهو لا يدري»(٣).

• ورحم الله السُّبكي حين قال: «الخارج عن لغته لحَّان، والداخل في غير فنِّه يفضحه الامتحان».

• وقد تجد من يصول ويجول في غير تخصُّصه، وهو ربما لا يعرف كوعَه من كُرسوعِه، ومن قلَّ علمه كثر لغطه، كمن يبني قصرًا ويهدم مصرًا، ولو سكت من لا يعلم لقلَّ الخلاف، فحسبك جهلًا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

• قال الحافظ ابن عساكر: «لو سكت مَن لا يعلم لاسترحنا».

• لذلك حذَّر أهل العلم من التصدِّي والتصدُّر لمجالس العلماء قبل التأهُّل لذلك فقالوا: « احذر التصدُّر قبل التأهُّل، فهو آفة العلم والعمل».

وقد قيل: «من تصدَّر قبل أوانه، فقد تصَّدى لهوانه».

---

(١) أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» عند ترجمة إبراهيم بن محمد بن عرعرة.
(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي.
(٣) المصدر السابق، للبيهقي.

• أذكر هذا الكلام، حتى لا نتعجَّب من حديث مجلة المصور(١) وكلام أُناسٍ لا خَلاقَ لهم، وافتراءات وكذب على الله ورسوله والأئمة الأعلام، وهم في وادٍ، والعلم وأهله والحقُّ وتابعوه في وادٍ آخر.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء].

وكذلك ما ورد في مجلة أكتوبر(٢) تحت عنوان «النقاب بين التنكر والتدين»، والأدهى والأمر ما ورد في مجلة الأهرام(٣) تحت عنوان «معارك خلف النقاب» حملة إعلانيَّة ليست هي الأولى أو الأخيرة في معركة الحِجاب والسُّفور، ولكنها السُّنَنُ الربانيَّة لإظهار الرِّعاع في هذه الأمَّة عندما يتكلَّمون في دين الله تعالى بغير علمٍ ولا هدًى، وسبحان الله كلما قامت حملة من حملاتهم المسمومة أحبط الله تعالى مكرهم، وظهرت بَرَكَةُ دينِه، ودخل الناس في هدى الإسلام أفواجًا، وازداد المؤمن والمؤمنة صلابة ورشادًا.

• ولقد حذَّر العلماء من أولئك الرِّعاع فقالوا لنا: «احذر ما يتسلَّى به المفلسون من العِلمِ، وكم في هذا من سَوْءَةٍ، أقلها: أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

ولا بُدَّ لمن يتكلم في دين الله تعالى من معرفة الأدلة الشرعيَّة، وأن يقف على كلام الأولين، وأن لا يكون صاحب هوًى أو بدعة، وأن يكون ملمًّا بكتاب الله

---

(١) المصور العدد (٤٤٣٦) الصادر في ٢٥/١٠/١٤٣٠هـ ١٤/١٠/٢٠٠٩م «ص١٢ وما بعدها».
(٢) أكتوبر العدد (١٧٢١) الصادر في ٢٩/١٠/١٤٣٠هـ - ١٨/١٠/٢٠٠٩م.
(٣) عدد الجمعة ٢٧/١٠/١٤٣٠هـ - ١٦/١٠/٢٠٠٩م. (ص ٣٢ وما بعدها).

وسنة رسوله، وخاصة آيات وأحاديث الأحكام، ولغة العرب، وعمل الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، مشهورًا بالصلاح والتقوىٰ، (فلا يُقبَل الدِّين من سفيه أو مأجور)، وأن يكون عالمًا بأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، ومراتب الإجماع، وأن يكون صاحب فطنة وذكاء أصيل، تعلَّم وتتلمذ علىٰ أيدي العلماء المخلصين، وقد زكَّوه في بذل العلم «بإجازة شرعيَّة» بعيدًا عن التعصُّب والتقليد إلا للحقِّ، وأن يكون صاحب نيَّة صالحة ليكون كلامه نورًا».

• فإذا سألت هؤلاء الذين اقتحموا علينا دين الله ﷻ بجهل وسفسطة، ونشروا وبثُّوا سمومهم في الصحف والمجلات لفتنة العوام. إذا سألتهم ماذا تعرفون عن دلالة الاقتضاء ودلالة الإشارة، ودلالة المفهوم، ومفهوم المخالفة، والمطلق والمقيَّد، والفرق بين التخصيص والنسخ، والعمل عند تعارض الأدلة، والمخصِّصات المنفصلة، ودرجات العموم والخصوص، والظاهر والمؤوَّل، والمجمَل والمبيَّن، والأمر والنهي، والمطلق والمقيَّد؟!

وسأضرب علىٰ ذلك مثالًا: فلو أن لو رجلًا فقيرًا من آل البيت سأل عن حكم أخذه للزكاة، فننظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ**﴾ **[التوبة:٦٠]**، فأفتاه بجواز أخذ الصدقة ما دام فقيرًا، عملًا بعموم «الفقراء» لكانت فتواه ضلالًا؛ لأن هذه الآية مخصَّصة بحديث النَّبيِّ ﷺ { **إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ** }[١].

---

(١) أخرجه مسلم ك: الزكاة، ب: ترك استعمال آل النَّبيِّ ﷺ على الصدقة، ح (١٠٧٢) من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه.

ومثال آخر: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { الجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ }[(١)]، فلو أفتى أحد بهذا الحديث دون قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { قَضَى رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشُّفْعَةِ فِي كُلِّ مَا لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وَقَعَتِ الحُدُودُ، وَصُرِّفَتْ الطُّرُقُ فَلاَ شُفْعَةَ }[(٢)]، فتعيَّن حمل الحديث الأول على الشريك. وهكذا. والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا.

ومن أراد أن يتعلَّم فعليه أن لا ينال العلم إلا بما قاله الشافعي:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ *** سَأُنْبِيكَ عَنْ تفصيلهاَ بِبَيَانِ

ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ *** وَإِرْشَادِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ

وكما يقول الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»: «عقول الرجال تحت أقلامها، والأقلام مطايا الأذهان».

فعقل الكاتب في قلمه، فما يُكتَب في الجرائد والمجلات ما هو إلا نتيجة لفوضى علميَّة نشاهد مآسيها، ونتجرَّع غُصَصَها، فَمَنْ في هؤلاء الكتاب يستحقُّ لقب: (عالم أو فقيه)؟![(٣)].

• قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ، كَثِيرٍ مُعْطُوهُ، الصَّلَاةُ فِيهَا قَصِيرَةٌ، وَالْخُطْبَةُ فِيهَا طَوِيلَةٌ، فَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ وَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالْآخِرَةِ، يَا قَوْمُ فَأَضِرُّوا بِالْفَانِيَةِ لِلْبَاقِيَةِ »[(٤)].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري ك: الحيل، ب: احتيال العامل ليهدى له، ح (٦٩٨١) عن أبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري ك: الشفعة، ب: الشفعة فيما لم يقسم، ح (٢٢٥٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) راجع «جامع بيان العلم وفضله»: لابن عبد البر، ب: فيمن يستحق أن يسمى فقيهًا أو عالمًا.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٤٨٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، والطبرني في المعجم الكبير، رقم (٨٥٦٦)، وانظر مصنف ابن أبي شيبة، رقم (٣٤٥١٩).

وقفة
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾

• الدِّينُ هو الطريقة والمنهج الذي يختاره الإنسان لحياته.

• قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[يوسف: ١٠٨].

• وأعمال الإنسان كثيرة ومتشعبة في ميادين شتَّى، لذلك فإن الإنسان بحاجة ماسَّة إلى خطة فكرية «عقيدة» تربط بين جميع أعماله وتُنَسِّقُها، وتلتقي عند هدف واحد، هو الهدف من وجود الإنسان الذي خلقه الله تعالى من أجل:

١- أن يكون خليفة في الأرض.

٢- أن يكون عالمًا بما يَعْلَمُه له.

٣- أن يتحمل الأمانة «التكاليف» التي أمره بها.

٤- أن يتعلم القرآن والبيان.

٥- أن يكون أحسن عملًا.

٦- أن يعلم أن سمعه وبصره ابتلاء منه.

٧- أن يتعارف بين الشعوب والقبائل بالتقوى.

٨- أن يعلم أن خلق الإنسان في أحسن تقويم مرتبط بالإيمان والعمل الصالح، وأن نجاة الإنسان من «الخسر» مرتبط أيضًا بالإيمان والعمل الصالح.

٩- أن إلى ربك المنتهى، وإلى ربك يومئذ المساق.

١٠- أنه من أهل الله إن كان تقيًا: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ [المدثر].



السؤال السابع: ما هي علامات أهل العلم؟

الجواب:

١- لا يَرَوْنَ أنفسهم، ويكرهون التزكية والمدح، ولا يتكبَّرون على أحد، وكلما ازدادوا في العلم ازدادوا تواضعًا لله وخشية.

٢- يهربون من الرياسة والإمارة والشهرة والمدح.

٣- لا يدَّعون العلم، ولا يفتخرون به على أحد، ولا يَنسِبون غيرهم إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها، فإنهم يتكلَّمون فيه غضبًا لله لا غضبًا للنفس.

٤- يسيئون الظن بأنفسهم، ويُحسِنون الظن بمن سلف من العلماء.

٥- لا يُحِبُّون الجدال، ولا يخوضون في التأويل بالهَوَىٰ أو لَيِّ النصوص، إنما يتحَرَّوْن الحقَّ من أجل الحقِّ جلَّ وعلا.

وبعد هذه المقدِّمة الهامَّة أظنُّ أنه الآن ظهر الحقُّ وجاء، وزهق الباطل وانطوىٰ، وعرفنا عمن نأخذ هذا الدِّين، والفرق بين العلماء والأدعياء والدخلاء.

كما عرفنا ذمَّ الهَوَىٰ، وليَّ النصوص، وأدعياء العلم، ولا يتبقَّىٰ في هذه المقدمة إلا معرفة إعجاب المرء برأيه، وذمّ البدع والمبتدعين حتىٰ يتضح لنا عند الحديث عن الغُلُوِّ في الحِجاب والنقاب رؤية كل متحدِّث، وصحَّة نسبته إلى المؤمنين الصالحين أو المنافقين أو المغرضين أو الذين في قلوبهم مرض، كما سنفصل ذلك في الحديث عن آيات سورة الأحزاب.

❁❁❁

وقفة
(أفضل الأعمال)

• أشرف العلماء من هَرَبَ بدينه من الدنيا واسْتَصْعَبَ قيادُهُ على الهَوَىٰ.

• أسرعُ المطايا إلىٰ الجنةِ الزهدُ في الدنيا، وأسرع المطايا إلىٰ النارِ حبُّ الشهوات.

• من غلب هواه عقلَه، وجزعُه صبرَه: افتُضِح، ومن أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات.

• صنم كل إنسان هواه، فإذا كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة.

• لن يَكمُل رجلٌ حتىٰ يُؤْثِرَ دينَه علىٰ شهوته، ولن يَهْلِكَ حتىٰ يُؤْثِرَ شهوتَه علىٰ دينه، ولا نوم أثقلُ من الغفلة، ولا رِقَّ أَمْلَكُ من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة.

• إذا غلب الهوىٰ أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم، فإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطانًا رجيمًا.

• من مَلَكَ شهوته في حال شبابه صيَّرَهُ الله ملكًا في حال كهولته، كيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

• العاقل من كان له علىٰ جميع شهواته رقيب من عقله.

• الهوىٰ مَلِكٌ عَسوفٌ، وسلطان ظلوم، دانت له القلوب، وانقادت له النفوس.

• وقال الشاعر:

عَاصِ الْهَوَىٰ إِنَّ الْهَوَىٰ مَرْكَبٌ *** يَصْعَبُ بَعْدَ اللَّيِنِ مِنْهُ الذَّلِيلُ
إِنْ يَجْلِبِ الْيَـوْمَ الْهَـوَىٰ لَـذَّةً *** فَفِي غَدٍ مِنْهُ الْبُكَا وَالْعَـوِيلُ
مَـا بَـيْنَ مَـا يُحْـمَـدُ فِيـهِ وَمَـا *** يَدْعُـو إِلَيْـكَ الـذَّمُّ إِلا الْقَلِيلُ

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن: ما هي عبادة الرأي؟

الجواب: رأي الإنسان يُبنَىٰ في الغالب علىٰ ميوله وثقافته وعلومه وأمانيه وإرادته، وما أحاط به من تربية وخبرة بالحياة، ولا شكَّ أن هناك رأيًا صائبًا سليمًا، ورأيًا خطًا وشاردًا وغير مصيب.

- فالرأي إن وافق الشرع الحنيف، فلا شكَّ أنه رأي صواب، وإن وافق العقل السليم فلا شكَّ أنه رأي راجح، وإن وافق الحقائق العلميَّة الثابتة فلا شكَّ أنه رأي سديد، وإن وافق الفطرة الربانيَّة والمصالح الإنسانيَّة فلا شكَّ أنه رأي مفيد نافع.
- والرأي إن وافق الهَوَىٰ وخالف الهدىٰ فلا شكَّ أنه رأي فاسد صادر عن نفس مغرورة مهزومة، وإن خالف العلم وحقائقه كان جدلًا وهزالًا، وإن خالف الفطرة الربانيَّة والمصالح الإنسانيَّة فهو رأي ممسوخ.
- وقد سُئِل أبو ثعلبة الخُشَنِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ** ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال:

« أَمَا وَالله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: { **بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ** }، وفي رواية: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ. قَالَ: { **بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ** }[1].

---

(١) أخرجه الترمذي ك: تفسير القرآن عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب.

• والرأي الصائب الرشيد يُعتَدُّ به في شرع الله ﷻ، فقد أمر الله تعالىٰ نبيَّه ﷺ بالشُّورىٰ، وجعل الدِّين النصيحة.

وهذا هو رأي المستشار المؤتمَن الذي هو أهل ليُستشار، وهو الرأي الذي لا يخالف القرآن الحكيم، ولا سنن النَّبيِّ الأمين الناتج عن الخبرة والحنكة.

ولقد أُعجِب النَّبيُّ ﷺ برأي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حفر الخندق، وبرأي الحُبابِ بن المُنذِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النزول عند بئر بدر.

• **ومن الرأي المذموم**: رأي كل ناعق متفيهق ثرثار يحب الشُّهرة ويميل إلىٰ الظهور، وهو غير مؤهَّل للحديث في هذا العلم أو ذاك الفن.

ولقد حذَّر الإسلام من:-

١- الجدل بغير علم أو هدىٰ.

٢- كل مَن تكلم في القرآن برأيه.

٣- مَن أفتىٰ بغير علم.

٤- سماع كلام أهل الأهواء والبدع.

٥- مَن ليس أهلًا للتخصُّص في مجاله.

• وقال ابن أبي العزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: [وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ]، «أَيْ لَا يَثْبُتُ إِسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ، وَيَنْقَادُ إِلَيْهَا، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ(١) عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَمِنَ الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ. وَهَذَا كَلَامٌ جَامِعٌ نَافِعٌ»(٢).

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « كُلُّ مَنِ ابْتَغَىٰ فِي تَكَالِيفِ الشَّرِيعَةِ غَيْرَ مَا شُرِعَتْ لَهُ؛ فَقَدْ نَاقَضَ الشريعة، وما نَاقَضَهَا؛ فَعَمَلُهُ فِي الْمُنَاقَضَةِ بَاطِلٌ، فَمَنِ ابْتَغَىٰ فِي التَّكَالِيفِ مَا لَمْ تُشْرَعْ لَهُ؛ فَعَمَلُهُ بَاطِلٌ»(٣).

• وقال الشيخ السعدي في تفسيره: «وإن ما جاء به الرسول يتعين علىٰ العباد الأخذ به واتِّباعه، ولا تحل مخالفته، ولا رخصة لأحد في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٤).

• ويقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا»(٥).

• ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَقُولُونَ: فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لم يثبت عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هُوَ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الخير إلا وقد بادروا إليها »(٦).

• وفي الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا،**

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في ترجمة باب: (قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة:٦٧]).
(٢) شرح العقيدة الطحاويَّة: لأبي العز الحنفي، ص (١٦٨).
(٣) الموافقات للشاطبي (٣/٢٧- ٢٨).
(٤) تفسير: تيسير القرآن للرحمن السعدي (٧/٣٣٣).
(٥) الاعتصام للشاطبي (١/٤٩).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/١٥٦).

لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ }(١).

ويقول أيضًا: «لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحقُّ الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة».

وكان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوَّذ بالله من الأهواء قائلًا: **{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ }**(٢).

وليست الإشكاليَّة في وجود هوًى في نفس العبد يدعوه إلى مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ذلك ميدان للاختبار والامتحان، وإنما الإشكاليَّة في اتِّباع العبد الهَوَى، وأخذه لما يحبُّ، وتركه لما يبغض، وجعل ذلك هو الباعث والدافع إلى القول والفعل، سواء وافق ذلك محبوب الله عَزَّ وَجَلَّ أم خالفه.

ولقد حذَّر الله سبحانه وتعالى من تقديم آراء الآباء والشيوخ والأكابر على نصوص الوحي.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾**﴾[المائدة]، أي: إذا دعوا إلى قول الله أو قول رسوله قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه ب: (اتِّباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) ح (٤٣) من حديث العرباض بن ساريَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي ك: الدعوات، ب: دعاء أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ح (٣٥٩١) من حديث قطبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حديث حسن غريب، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨) بزيادة (والأدواء) (٣٥٩١). ورواه أصحاب السنن وصحَّحه الألباني في المشكاة (١٣).

الطرائق والمسالك، حتى لو كان آباؤهم لا يفهمون حقًّا، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتَّبعونهم على هذه الحالة؟! فلا شكَّ في أن من يتبعهم هو أجهل منهم وأضل سبيلًا.

لقد كرَّم الله ﷻ الإنسان وفضَّله بالعقل، وامتدح في كتابه ذوي الألباب والعقول. قال سبحانه: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩**﴾ [ص]، ولكن كثيرًا من الناس لم يبقوا العقل في المكانة التي وضعه الله سبحانه فيها، بل زلُّوا فيه على صنفين: صنف عطَّله ولم يقم له وزنًا، وصنف بالغ فيه وجعله مصدرًا للتشريع، وقدَّمه على النقل الصحيح، حيث بنَوا لأنفسهم ضلالات يسمونها تارة بالحقائق واليقينيَّات، وتارة بالمصالح والغايات التي تهدف النصوص إلى تحقيقها، وإن لم تنصَّ عليها، ثم يأخذون النصوص الثابتة بالظنِّيات، فيعرضونها على تلك الضلالات، فما وافقها قبلوه، وما عارضها ردُّوه، اعتمادًا منهم على قاعدة: «**اليقين لا يزول بالشك!**»، ولم يعلم هؤلاء أن للعقول حدودًا تنتهي في الإدراك إليها، وأن الله ﷻ لم يجعل لها سبيلًا إلى إدراك كل شيء.

❁ ❁ ❁

وقفة
{ من رغب عن سنتي فليس مني }

• «نفوسكم مطايكم إلى ربكم، فأصلحوا مطايكم توصلكم إلى ربكم، فمن وفَّى نفسه حظها من المباح بنية التقوى على تقويتها على أعمال الطاعات كان مأجورًا على ذلك» «الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

❁❁❁

• سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: {كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ}، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: {هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ }**(٢).

• وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ذكر له: أن **مَوْلَاةً لِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَكِنِّي أَنَا أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، فَمَنْ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ثُمَّ فَتْرَةً**(٣)**، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى بِدْعَةٍ فَقَدْ ضَلَّ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَى }**(٤).

١- المخموم: من خممت البيت إذا كنسته.

٢- أخرجه ابن ماجه ك: أبواب الزهد، ب: التقوى والورع، ح (٤٢١٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال عنه أبو حاتم الرازي في العلل (٢/ ١٢٧): حديث حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في الترغيب والترهيب رقم (٢٨٨٩)، ورواه ابن ماجه والبيهقي، وفي السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٨) جزء (٢) صفحة (٦٣٢).

٣- الشِّرَّة: النشاط والرغبة، والفترة: الانكسار والضعف.

٤- أخرجه أحمد مرسلًا عن مجاهد عن رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٣٤٧٤). ورواه ابن أبي عصام وابن حبان والطحاوي في المشكل، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٥٢) وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٦) جزء (١).

السؤال التاسع: لماذا نهانا الإسلام عن الفرقة والاختلاف؟ وإلى من نرد الأمر عند النزاع أو الشقاق؟!

الأصل أن هذه الأمَّة أمَّة واحدة، أمرها واحد بنصِّ الكتاب والسنة، وأن الفرقة والاختلاف ضعف للأمَّة وفرصة لطمع الاعداء فيها. فقد أمر الله تعالىٰ بالوحدة الاعتصام بحبل الله جميعًا، ونهىٰ عن الفرقة والاختلاف والتنازع.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء]، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]. وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾[الأنعام:١٥٩].

وفي الحديث قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ }. وفي رواية: { فَاضْرِبُوهُ

بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ }(١). وهذا الحديث يؤكِّد أهميَّة الوحدة والجماعة، فأباح قتل معصوم النفس، وأهدر دمه إذا أراد تفرقة الأمَّة وإحداث الفتنة فيها.

• والاختلاف ضدُّ الاتفاق والاجتماع. قال الفيومي: «خالفته مخالفة وخلافًا وتخالف القوم واختلفوا. إذا ذهب كل واحد إلىٰ خلاف ما ذهب إليه الآخر. وهو ضد الاتفاق، والاسم الخلف بضم الخاء»(٢). وأشد أنواع الاختلاف ضررًا وأعظمها خطرًا، هو ما كان بعد اجتماع واتفاق.

والخلاف شرٌّ، وهو من السبل التي تحيد بنا عن الصراط المستقيم .

قال الله ﷻ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾[الأنعام:١٥٣].

وبيَّن الله ﷻ أن الذين اختلفوا في الكتاب في شقاق بعيد: ﴿**وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾**﴾ [البقرة].

وأوجب علينا بصيغة الأمر إقامة الدِّين وعدم الفرقة فيه قال تعالىٰ: ﴿**أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ**﴾[الشورى:١٣].

• وفي الحديث: عن عَبْدِ الله بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: { **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ**

---

(١) أخرجه مسلم ك: الإمارة، ب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ح (١٨٥٢) من حديث عرفجة بن شريح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) المصباح المنير مادة خلف (١/١١٧٩).

قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ }(١).

وعند البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: { لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا }(٢).

• وفي الصحيح عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[الأنعام:٦٥]، قَالَ: { أَعُوذُ بِوَجْهِكَ }، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قَالَ: { أَعُوذُ بِوَجْهِكَ }، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قَالَ: { هَاتَانِ أَهْوَنُ، - أَوْ أَيْسَرُ - }(٣).

• قال الطحاوي: «ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا»(٤).

• قال ابن أبي العزِّ في شرحه: « وَالْأُمُورُ الَّتِي تَتَنَازَعُ فِيهَا الْأُمَّةُ - إِذَا لَمْ تُرَدَّ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ - لَمْ يَتَبَيَّنْ فِيهَا الحَقُّ، بَلْ يَصِيرُ فِيهَا الْمُتَنَازِعُونَ عَلَىٰ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ [إِنْ] رَحِمَهُمُ اللهُ أَقَرَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَمْ يَبْغِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ... فَالنَّاسُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ الرَّسُولَ: إِمَّا عَادِلُونَ وَإِمَّا ظَالِمُونَ، فَالْعَادِلُ فِيهِمْ: الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ، وَالظَّالِمُ: الَّذِي يَعْتَدِي عَلَىٰ غَيْرِهِ. وَأَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا يَظْلِمُونَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَظْلِمُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا

---

(١) أخرجه مسلم ك: العلم، ب: النهي عن اتِّباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، ح (٢٦٦٦) من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، ح (٣٤٧٦).
(٣) أخرجه البخاري ك: الاعتصام، ب: قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾، ح (٧٣١٣).
(٤) شرح العقيدة الطحاويَّة، ص (٥٧٧).

ﭐخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾[آل عمران:١٩]، وَإِلَّا فَلَوْ سَلَكُوا مَا عَلِمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ، أَقَرَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَالْمُقَلِّدِينَ لِأَئِمَّةِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، فَجَعَلُوا أَئِمَّتَهُمْ نُوَّابًا عَنِ الرَّسُولِ، وَقَالُوا: هَذَا غَايَةُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَالْعَادِلُ مِنْهُمْ لَا يَظْلِمُ الْآخَرَ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَيْهِ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، مِثْلَ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ قَوْلَ مُقَلِّدِهِ هُوَ الصَّحِيحُ بِلَا حُجَّةٍ يُبْدِيهَا، وَيَذُمُّ مَنْ خَالَفَهُ، مَعَ أَنَّهُ مَعْذُورٌ »(١).

• قال ابن حزم بعد ذكر عدد من الآيات والأحاديث في ذمِّ الاختلاف والنهي عنه: « ففي بعض ما ذكرنا كفاية لأن الله تعالىٰ نص علىٰ أن الاختلاف شقاق وأنه بغي، ونهىٰ عن التنازع والتفرُّق في الدِّين، وأوعد علىٰ الاختلاف بالعذاب العظيم وبذهاب الريح، وأخبر أن الاختلاف تفريق عن سبيل الله، ومن عاج عن سبيل الله تعالىٰ فقد وقع في سبيل الشيطان قال تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[البقرة:٢٥٦]، وقد نصَّ تعالىٰ علىٰ أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنىٰ ذلك أنه تعالىٰ لم يرض به وإنما أراده تعالىٰ إرادة كون، كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي، فإن قال قائل إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس، أفيلحقهم هذا الذم؟ قيل له: - وبالله تعالىٰ التوفيق - كلَّا ما يلحق أولئك شيء من هذا؛ لأن كل امرئ منهم تحرَّىٰ سبيل الله ووجهة الحقِّ، فالمخطئ منهم مأجور أجرًا واحدًا لنيَّته الجميلة في إرادة الخير، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم؛ لأنهم لم يتعمَّدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم.

والمصيب مأجور منهم أجرين، وهكذا كل مسلم إلىٰ يوم القيامة فيما خفي عليه

(١) شرح الطحاويَّة، ص (٥٧٨).

من الدِّين ولم يبلغه، وإنما الذمُّ المذكور والوعيد الموصوف لمن ترك التعلُّق بحبل الله تعالىٰ الذي هو القرآن وكلام النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد بلوغ النصِّ إليه، وقيام الحجة به عليه، وتعلَّق بفلان وفلان مقلِّدًا عامدًا للاختلاف، داعيًا إلىٰ عصبية وحميَّة الجاهلية، قاصدًا للفرقة، متحرِّيًا في دعواه بردِّ القرآن والسنة إليها، فإن وافقها النصُّ أخذ به، وإن خالفها تعلَّق بجاهليَّته وترك القرآن وكلام النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهؤلاء هم المختلفون المذمومون.

وطبقة أخرىٰ وهم قوم بلغت بهم رقَّة الدِّين وقلَّة التقوىٰ إلىٰ طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلِّدين له، غير طالبين ما أوجبه النصُّ عن الله تعالىٰ وعن رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

وكلام ابن حزم دقيق وثمين، ويدل علىٰ فهم عميق وصحيح للإسلام وقواعده. وبتطبيق هذا الكلام علىٰ قضيَّة الخلاف بين الحِجاب والنقاب يتبين لك الحقُّ.

• وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، فذمَّ الخلاف. وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

قال مجاهد وعطاء في تفسير هذه الآية: إلىٰ الكتاب والسنة.

قَالَ الْمُزَنِيُّ: «فَذَمَّ اللهُ الِاخْتِلَافَ وَأَمَرَ عِنْدَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَلَوْ كَانَ الِاخْتِلَافُ مِنْ دِينِهِ مَا ذَمَّهُ، وَلَوْ كَانَ التَّنَازُعُ مِنْ حُكْمِهِ مَا أَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٧، ٦٨).

عِنْدَهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ »(١).

فلم يكن شيء أبغض إلى الله تعالى بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع، ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾[هود: ١١٨- ١١٩]، خصَّ الاختلاف المذموم في الإسلام بما كان عن تفرقة أو سببًا للتفرُّق، فالحقُّ واحد لا يتعدَّد، وعلينا الاجتهاد لمعرفة أرجح الأقوال وأصوبها، واتِّباع ذلك.

فالعمل بكتاب الله تعالى لا عذر لأحد في تركه، وسنة رسوله ماضية، وأصحاب النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اتِّباعهم للهداية، فكلهم ثقات مؤتمنون على دين الله عَزَّ وَجَلَّ، لذلك كان الاختلاف في الأصول شرَّ فساد كالاختلاف في تنزيل القرآن وتأويله، والاختلاف في القدر، وفي صفات الله وأسمائه.

• قال الإمام المطلبي الشافعي: «كل ما أقام به الله تعالى الحُجَّة في كتابه أو على لسان نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصوصًا بيِّنًا لم يَحل الاختلاف فيه »(٢).

• والخلاف لا يجوز في فرع ولا أصل مع ورود البينات من الله ورسوله، ووجود الحُجَّة في كلامهما، وكذلك مع إجماع الأمَّة الإسلاميَّة، وإذا وجد النصُّ الصحيح فلا إجماع لمخالفته سواء كان متواترًا أم آحادًا، وكذلك ما أجمع عليه أهل الإسلام.

والحذر كل الحذر من تتبُّع رُخَص العلماء ليتهرَّب من الواجب الشرعي عليه.

قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشرُّ كله».

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٣).
(٢) الرسالة للشافعي (٥٦٠).

وقال ابن الصلاح: «من تتبَّع رخص العلماء تزندق».

ولا يُلتَفت إلىٰ زلَّة عالم ولا هفوته، فمن تتبَّع سقطات العلماء وهفواتهم فهو الخبيث الذي يأكل لحومهم، ولحوم العلماء مسمومة، وهو المتَّبع لهواه، فما صادف هواه قبله وما خالفه ردَّه، أو أوَّله تأويلًا باطلًا لم ينزل الله به سلطانًا.

وقد يَستدِلُّ بعض من رقَّ دينه وقلَّ علمه في جواز كشف وجه المرأة متشبِّثًا بقول العالم الجليل الشيخ الألباني في كتابه الحِجاب، والعجيب أن هؤلاء المحتجِّين بقول الألباني هم مخالفون له في أشياء صحيحة وافق فيها جمهور الأمَّة؛ لأنها خالفت أهواءَهم فقط!!

ومن ذلك تجويز بعضهم للمعازف والغناء يتَّبعون زلَّة إمام فاضل وهو الإمام ابن حزم، وكما قيل: لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، وقد ردَّ العلماء علىٰ ابن حزم هفوته تلك، ومن أُحصيت هفواته فهو من الفائزين إن شاء الله، ضاربًا بأقوال العلماء الآخرين عرض الحائط لموافقة تلك اللَّذَّة لهواه.

❁ ❁ ❁

- **أسباب الخلاف عند أصحاب البدع والأهواء والمتعصِّبين وغيرهم**:-

١ـ اتِّباع الهَوَىٰ. **٢ـ** الجهل بأصول الدِّين وقواعده.

٣ـ عدم جمع الأدلة، والترجيح والجمع بينها إن ظهر لك تعارض.

٤ـ اتِّباع التأويلات الباطلة. **٥ـ** ردُّ النصوص الصحيحة.

٦ـ التعصُّب لشيخ أو مذهب أو طريقة أو جماعة، والانتصار لها.

٧ـ اتِّباع زلَّات العلماء وهفواتهم(١).

---

(١) راجع كتاب: «الاختلاف رحمة أم نعمة» الأمين الحاج محمد.

وقفة
سلامة الدين

• ذكر عبد الله بن مسلم العجلي أنه كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلىٰ وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترىٰ أحد يرىٰ هذا الوجه لا يفتن به؟ قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير. قالت: فائذن لي فلأفتننه. قال: قد أذنت لك. قال: فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله! قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني أسألك عن شيء فإن صدقتيني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: قد صدقت. قال: فلو أدخلت في قبرك وأُجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: قد صدقت. قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو جيء بالموازين لا تدرين تخفين أم تثقلين. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: لو وقفت بين يدي الله للمساءلة. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: اتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، قال: فرجعت إلىٰ زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطَّال ونحن بطَّالون، فأقبلت علىٰ الصلاة والصوم والذكر والعبادة. قال: فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير، أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها زاهدة.

السؤال العاشر: لماذا ذمَّ الله التقليد؟

التقليد هو: «الرجوع إلى قول لا حُجَّة لقائله عليه»، وهو مذموم، ولا يجوز إلا لمن ليس له أدنى مقدِرة على معرفة الأحكام الشرعيَّة.

وهو أدنى درجات المكلَّفين، وقد ذمَّ الله ورسولُه وأهلُ العلم التقليدَ وأهلَه، وحذَّروا منه لغير العامَّة.

قال تعالى: ﴿**فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٧﴾﴾[الأنبياء].

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠** ﴿٦٦﴾ **وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠** ﴿٦٧﴾﴾[الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴿١١١﴾﴾[البقرة].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴿١٧٠﴾﴾[البقرة].

- وقد أفرد أبو عمر ابن عبد البر في كتابه «**جامع بيان العلم**» بابًا بعنون: (فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والاتِّباع)، وأورد فيه هذه الآثار:

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «اُغْدُ عالمًا أو متعلمًا ولا تَغْدُ إمَّعةً فيما بين ذلك».

وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كن عالمًا أو متعلمًا أو مستعلمًا أو محبًّا للعلم ولا تكن الخامس (االمبتدع المقلد) فتهلك».

- وقد أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرض أقوال العلماء على ميزان الشرع،

فما وافق الشرع قبلناه وما خالفه تركناه، هذا في أقوال العلماء.. فأين نضع إذن أقوال السفهاء! ومن هو ليس أهلًا للعلم والكلام في الدِّين وأحكامه؟!.

وهناك فرق بين التقليد والاتِّباع: فالتقليد إنما يكون عن هوًى وضلال، والاتِّباع يكون عن وحي وهدًى.

وقد ترك فينا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرين لن نضلَّ إن تمسَّكنا بهم هما: «كتاب الله وسنَّته»، وقد حذَّرنا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زلَّة العالم، ومن الحكم الجائر، ومن الهوَى المتبَّع.

وعن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: « يَهْدِمُ الزَّمَانَ ثَلاثٌ: ضَيْعَةُ عَالِمٍ، وَمُجَادَلَةُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ »(١).

وقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِثَلَاثٍ؟ دُنْيَا تَقْطَعُ أَعْنَاقَكُمْ، وَزَلَّةِ عَالِمٍ وَجِدَالِ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، فَسَكَتُوا فَقَالَ: أَمَّا الْعَالِمُ فَإِنِ اهْتَدَىٰ فَلَا تُقَلِّدُوهُ دِينَكُمْ، وَإِنِ افْتُتِنَ فَلَا تَقْطَعُوا مِنْهُ أَنَاتَكُمْ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُفْتَتَنُ ثُمَّ يَتُوبُ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَلَهُ مَنَارٌ كَمَنَارِ الطَّرِيقِ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهُ، وَمَا شَكَكْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَمَنْ جَعَلَ اللهُ الْغِنَىٰ فِي قَلْبِهِ فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ لَا فَلَيْسَ بِنَافِعَتِهِ دُنْيَاهُ ».

وقال أبو عمر ابن عبد البر: وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يُسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ: « يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ، وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ:

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (١٤٧٥)، وانظر سنن الدارمي (٦٧٥).

فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ أتباع كُلِّ نَاعِقٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَا هُنَا لَعِلْمًا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، لَوْ أَصَبْتَ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى لَقَدْ أَصَبْتَ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ يَسْتَعْمِلُ الدُّنْيَا لِلدِّينِ وَيَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ تَعَالَى عَلَى كِتَابِهِ وَبِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ. أُفٍّ لِحَامِلِ حَقٍّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لَا يَدْرِي أَيْنَ الحَقُّ؟ إِنْ قَالَ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ لَمْ يَدْرِ مَشْغُوفٌ بِمَا لَا يَدْرِي حَقِيقَتَهُ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ فُتِنَ بِهِ وَإِنَّ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَنْ عَرَّفَهُ اللهُ دِينَهُ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ دِينَهُ».

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا لَا يُقَلِّدَنَّ أَحَدُكُمْ دِينَهُ رَجُلًا إِنْ آمَنَ آمَنَ وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ، فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ فِي الشَّرِّ»(١).

• **اعرِف الحقَّ تعرِف أهلَه:** الحقُّ لا يُعرَف بالرجال، ولكن يُعرَف الرجال باتِّباعهم الحقَّ ودورانهم معه حيث يدور.

وتقليد الرجال والتعصُّب لكل ما يقولونه عارٌ وشَنار. فالرجال يُعرَفون بالحقِّ وباتِّباعهم له ودفاعهم عنه وحمايتهم له بكل غالٍ ورخيص.

فمقياس الأمور الذي نعرف به صحيحَها من سقيمها، وحقَّها من باطلها هو: **كتاب الله وسنة رسوله**، فما وافق الكتاب والسنَّة فهو الحقُّ البين ولو خالفه الأخيار والفجار أو عارضوه، لأن ما خالف الكتاب والسنة هو الزيغ والضلال ولو جاء به من تُعِزُّه وتحترمه وتكرمه وتقدِّره. فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟!.

❁❁❁

(١) أخرج هذه الآثار ابن عبد البر في جامع بيان العلم ب: (فساد التقليد)، (٢/ ٩٧٥ وما بعدها).

فالتقليد والاتِّباع بدون هدىٰ وبصيرة لا يجوز حتىٰ للعلماء وأئمة المذاهب الذين هم ورثة الأنبياء حتىٰ يأتوا بالدليل. فكيف بتقليد مشايخ الطرق والزعماء والسياسين والكتَّاب والقادة وغيرهم؟ مما لا شك فيه أن تقليد هؤلاء أشدُّ خطرًا وأعظم ضررًا.

والتقليد والتعصُّب سببه اتِّباع الهَوَىٰ وليُّ النصوص، والفوضى العلميَّة التي نحياها اليوم، وقد تنبَّأ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذهاب العلم وقبض العلماء، واتخاذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، وهذا من علامات قرب يوم القيامة.

فالعلم لا يقبض من صدور الرجال، وإنما يقبض بموت العلماء، وذهاب الأخيار، وبقاء الجهَّال والفجار، وقد وقع ما أخبر به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الحديث: { **إِنَّ اللهَّ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** }(١).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: « فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَىٰ حِفْظِ الْعِلْمِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ تَرْئِيسِ الْجَهَلَةِ وَفِيهِ أَنَّ الْفَتْوَىٰ هِيَ الرِّيَاسَةُ الحقيقِيَّةُ وَذَمُّ مَنْ يُقْدِمُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ »(٢).

لذلك فالتقليد بدون دليل ودون معرفة الحُجَّة ممنوع، إذ إن تقليد العلماء لا يصح إلا للعامة فيما نزل عليها من نوازل، فكيف بتقليد غيرهم ممن يُعرَف عنه

---

(١) أخرجه البخاري ك : العلم، ب: كيف يقبض العلم، ح (١٠٠)، ومسلم ك: العلم، ب: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل..، ح (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
(٢) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٩٥).

قلَّة الدِّين والفقه والورع؟.

• قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت، فمن جاء برأي خير منه قبلناه».

• وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما إني بشر أصيب وأخطئ، فاعرِضوا قولي على الكتاب والسنة، فكلٌّ يؤخَذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر». وأشار إلى قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط، وإذا رأيت الحُجَّة موضوعة على الطريق فهي قولي».

• وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تقلِّدوني، ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعيَّ، ولا الثوريَّ، وتعلَّموا كما تعلَّمنا، ومن قلَّة علم الرجل أن يقلِّد دينه الرجال، لا تقلِّدْ دينك الرجال، فإنهم لم يَسْلموا من أن يغلطوا».

ولا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتي أو يتكلَّم في دين الله بدون علم، وقد حذَّر اللهُ رسولهَ وسائرَ علماء الأئمة من ذلك تحذيرًا شديدًا، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقال: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة]، وأمر الله تبارك وتعالى بسؤال أهل العلم فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، وأهل الذكر: هم العلماء الأتقياء العاملون بعلمهم ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى.

والحذرَ كلَّ الحذرَ من أناس يجادلون في القرآن، فيستدلون به لتأييد أهوائهم.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن سمع قومًا يتمارَون في القرآن فقال: { **إِنَّما هَلَكَ مَنْ**

كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ الله يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ }(١).

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «أعلم الناس أبصرهم بالحقِّ إذا اختلف الناس».

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «لا خير في عبادة ليس فيها تفقُّهٌ، ولا علم ليس فيه تفهُّمٌ، ولا قراءة ليس فيها تدبُّرٌ».

❁❁❁

لذلك سوف يظلُّ الإسلام معروفًا وباقيًا بسمته، وهو الاستعلاء على المبادئ الأخرى، جازمًا بضلالها، وهجر وكشف كل صاحب هوًى بالحُجَّة والبرهان، ومخاطبة العقل والفطرة.

لذلك لم تبق لأي نبي أو رسول معجزة باقية بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، إلا معجزة واحدة باقية إلى قيام الساعة وهي معجزة القرآن الكريم والسنة (الوحي)، معجزة الحُجَّة والبيان، معجزة التحدِّي بأن يأتوا بسورة من مثله، ولو اجتمع الإنس والجن أو افترقوا.

وصدق الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

❁❁❁

(١) رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ح (٢٣٧). وانظر جامع «بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٤٩).

وقفة
(الذلّ في معصية الله ﷻ)

- { **اتق المحارم تكن أعبد الناس** }. (حديث رواه أحمد والترمذي).
- قلة حيائك ممن عن اليمين وعن الشمال (رقيب عتيد) وأنت على الذنب أعظم من الذنب.
- وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب.
- وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب.
- وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به.
- وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك، أعظم من الذنب إذا عملته.
- إن العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذامًّا.
- ما عَصَى اللهَ تعالى عبدٌ إلا أذلَّه الله تبارك وتعالى.
- أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المحارم.
- لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.
- إن الرجل ليصيب الذنب في السرِّ فيصبح وعليه مذلته.
- قيل لأحد الصالحين: أيجد طعم العبادة مَن يَعصي؟ قال: «لا ولا مَن يَهِمُّ».
- رُوِيَ عن الحسن البصري أنه كان إذا ذكر أهل المعاصي يقول: «هانوا عليه فعَصَوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم».
- وقال محمد بن كعب القرظي: «ما عبد الله بشيء قط أحب إليه من ترك المعاصي».
- وقال الفضل: «بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عنده».
- وقال بشر: «إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل».



السؤال الحادي عشر: هل يُعرَف الحقُّ بالكثرة؟

الجواب: الثبات على الحقِّ - وإن قلَّ ناصروه وكثر معارضوه - هو علامة أهل الحقِّ. ومن أجمل وأمتع نعم الله تعالى على عباده الهداية والاستقامة والصلاح، ولكن فتن الدنيا ومُغرياتها كثيرة وعديدة ومتنوِّعة، ومن الناس من يسير إلى الله تعالى على الصراط المستقيم، ولكنه بعد فترة قد يُصيبه الملل أو الضَّجر أو حبُّ الدنيا أو تجربة السعادة الوهميَّة التي فيها أهلها، أو يقع تحت تأثير الفتن، سواء كانت فتن المادة أو المال أو الشهوات أو السلطان أو الأعداء أو المنافقين، فتجده بعد فترة يحيد عن الطريق خطوة وهو متردِّد بين الصراط المستقيم، وجمال الهداية ورونقها، وبهاء الدِّين وتمامه وسعادته، وبين الشَّهَوات والشُّبُهات، وأصحاب الأهواء والأطماع والمصالح.

ولْيعلم هذا المتردِّد أن الطريق إلى الله تعالى المُوصل إلى جنته طويل وشاقٌّ، والمتساقطون فيها كثرة، فمنهم من يسقط في أوله، ومنهم من يسقط في أوسطه، ومنهم من يسقط وبينه وبين الجنة ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيكون من أهل النار، كما أخبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

- قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨** ﴾[النساء].

- ولقد بيَّن الله تبارك وتعالى أن أهل النار كثرة، والنار تقول هل من مزيد؟ وأن أهل الجنة قلَّة، وأصحابها هم الوارثون ﴿ **ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١** ﴾[المؤمنون].

فإذا انتقل الصالح إلى الفساد والمعاصي والكفر فلن يضرَّ إلا نفسه، ولا يضرَّ

الله شيئًا، والشيء إذا زاد قلَّ سعره، وانخفضت قيمته وكسدت بضاعته، فلا يقيم الله سبحانه له وزنًا. وإذا انتقل العاصي أو الفاسق أو الكافر إلىٰ سبيل المؤمنين، نفع نفسه، وأرضى ربَّه تبارك وتعالىٰ، وغلا سعره، وزادت قيمته، وعزَّ في الدنيا والآخرة حيث صار من القليل، والشيء كلما ندر وقلَّ زادت قيمته، وغلا قدره، وعلا شأنه، لذلك قال تعالىٰ: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴿١٣﴾﴾[سبأ]، وقال أيضًا: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾[ص:٢٤]. وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[الأنعام: ١١٦].

ألا ترىٰ أصحاب الخير من الأمراء والفقهاء والعلماء والمخترعين والأغنياء والسادة قليلين في قوم كثيرين؟!، وقال أهل الصلاح: « لا تغترَّ بالحقِّ وقلَّة السالكين فيه، ولا بالباطل وكثرة الهالكين فيه ». فالكثرة لا تدل علىٰ الحقِّ أو الصواب، إنما يستدل علىٰ الحقِّ بما وافق الحقُّ جلَّ وعلا.

• «الحقُّ ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك»، وأورد اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِل عن الجماعة، فقال: «إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ».

• ولقد بيَّن لنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **وهو الرائد الذي لا يكذب أهله** - حال الكثرة في آخر الزمان. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** }، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: { **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ** }، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟

قَالَ: { حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ }[١].

وفي رواية أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: { حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ }[٢].

فانظر لحال الكثرة غير المتميِّزة بحبِّ الله تعالىٰ وحبِّ الجهاد في سبيله بالمال والنفس، والإقبال علىٰ الآخرة، وهم غثاء يسير مع الموج حيث سار، وهم كما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥﴾[المدثر].

• وفي الحديث: { مَا غُلِبَ قَوْمٌ قَطُّ، بَلَغُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ }[٣]، فانظر لهذه القلَّة الملتزمة بالسنَّة والجماعة، وإقامة الدِّين والحقِّ، لا تُغلَب من قلَّة أبدًا.

• واعلم أن الإيمان وصحَّته يضاعِف العدد، فالواحد قد يكون بعشرة، أو باثنين حال الضَّعف، وقد يكون بألف، كما قال عمر لقائده عندما طلب منه المدد: «سأرسل لك أربعة آلاف رجل علىٰ كل ألف رجل بألف».

لذلك فإن المسلم إذ ارتدَّ، أو أصابه الضَّعف في دينه، أو أصاب دينه رقَّة أو فتنة لا يستحِقُّ العجب أو الإعجاب، إنما يستحِقُّ الإعجاب والفخر والاعتزاز مَن ثبت علىٰ دينه رغم الفتن وكثرتها، والمغريات وتعدُّدها، وأهل الضلال وزيادتهم، قال أحد الصالحين: «لا تعجَب ممن ضعُف كيف ضعُف ولكن اعجَب ممن ثبَتَ كيف ثبَتَ».

فانظر وتأمَّل قوله: «ولكن اعجَب ممن ثبَتَ» أي: ثبَت علىٰ الحقِّ والدِّين،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٧) من حديث ثوبان مولى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان، وصحَّحه الألباني في السلسة الصحيحة (٩٥٨)، (٢/٦٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) الروض البسام بتخريج فوائد تمام (٨٦٩).

وكيف أعزَّه الله تعالىٰ وأعلىٰ قدره وشأنه، ورفع الله أقوامًا بهذا الثبات.

• وقال الحسن البصري: «إن لله عبادًا هانوا علىٰ الله فعصَوه ولو عَزُّوا عليه لَعصَمَهم».

وتأمَّل قوله: «إن لله عبادًا هانوا علىٰ الله» أي: رخَصوا لم تَعُد لهم قيمة ولا مقام عنده ولا مكانة، ولا ينظر إليهم، أهملهم بمعاصيهم، وحجب عنهم رعايته ورحمته وتوفيقه وسكينته ورضوانه، «ولو عزُّوا علىٰ الله لعصمَهم» أي: لو كان الواحد عزيزًا عند الله تعالىٰ لعصمَه الله تعالىٰ من الزَّلَل ومن المعاصي والفواحش.

تأمَّل ذلك، وأسأل نفسك لماذا تكون هيِّنًا عند الله تعالىٰ بمعصية أنت في غِنًىٰ عنها؟! ما قيمة هذه المعاصي التي تُسقِطُ قدرك عند الله تعالىٰ؟! ولو لم يكن في ترك المعاصي والبعد عنها إلا هذه لكفَت.

فالثبات علىٰ الهداية هي أعظم النِّعَمِ علىٰ الإطلاق، فلا فائدة للهداية دونها، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف:٤٣].

لقد امتنَّ الله تعالىٰ علىٰ أصحاب الفلاح والرضوان بنعمة زيادة الهداية والربط علىٰ القلب، حتىٰ يجعله يقبل الإيمان ولا يقبل الكفر. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[الكهف]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[محمد]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] ، وعلَّمنا الله تعالىٰ كيف ندعوه بالثبات في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[آل عمران].

ومن ذلك قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** }(١)،

---

(١) أخرجه الترمذي ك: القدر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ب: ما جاء أن القلوب بين =

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الفتن: { بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا }(١).

لذلك كان حسن الخاتمة هي أسمى أماني المؤمن التي يدعو الله بها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {... وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ }(٢)، ولما كان الموت قد يأتي بغتة وعلى غفلة، مما يجعل المسلم على حذر وخوف دائمًا إن أخطأ أو أصابه الكسل في العبادة وعمل الخيرات، أو وقع في معصية، أو أهمَل في عمله، أو أخطأ في تعاملاته، أو فسدت أخلاقه.. أن يأتيه ملك الموت وهو على ذلك، وتكون الفاجعة بسوء الخاتمة.

وما أجملَ أن يتخيَّل العبد ويتذكَّر دائمًا قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]!!.

ولقد ذكرت ذلك الفصل في الثبات على الحقِّ حتى لا تميل النفس المؤمنة أو تهوَى يومًا ما عليه أهل الباطل من سُفور وتبرُّج وزينة، وأن تعلم المؤمنة أن كل غالٍ ونفيس مُصان، وأن كل رخيص ومعروض مُهان، وأن شموخ الإيمان، واستعلاء المؤمنة بحِجابها وفخرها به، لهو دليل إيمانها وعفَّتها، وأنه من التميُّز الذي أراده الله تعالى لهذه الأمَّة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

= إصبعي الرحمن، ح (٢١٤٠)، وقال: هذا حديث حسن. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٨٠١) والسلسة الصحيحة (٥/١٢٦) رقم (٢٠٩١).

(١) أخرجه مسلم ك: الإيمان، ب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري ك: القدر، ب: العمل بالخواتيم، ح (٦٦٠٧)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقفة
(دوام العافية)

- مَن سرَّه أن تدوم له العافية فليتَق الله ﷻ.
- قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وامرأتي، فمتى رأيتَ تكديرًا في حالك، فتذكَّرْ ذنبًا منك وقع».
- الذنوب تنقضي لذَّتُها وتبقَى تَبِعَتُها.
- وكان سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

تفنَى اللذاذةُ ممن نال صفوتَها   من الحرام ويبقَى الإثمُ والعارُ
تبقَى عواقبُ سوءٍ في مغبَّتِها   لا خيرَ في لذَّةٍ ما بعدها نـــارُ

- وليفكِّر من كان له قلب فيما أكسبه الذنب من الخجل! وكان بعض الحكماء يقول: « إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل ».

فقيل له: وكيف يسيء الإنسان إلى من يحب؟

فقال: إذا عصيت الله أسأت إلى نفسك، وهي أكبر محبوباتك.

- وقيل لبعض الحكماء: من أشدُّ الناس اغترارًا؟

فقال: أشدُّهم تهاونًا بالذنب.

فقيل له: علامَ تبكي؟ فقال: على ساعات الذنوب.

قيل له: علام تأسفُ؟ قال: على ساعات الغفلة.



السؤال الثاني عشر: ما أثر الزيِّ على الشخصيَّة والسلوك؟!

للزيِّ أثرٌ كبيرٌ علىٰ تَصَرُّفات الإنسان وفكره وسلوكه، بل وأخلاقه، وهذا ما أثبتته الدراسات النفسيَّة والاجتماعيَّة، لذلك تجد أن كل أصحاب مجال وفنٍّ يتسابقون في التمَيُّز والفخر بزيِّهم، فالأطباء لهم زيٌّ يَعتزُّون به، وبه يفتخرون، وكذلك لرجال الشرطة والجيش والقضاء والمحاماة، وغيرهم.

وأنت علىٰ سبيل المثال لو دقَّقت النَّظر، وتفحَّصت المسألة لوجدت نفسك كأنك أمام شخصيَّتين مختلفتين لرجل واحد، الأولىٰ تختلف عن الثانية وهي تقبع تحت الزيِّ الرسميِّ، والأخرىٰ مع الزيِّ المدنيِّ.

- وكل أصحاب ديانة يعتزُّون بزيِّهم ولباسهم، وهذا مشاهَد محسوس في الواقع، ولا ينكره أحد.

ولقد تميَّز النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زيِّه ولباسه(١)، وتميَّز الصحابة من بعده، وكذلك تميَّزت أمهات المؤمنين وسائر الصحابيَّات رضي الله عنهن أجمعين.

ومن أخطر ما يكون أن ينسلخ أو يتهاون صاحب العقيدة في زيِّه ولباسه، حيث التشبُّه بزيِّ الآخر، ففيه دليل علىٰ الرضَى والتقارب والتشابه والتماثل، والحبِّ.

ولعلك الآن أدركت مدلول قول الله تعالىٰ في آية الجلباب للمرأة المسلمة في سورة الأحزاب ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب:٥٩]، بعد قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾.

تأمَّلِ المدلول اللُّغَويَّ والبيانيَّ والبلاغيَّ من كلمة ﴿يُعۡرَفۡنَ﴾ يعرفن بماذا؟ ويتميَّزن بماذا؟ وما علاقة هذا التمَيُّز بهذا الزيِّ بعدم الإيذاء؟

---

(١) راجع زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إنها قضيَّة بناء الشخصيَّة المسلمة المتوازنة مكتملة البناء والأركان.

ليست القضيَّة الاهتمام بالظاهر دون الباطن، أو بالمظهر دون المخبر، فالإسلام ظاهر وباطن، ولا بُدَّ من صلاح القلب مع استقامة الجوارح، فصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وإذا صلح الباطن أدَّىٰ ذلك إلىٰ صلاح الظاهر.

لكن الشاهد هنا أن المسلم ذو شخصيَّة متكاملة، هذا التكامل هو السبيل لرفعتها وعزَّتها، لذلك أراد الله تعالىٰ للمسلم التمَيُّز عن غيره في كل شيء، وهذا ما غاظ اليهود فقالوا لعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **لقد خالفَنا نبيُّكم في كل شيء.**

وما تميَّز به المسلم هو الأرقىٰ عن غيره، والأنسب لطبيعته، والأصلح لفطرته وزاده ومعاشه ومعاده.

فليس في تميُّزه في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والاجتماعيَّات واللباس وغيرهم أي نقص أو خلل إنما يأتي النقص والخلل إذا فقد هذا التمَيُّز يومًا ما.

ولعلك قرأت - في ثنايا هذا الكتاب والواقع من حولنا - ما أدَّىٰ إليه حال المجتمع من فساد وعهر ومجون وصخَب ومعاصي وتآكل في قوامه منذ خلَعَت المسلمة حجابها، وخرجت بلا ضابط ولا رقيب.

لذلك كان زيُّ المسلمة هو أحد عوامل رفعتها وعزِّها وفخرها وعلوها واستعلائها، فصارت به إلىٰ يوم الناس هذا مطلوبة ومرغوبة، معزَّزة مكرَّمة.

ومنذ أن تخلَّت عنه وفرَّطت فيه صارت مهملة غير مرغوبة ولا مطلوبة، ويشهد علىٰ ذلك الإحصائيَّات التي تدلُّ بأرقام وأعداد مخيفة علىٰ كثرة نِسَبِ النساء (اللواتي بدون زواج)، في مجتمع المسلمين.

إنه التناسق بين الفكر والعقيدة والعبادة ، وبين المصالح والمنافع والمكاسب للمسلمة، وهي السُّنن الإلهيَّة التي تتحقَّق سنة تِلْوَ أخرىٰ، عرفها مَن عرفها

وجَهِلَها مَن جَهِلَها.

• والنفس البشريَّة تتكَّون من طباع وغرائز يكمن فيها الخير والشرُّ، وللزيِّ الإسلاميِّ أثر كبير في تنحِّي خِصال الشرِّ، وتنمية خِصال الخير، ونزع فتيل الفتنة بين الرجال والنساء، والتي وصفها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **{ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ }**(١).

وصدقت نبوءته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صدق إخباره بأنه لم يرَ من أمته النساء الكاسيات العاريات، فقد ظهرن فيما بعد، وها نحن نراهم في كل يوم وكل مكان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا }**(٢).

• وزيُّ المرأة المسلمة يحُدُّ من تطلُّعاتها الفاسدة، ويحفظها من شُبهات هي في غِنًى عنها.

• ولهذا الزيِّ أهميَّةٌ قصوى بعد أهميَّته كفريضة من فرائض الله تعالى، تكمن في المحافظة على حياء المرأة المسلمة.

ونحن نعلم أن الحياء نوعان: حياء الإيمان وهو الاستحياء من الله عَزَّ وَجَلَّ حقَّ الحياء، وحياء الأنوثة والذي يُضرَب به المثل، وبه وصف حياءُ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**كَانَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: ما يتقى من شؤم المرأة، ح (٥٠٩٦)، ومسلم ك: (النكاح) ب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، ح (٢٧٤٠)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم ك: اللباس والزينة، ب: الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ح (٢١٢٨).

العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»[١].

وإذا فرَّطت المسلمة في لباسها الشرعيِّ، فقدت حياء الأنوثة، وفقدت بالتالي معه شيئًا عظيمًا، وجزءًا كبيرًا من حيائها وتميُّزها.

• والزيُّ وسيلة من وسائل التربية، لذلك تحرِص دور الحضانة والمدارس الخاصة والحكوميَّة على ارتداء الطلاب والطالبات زيًّا ملائمًا ومناسبًا لها.

وكذلك تنافس دور الأزياء على تقديم الزيِّ المرغوب فيه لدى الشعوب بصورة جذَّابة وشيِّقة، وتعدُّ الدراسات والأبحاث لذلك.

وأنت تلاحظ - إذا كنت والِدًا - تَصَرُّفات الولد عندما يرتدي لباسًا رياضيًّا وتلاحظ تَصَرُّفاته عندما يرتدي زيَّ المدرسة أو زيَّ الخروج للنُّزهة، وكذلك عندما يرتدي لباس النوم، أو زيَّ الصلاة وهو متوجِّهًا إلى المسجد.

ويمكنك أن تدرس شخصيَّة ولدك من خلال لباسه، وتتعرَّف على أصدقائه والبيئة التي يعيش فيها خارج المنزل من خلال لباسه الذي يرتديه عند الخروج، وتسريحة شعر رأسه.

وكذلك من السهل أن تدرس ميول البنت ورغباتها، وتحرُّكاتها من خلال الزيِّ الذي ترغب أن ترتديه عند الخروج، وفي البيت، وعند مقابلة الضيوف المحارم وغير المحارم. لذلك كان للزيِّ أثر كبير في الصحبة، **والصاحبُ ساحِبٌ**، كما بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث: **{ مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ**

---

(١) أخرجه البخاري ك: المناقب، ب: صفة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ح (٣٥٦٢)، ومسلم ك: الفضائل، ب: كثرة حيائه** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ح (٢٣٢٠).**

صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، ... }(١).

وعلى كل مسلم ومسلمة أن يختار الفريق الذي يحب أن ينتمي إليه، يوم ينادي المنادي: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى].

• والزيُّ الإسلاميُّ يُعين على تحقيق الأخوَّة في الله تعالى، وتحقيق الرابطة الإيمانيَّة، وبه تستطيع أن تفرِّق بين المسلم والكافر، وبين المؤمن والمنافق، وبين الصادق والكاذب، إذا أضيف إليه صحَّة العقيدة والعبادة، والتعامل بالأخلاق والآداب الإسلاميَّة وإتقان العمل، وبهذا تكتمل الشخصيَّة الإسلاميَّة.

• وللزيِّ الإسلامي أثرٌ كبيرٌ في تحديد رغبة المسلم وميوله إلى الدار الآخرة. كما قال تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

لذلك تجد المسلم وكذلك المسلمة عندما تكون لديه الرغبة في الله والدار الآخرة فإنه يحافظ على مواصفات الزيِّ الإسلامي: فلا يرتدي لباسًا ضيِّقًا أو شفَّافًا أو زينة في نفسه أو لباس شُهرة، أو لباسًا يشابه لباس الكفار، ويعلم أن الله تعالى حرَّم على الرجال لباس الذهب والحرير والإسبال في الثياب، ويعلم أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كره للرجال لباس الثوب الأحمر الخالص، والثوب المعَصْفَر، وكان أحبَّ اللباس إليه البياض.

• إن الزيَّ الإسلامي يجعل المنتسبين إليه شامة بين الناس، يستدلُّ به على الوحدة والألفة والتواضع. والمسلم والمسلمة لا يستهويهم أهواء أهل الباطل من السَّعي وراء الموضة، لأنهم على علم أن الله تعالى حرَّم عليهم لباس الكافرين

---

(١) أخرجه البخاري ك: البيوع، ب: في العطار وبيع المسك، ح (٢١٠١)، من حديث أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والكافرات، والفاسدين والفاسدات.

• والزيُّ في الإسلام له أثرٌ كبيرٌ ودلالة على حسن التربية والسلوك القويم وذلك بالبعد عن الأماكن المريبة، والتي تُثار من حولها الشُّبُهات، وهم بذلك يتطهرون من أماكن اللَّغْوِ والرَّفَثِ والعبَثِ.

فانظر وتدبَّر كيف يُساعد الزيُّ على تربية النفس وحفظها من الهوَى ومرابض السوء، والخُلطة الفاسدة، وبناء شخصيَّة متكاملة ومتوازنة.

كنت وأنا صغير أسمع بعض الصالحين يقول: إن إطلاق اللحية للرجال، والحِجاب للنساء تربِّي أصحابها، وعندما بلغت سنَّ الرُّشْد وبدأ شعر اللحية ينبت في وجهي تذكَّرت تلك المقالة، وكيف صارت هذه الشُّعَيْراتُ وأنا شابٌّ تحول بيني وبين أن أذهب إلى دور السينما، أو أجلس على مقهى مع شابٍّ يدخِّن، أو حتى أتحدَّث في حديثي بلغو أو رفث، أو أضيِّع وقتي فيما لا يفيد، فتعلَّمت وقتها كيف تربِّي اللحيةُ صاحبَها، وتدعوه إلى الخلق الحسن، وتدفعه للتفوُّق والاستفادة بالوقت والسعي للعلوم النافعة في المدرسة والجامعة، وحضور مجالس العلم، هذا بجانب حبِّ ممارسة الرياضة البدنيَّة النافعة، والرحلات العلميَّة والترفيهيَّة الهادفة.

• فلا شكَّ أن للزيِّ أثرًا هامًا منذ الطفولة وفي سنِّ المراهقة وفي مرحلة الشباب والرجولة، وكيف أن الزيَّ المناسب الموافق لتعاليم الإسلام ينمِّي الشخصيَّة المتَّزنة القويَّة والتي لا تستميلها الأهواء ولا التيارات المنحرفة.

• وللزيِّ أثرٌ كبيرٌ، وهو عامل مهِمٌّ في ثبات أهل الحقِّ وتميُّزهم، وعدم تلكُّؤهم في الدفاع عن حياض هذا الدِّين، وإنفاق المال والنفس في سبيل الله وحدَه، وذلك مما يعكِسُه أثرُ الزيِّ على ثبات القلب وطرد شبح النفاق والرياء عن النفس المؤمنة.

❁❁❁

وقفة
مع أثر الزي مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

▪ لما سار النعمان بن مقرِّن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع نفر من المسلمين إلىٰ يزدجرد بن شهريار ملك الفرس برسالة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدعونه إلىٰ الإسلام أو أداء الجزية أو القتال. فقال لهم يزدجرد: لا أعرف أمة أقل ولا أشقىٰ منكم، ثم ذكر من ذِلَّة العرب وسوء حالها ما يطول، وأخذ يتعجَّب من ضعف أجسامهم، ورثاثة سلاحهم وكسوتهم، فقال له قائده رستم: أنتم قوم عنيتم بالملابس والمشارب وعنوا بالأحساب، انظروا إلىٰ عقولهم وبصائرهم وصبرهم. اهـ

▪ وكتب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يذكر له عدد فارس وبأسها وشدتها وعتادها وعُدَّتها، وضعف من معه وقلَّتهم ورثاثة سلاحهم، فكتب إليه عمر: «بهذا وعدنا، ﴿**سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ**﴾[الفتح:١٦]، فاشكر الله يا سعد أن سمعته بأذنك، ورأيته بعينك، وباشرته بيدك». فانظر: فما غَلَبت العرب إلا بالتقوىٰ، ولا عَزَّت إلا بالإسلام. فقد كانت الفرس والروم تعجب من انهزام عساكرها الخشنة المعدَّة القوية الشديدة من بين أيدي المسلمين، مع قلَّتهم وضعفهم، وقلَّة آلتهم وسلاحهم.

▪ ولما قدمت جيوش الروم منهزمة علىٰ هرقل وهو بأنطاكية. قال لهم: وَيلَكُمُ أَخْبِرُونِي عَنْ هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ.
قَالَ: فَأَنْتُمْ أَكْثَرُ أَمْ هُمْ؟ قَالُوا: بَلْ نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ أَضْعَافًا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ. قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ تنهزمون؟ فَقَالَ شَيْخٌ مِنْ عُظَمَائِهِمْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يقومون الليل ويصومون النَّهَارَ، وَيُوفُونَ بِالْعَهْدِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أَجْلِ أَنَّا نَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَنَزْنِي، وَنَرْكَبُ الْحَرَامَ، وننقض العهد، ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وَنَنْهَىٰ عَمَّا يُرْضِي اللهَ وَنُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ.
قال له هرقل: أَنْتَ صَدَقْتَنِي. اهـ

السؤال الثالث عشر: ما هو أثر الزيِّ على الأخلاق؟

وإذا أردت أن تتعرَّف على أثر الزيِّ على الأخلاق، فانظر إلى نهي النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إسبال الثياب، وجرِّه خيلاء.

والإسبال: هو إطالة الثياب أسفل الكعبين في القدمين.

فالإسبال يُشبع الغرور في النفس، ويُثير فيها نوازع ومكامن العُجب والخيلاء والرياء، وفاعله مستحقٌّ للعقوبة من الله تعالى.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: { **الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ** }(١).

وانظر لفتاة محجَّبة وصوتها مرتفع، أو تكون غيرَ بارَّة بوالديها، ستجد الناس يوجِّهون لها اللَّوْم والعتاب كأنهم أجمعوا القول: أن هذه الأفعال لا تتناسب مع حجابك. في حين لو شاهدوا هذه الأعمال من المتبرِّجة لكانوا أقلَّ لومًا لها وعتابًا.

فالظاهر وحدَه لا يكفي في الحكم على الشخص، فلا بُدَّ من صلاح الباطن مع صلاح الظاهر. قال تعالى: ﴿**وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ**﴾[الأنعام:١٢٠].

واللِّباس الظاهر يعكِس ما في القلب من إيمان وصلاح، أو فساد ونفاق، والعكس صحيح، أي أن القلب الذي فيه إيمان لا بُدَّ أن يظهر على الجوارح.

ومن ذلك قول أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من أظهر خشوعًا فوق ما في قلبه من الإيمان فهذا درب من دروب النفاق».

---

(١) أخرجه مسلم ك: الإيمان، ب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار...، ح (١٠٦).

وقد وقع كثير من الناس اليوم ضحايا لأناس لا خلاق لهم في تعاملات ونكاح ومصاهرة، والمهمُّ هو إعجابهم وشدَّة تأثُّرهم بلباس هذا المخادع، اغترُّوا بالظاهر ولم يكلفوا أنفسهم بالبحث والتحرِّي عن حقيقة الرجل وتعاملاته وأخلاقه.

عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: { **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟** } قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: { **مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟** } قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا** }(١).

ورأىٰ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا دُجَانَةَ الأنصاريَّ يَوْمَ أُحُدٍ أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فقَالَ: { **إِنَّهَا مِشْية يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ** }(٢).

• ولقد انتشر الإسلام بحكمة السيف، وسيف الحكمة في مجال الحرب، أو مجال الدعوة. وإذا أردنا أن نعقد مقارنة بين مسلمة محجَّبة سيِّئة الخلق، وأخرىٰ متبرِّجة حسنة الخلق فكيف نحكم علىٰ أي منهما؟!

لا شكَّ أن الجواب بأن الصواب والحقَّ بعيد عنهما، وكلاهما مرفوض؛ لأن الإسلام بمنهجه السامي الرفيع يعلِّمنا أن البرَّ حسن الخلق، وأنه أثقل شيء في الميزان، ويعلِّمنا أن التَّبرُّج شرٌّ، وهو من الجاهليَّة الأولىٰ، والصواب هو أن تكون المسلمة محجبَّة، وعلىٰ خلق حسن قويم، هذا هو الإسلام فاعتبروا يا أولي الألباب.

---

(١) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: الأكفاء في الدِّين، ح (٥٠٩١).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح (٦٥٠٨).

وقفة
فليحذر العاصي من العقوبة

• عقوبة الذنوب والمعاصي تختلف فتارة تعجل، وتارة تتأخر، وتارة يظهر أثرها، وتارة تختفي.

• ومن العقوبات ما لا يحس بها المعاقب، وأشدها سلب الإيمان والمعرفة، ودون ذلك موت القلوب ومحو لذة المناجاة منه، ونسيان القرآن، وإهمال الاستغفار، ونحو ذلك مما ضرره في الدين وربما دبت العقوبة في الباطن دبيب الظلمة، إلى أن يمتلئ أفق القلب فتعمى البصيرة.

• ليس وراء النار عافية، وليس دون الجنة بلاء..

• وَأَهْوَنُ الْعُقُوبَةِ مَا كَانَ وَاقِعًا بِالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا ، وَرُبَّمَا كَانَتْ عُقُوبَةُ النَّظَرِ فِي الْبَصَرِ ، فَمَنْ عَرَفَ لِنَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ مَا يُوجِبُ الْعِقَابَ فَلْيُبَادِرْ نُزُولَ الْعُقُوبَةِ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ ، عَسَاهُ يَرُدُّ مَا يُرَدُّ.

• احذر من نعم الله تعالى عليك تتقلب فيها، وأنت تتقلب بين معاصيك، ما هكذا تشكر نعم الله تعالى عليك.

• قال الفضيل: ما يُؤمنك أن تكون بارزت الله تعالى بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبوابه وأنت تضحك، كيف يكون حالك!.

• لما فتح المسلمون قبرص بكى أبو الدرداء، فقال له جبير بن نفير: ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلَّ الشرك وأهله؟

قال: دعنا منك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمة قاهرة قادرة، إذ تركوا أمر الله تعالى فصاروا إلى ما ترى!!.

السؤال الرابع عشر: هل الإنسان حرٌ فيما يرتديه من لباس؟!

والجواب، - وبالله التوفيق -:

خلق الله ﷻ الإنسان حُرًّا، وحرَّم عليه كل أنواع العبوديَّة والاستعباد إلا له سبحانه، لأنه جلَّ وعلا المستحقُّ لها بلا منازع ولا منافس، فهو سبحانه الخالق: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾[النحل:١٧]، وهو الرازق المحيي المميت المعزُّ المذلُّ الحكَم العدل، صاحب الأمر والتدبير، وإليه المرجع والمآل، وإليه المستقرُّ في جنته أو ناره.

ولا بُدَّ للإنسان أن يختار صاحب العبوديَّة التي يريد أن ينتمي إليها، إما أن يكون عبدًا لله ﷻ باختياره وإرادته، وإما أن يكون عبدًا لغيره، والكلُّ لا يخرج عن نطاق عبوديته، قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾[مريم]، وهذه الحريَّة لا تكون للإنسان إلا إذا كان عاقلًا؛ فالمجنون والنائم والسكران والصغير لا حريَّة لهم، ولا بُدَّ أن يكون مكلَّفًا؛ فغير المكلَّف لا حريَّة له، لأن المكلَّف حرٌّ في أن يؤدِّي ما كُلِّف به بإتقان أو إهمال، وكذلك لا بُدَّ أن يحاسب علىٰ ما كلف به.

وشرط التكليف: أن يكون وراءه محاسب يحاسبه علىٰ ما كَلَّفه به، فمن ليس وراءه محاسب ليس بحُرٍّ. هذه هي الحريَّة علىٰ وجه الحقيقة، وهي لا تتحقَّق إلا إذا كان الإنسان عبدًا لله وحده، لا عبدًا لهواه أو شهواته ونزاوته أو سلطانه.

والحرية لا تكون إلا لله ﷻ، الذي لا يُسأل عما يَفعَلُ، وهُمْ يسألون، ويَفعلُ ما يشاءُ، وهي لأهل الجنة لهم فيها ما يشاءون وما يَشتهون.

فهل تكون المسلمة جريئة علىٰ عبوديتها لله تعالىٰ وتقول إنها حرَّة في تَصَرُّفاتها ولباسها؟! أم أنها مقيَّدة بأنها أمَة لله ﷻ، وأنها عاقلة لمراده منها، ومكلَّفة به

وسوف تحاسَب على ذلك.

وهناك آلهة كاذبة تحاول انتزاع فرق من الناس بالانتساب إليها، منها:

١- الشيطان الرجيم (نعوذ بالله منه). قال الله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾** ﴾ [يس].

٢- الهوى. قال الله تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾** ﴾ **[الفرقان].**

٣- المال والشهوة والزينة واللباس. قال ﷺ: **{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ }**(١).

٤- كل من أحبَّ شيئًا قدر حبِّه لله ﷻ فقد اتَّخذه إلهًا من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ **[البقرة:١٦٥].**

٥- كل من اتخذ عالمًا أو شيخًا أو مسئولًا أو راهبًا أو قسِّيسًا، أو شرَّع قانونًا يُحِلُّ ما حرَّم الله أو يحرِّم ما أحلَّ الله، أو شرع مالم يأذن به الله فقد اتَّخذه ربًّا مع الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ **[التوبة: ٣١]**، فكانت عبادتهم للأحبار والرُّهبان في اتِّباعهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال عليهم. قال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ** ﴾ **[الشورى:٢١].**

---

(١) أخرجه البخاري ك: الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو، ح (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٦ـ كل من تبرَّك بشجر أو حجَر أو كوكب أو نار أو بقرة أو قبر أو صنم أو قبة أو شاهد، أو غير ذلك، واعتقد فيه النفع والضرَّ فقد اتَّخذه إلهًا من دون الله تعالى.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **سُبْحَانَ الله هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** }(١).

وهذا الباب يشمل [**شرك العبادة، وشرك الدعاء، وشرك المحبة**].

٧ـ كل مَن ادَّعى النبوَّة، أو دعا الناس إلى عبادته من دون الله تعالى والسجود له.

٨ـ الإلحاد: أخطأ من ظنَّ أن إنكار الله تعالى، وإنكار الرسل والكتب السماويَّة أنه شيوعيٌّ لا دين له، إنما هؤلاء أصحاب دين باطل يُسمَّى دين الإلحاد، فقد جعلوا لينين وستالين آلهة يشرِّعون له نظامًا للناس يَدينون به، وهذا هو معنى الدِّين. فالدِّين هو «كل ما يُدان به الإنسان ويختاره نظامًا لحياته وطريقًا لمعاملاته».

٩ـ مَن اعتقد في بشر أنه إله، كمن قالوا: «عزير» ابن الله، وهو قول اليهود، ومَن قالوا: «المسيح» ابن الله، وهو قول النَّصارى، ومَن قال: «علي» هو الله، وهو قول بعض غلاة الشيعة، ومَن قال: إن الأقطاب الأربعة تدبِّر الكون مع الله، كغلاة المتصوِّفة – تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا –، وهكذا.

فكل مَن اعتقد أن لله تعالى ولدًا أو والدًا أو ابنة أو زوجة، أو يحتاج إلى معين،

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الفتن عن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ح (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤/ ٤٧٥).

أو مساعد، فيجعله واسطة بينه وبين الله، كمشركي العرب الذين قالوا عن آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فقد أشرك بالله تعالى، واتخذ من دون الله آلهة باطلة.

فالأصل هو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

فالله ﷻ هو الصَّمد الذي يصمُد ويحتاج إليه الخلق، وهو الغنيُّ عنهم جميعًا، وهو سبحانه لا شبيهَ له، ولا نِدَّ، ولا نظيرَ، ولا ولدَ، ولا والدَ، ليس كمثله شيء.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧].

ويتبين مما سبق أن الإنسان في ذلك بين أحد أمرين لازمين:

اللازم الأول: أن يكون عبدًا لله وحدَه يدين بدينه الحقِّ، ويلتزم بتعاليم ربِّه ومولاه وخالقه وحاكمه، وهو في هذه الحالة ليس حُرًّا، إنما يكون مقيَّدًا بهذه العبوديَّة ومتطلَّباتها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام].

ومظاهر هذا التقيُّد كثيرة، وفي شتَّى المجالات الدِّينيَّة والدنيويَّة، منها:

١- العقيدة: فليس الإنسان حُرًّا في اختيار العقيدة التي يراها مناسبة له؟ وقد تكون باطلة فاسدة، ولكن عليه أن يبحث عن العقيدة الصحيحة، ويبتعد عن العقائد الفاسدة.

٢- العبادة: فليس الإنسان حُرًّا في إقام الصلاة أو تركها، وكذلك الصيام والزكاة والحجّ والجهاد والصدقة، وغيرها.

٣- المعاملات: فالإنسان ليس حُرًّا أن يتعامل بالرِّبا أو الغِشِّ أو الاحتكار أو

التطفيف في الميزان أو يشرب الخمر، أو غير ذلك، وإنما يكون مقيَّدًا بما أباحه الله تعالى له، بعيدًا عما حرَّم منها.

٤ـ العلاقات: إنما تحكمه علاقات نسب ومصاهرة بعيدًا عن الزنا والفواحش، وحقوق ومواريث متعلقة بالقُربى والمحارم، وهكذا.

٥ـ الحلال والحرام: فالمسلم مقيَّد بالبُعد عن الحرام ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، مقيَّدٌ بعدم إيذاء الآخرين، أو أن يكون سببًا في ضرر لهم.

٦ـ احترام مشاعر الآخرين، فلا يسبُّ آلهتهم، ولا يَسخر من عبادتهم، ولا يستهزئ بزيِّهم، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[**الأنعام:١٠٨**].

فإذا كانت هذه الآية قد نزلت في الذين يسبُّون الذين يدعون من دون الله، فما بالُك بمن يسخر ويسبُّ دين الله الحقِّ (الإسلام)، ويسخر منه؟!.

٧ـ القضاء والقدر: وهو أعظم قَيْدٍ للإنسان، فإذا قضى الله تعالى على عبده قضاءً فلا مردَّ له، وإذا أعطى عبده شيئًا فلا مانع له، وإذا منع عنه شيئًا فلا معطي له.

ألم تر إلى الذين ألحدوا في دين الله وأشركوا به إذا وقعوا في ظلمات البحر، وضلَّ عنهم ما كانوا يشركون به.. بمن يستغيثون؟ وإلى مَن يلجأون؟!

• إن المرض، والفقر، والألم، والمصائب وسائر البلايا تأتي بقدر الله تعالى ولا يدفعها غيره سبحانه وتعالى، وكذلك الغِنَى والسَّلامة والصحَّة والعافية والعطايا والمِنَح لا تأتي إلا بقدر الله تعالى.

• **فكيف تكون حُرًّا وأنت محكوم**، وأنت أسير لا تدري متى فِكاكك من هذه الدنيا، وأنت لا تدري متى سفرُك إلى الدار الآخرة، وأنت لا تدري متى فرج الله،

ومتى نصر الله تعالى ؟!.

فالله ﷻ لم يخلق العباد هملًا بلا هدف ولا غاية، وإنما خلقهم عبيدًا له، ولعبادته، ولكي يكونوا خلفاء في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

وقال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

• العبوديَّة شرف وعزَّة، لذا اتَّصف بها سيِّد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن]، وقال في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف].

فأنت عبدٌ لله ﷻ، محكوم بقضائه وقدره، عاجز عن أن تغيِّر من ذلك القضاء شيئًا.

• **وقد خلقك لتحمُّل الأمانة.** قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

• **وخلقك للقراءة والعلم،** قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن].

• **وخلقك وجعلك محل الاختبار.** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت].

• **وكيف يكون الإنسان حُرًّا** ومِن ورائه حساب وجزاء وصراط وصحف وميزان وعرض وشفاعة وجنة ونار؟!.

• **وكيف يكون الإنسان حُرًّا** وهو عاجز ضعيف لا يستطيع دفع المرض أو العجز أو الهمِّ أو الحُزْن أو الموت عنه، ولا يستطيع جلب رزق لأحد أو منعه عن أحد إلا بإذن الله تعالىٰ ؟!.

• **وكيف يكون الإنسان حُرًّا** وهو محتاج إلىٰ الله ﷻ في كل أحواله وشؤونه، بل يحتاج لغيره من الناس، فهو في مجتمع يحكمه عادات وتقاليد في داخل الأسرة والمجتمع، وفي داخل الدولة والنظام؟!.

لذلك شَرعت كل دولة قوانين تحدُّ من حريَّة الناس، فلا يستطيع أحد أن يسافر أو يعمل عملًا أو يتعلَّم أو يتعالج أو يتزوَّج إلا وفق أنظمة وقوانين تحدُّ من حريَّته، أو بمعنىٰ أدقَّ تنظِّم هذه الحريَّة مع حريَّة الآخرين وحقوقهم في تناغم وتناسق.

فأروني - بالله عليكم - في هذا الوجود إنسانًا حُرًّا لا تتحكَّم فيه أنظمة وقوانين، ولا يحكم عليه قضاء وعسكر.

إذن لِمَ نتجرَّأ ونتبجَّح ونقول: « **نحن أحرار في أن نفعل ما نشاء** ».

هذه عبارة ساقطة لا تصِحُّ شرعًا ولا نقلًا ولا عقلًا، ولا وجود لها في واقع الناس.

• **إنما الحقيقة والصواب** أن يُقال: إنك تمتلك جزءًا من الحريَّة تستطيع أن توظِّفه في صالحك ومنافعك، مثل: امتلاكك الكثير من الوقت الذي يمكن أن تستثمره فيعود عليك وعلىٰ أهلك وأمَّتك بالخير، ويمكنك أن تضيِّعه فيضيع معه عمرك وصحتك.

وتمتلك جزءًا من عقلك وتفكيرك يمكنك أن تستعمله في الهداية والصلاح والتقَىٰ والرشاد، ويمكنك أن تضيِّعه في الهوَىٰ والغِواية والعَربدة والفساد.

قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾ [البلد].

وتمتلك جزءًا من مالـك، وجزءًا ممن أنت مسئول عنهم وعائل لهم.

اللازم الثاني: أن يكون عبدًا لهواه أو للشيطان، أو لأشياء أحبَّها وتعلَّق بها قلبه فشغلته عن عبوديته لله تعالى، وهو في هذه الحالة قيَّد نفسه ولم يُعطِها الحريَّة كما يزعم؛ بل صار عبدًا لأحطِّ وأرذل الأشياء، رضِيَ أم أبى.

فالعبوديَّة لله تعالى عزَّةٌ وكرامةٌ، وسعادةٌ وراحةٌ للبال، وطمأنينةٌ للنفس، وهدوءٌ للقلب، وأمنٌ في الدنيا والآخرة.

والعبوديَّة لغير الله إهانةٌ للنفس وذلٌ لها، وتعاسةٌ وضلالٌ وشتاتٌ للأعمال، وفزعٌ وقلقٌ وتردُّدٌ لا يفارِق صاحبَها.

وأنت - لا محالة ولا مفرَّ - واقع في إحداهما؛ فأحسِن الاختيار كي تقتحم العقبة وتفوز بالرحمة والجنة.

❁ ❁ ❁

وما دام الإنسان ليس حُرًّا في هذه الدنيا، فهو بالتالي ملتزم بأوامر الله ﷻ له في اللِّباس والزيِّ، فإن لم يلتزم بها، فهو أيضًا ليس حُرًّا لكنه مقيَّد أيضًا في لباسه بعادات الناس وتقاليدهم وأعرافهم.

إذن حريَّة الإنسان في لباسه وزيِّه ليست مطلقة، ولكن عليها بعض القيود.

فأيهما أصلح للعبد وأبقى له، أهو قيد الله تعالى له أم قيود الناس وتقاليدهم؟!

■ **وقيد الله تعالى عليك في اللباس كله فوائد، منها:**

١ـ أنه يبني لـك شخصيَّة متَّزنة مع الغاية من خلقك. فالله ﷻ ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

فأمْرُ الله تعالى بالحِجاب للمرأة المسلمة مثلًا يتناسب مع خلق الله تعالى لها.

٢ـ أنه عبادة تُؤجَر وتُثاب على فعلها، وتُعاقَب على تركها.

٣ـ أنه يجعل لك شخصيَّة متميِّزة، وهويَّة واضحة، تحفظك من التقليد والإمعيَّة والذوبان في الآخرين والتشبه بهم.

٤ـ أنه مظهر من مظاهر الاستعلاء الإيمانيِّ، وبناء الشخصيَّة المتكاملة المؤمنة.

٥ـ أنه يحدِّد لك إرادتك، فكل إنسان له إرادة، كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، فزيُّ الإنسان ولباسه لا بُدَّ أن يكون دليلًا على إحدى الإرادتين.

فطلاب الدنيا لهم مظهر وزيٌّ يتفاخرون به ويتسابقون ويتنافسون فيه، وطلاب الآخرة كذلك.

ولكن ننبِّهُ على أن ليس فقط الزيُّ هو الدليل على النيَّة والإرادة، ولكنه علامة من ضمن العلامات على ذلك، حيث كل علامة حلقة في سلسلة الإيمان تدل على كماله وصحته، فحسن الخلق مثلًا علامة وحلقة في السلسلة، والصدق في القول والوفاء بالعهد والالتزام بالكلمة والوعد حلقات في سلسلة الإيمان، وحسن العبادة وصحة العقيدة واستقامة السلوك والبعد عن الشبهات والمحرمات كلها علامات وحلقات في سلسلة الإيمان.

٦ـ أن الزيَّ يدل على الانتساب، أما ترى زيَّ الراهبات والرهبان والقساوسة؟، أما ترى زيَّ لاعبي الكرة وغيرهم؟!، أما ترى زيَّ أهل الغناء والرقص والمجون؟

إن زيَّ الإنسان يدل على الانتساب، فأي فريق تحبُّ الانضمام إليه بلباسك وزيِّك يوم ينادي المنادِي. قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى].

٧ـ للزيِّ أثرٌ كبير على الحالة النفسيَّة للإنسان وعلى طريقة تفكيره، حتى في

حركته وسلوكه وتَصَرُّفاته، ولا شكَّ في أن صاحبة الحِجاب هي أكثر سعادة واستقرارًا من المتبرِّجة صاحبة السُّفور.

٨ـ أن للزيِّ أثرًا كبيرًا في تطلُّعات الإنسان وآماله وطموحه، فقد يقيِّدها أو يُطلِق لها العنان، فمن يتطلَّع إلىٰ الجنة ويشتاق إليها لا يبالي بالحَرِّ أو البرد، متدبِّرًا قول الله تعالىٰ للمنافقين: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾[التوبة].

ومن يتطلَّع إلىٰ الشهرة يبحث له عن وسيلة تُوصِله إليها حتىٰ لو كان علىٰ سبيل المثال زِيُّ «أراجوز»، أو رجل في زِيِّ امرأة يَتَشَبَّهُ بالنساء، أو نساء مترجِّلات، فكل واحد يبحث له عن دور يكون للزيِّ واللباس فيه أثر كبير.

٩ـ أن الشرع الحنيف حرَّم علينا لباس الشُّهرة للرياء والمفاخَرة والعُجب، وحرَّم علينا التشبُّه بلباس الكافرين والكافرات، وزيِّ الأعاجم، وبيَّن لنا أحكام الزيِّ واللباس وأحكام ستر العورات، وأحكام الزينة.

• وستر عورة الرجل يختلف عن ستر عورة المرأة، والواجب في ستر عورة الرجل من السرَّة إلىٰ الركبة، ولكن الشرع الحنيف استحبَّ له بعد الفرض في ستر العورة ستر الكتفين، وإطالة الثياب إلىٰ أسفل الركبتين وأعلىٰ الكعبين، وفصَّل الشارع الكريم في عورة المرأة؛ فالزوج له التمتُّع بزوجته متىٰ شاء وكيف شاء مما أباح الله تعالىٰ له، وللأب وللأخ حدود في إظهار عورة المرأة، تختلف عن الخال والعمِّ، وسائر المحارم، وأما غير المحارم فقد حرَّم عليها إبداء العورة والزينة لهم.

إنها أحكام وتشريعات عالية في الرقيِّ بالجنس البشريِّ، لها تفاصيل رائعة لأحكام في غاية الدقَّة والرَّوْعَة.

١٠ـ أن للزيِّ في الإسلام أثرًا كبيرًا في الاستقامة، والبُعد عن أماكن الريبة والشُّبُهات، وفي تحديد معالم الإيمان، وله أثر كبير في الثبات علىٰ الهداية والحماية

من الفتن والشهوات، واستقامة الأخلاق والسلوك، حتى في طريقة الحديث، وفي الحثِّ على طلب العلم الشرعيِّ، والاجتهاد في تحصيل العلوم الأخرى بإتقان وكمال حتى يكون صورة مشرفة للإسلام وعنوانًا مشرقًا له، وداعيًا إلى الله تعالى بلسان حاله قبل كلامه، فيكون بذلك قدوة لغيره، ومثالًا للمسلم أو المسلمة الذي فَهِم الدِّين، وعمل بمراد الله تعالى منه، لذلك كان للزيِّ دور كبير وهامٌّ في التربية منذ الصِّغَرِ.



وقفة
(مختارات من السفور)

زعمَ السفورَ والاختلاطَ وسيلةً ... للمَجدِ قومٌ في المَجانةِ أُغرِقوا
كذبوا، متى كان التعرُّضُ للخَنا ... شيئًا تعِزُّ به الشُّعوبُ وتَسبِقُ
أيكونُ كشفُ السَّوأتَينِ فضيلةً ... فيُذيعُها هذا الشبابُ الأحمَقُ
ما بالُهم والبنتُ قد فُتِنَت بما ... قالوا وحَلَّ بها الجنونُ المُطبِقُ
وبدَتْ مَقاتِلُ عرضِها لرُماتِهِ ... حتى لهمَّ به الجبانُ الأخرَقُ
كرِهوا الزواجَ بها وباتَتْ سوقُها ... بعد التبذّل عندهم لا تنفقُ
ما خطبُهم كَلِفوا بنزع حجابِها ... وتكلَّفوا فيها البيانَ ونمَّقوا
وتناولوا بالضَّعفِ من حاجاتِنا ... واللِّينِ ما هو بالصَّرامَةِ أخلَقُ
أغَدَتْ مشاكلُنا الكبيرةُ كلُّها ... ذيلًا يُجرْجِرُهُ السُّفورُ المطلقُ
أم أنهم ضلُّوا السبيلَ وغرَّهُمْ ... ببريقهِ هذا الجديدُ المخلقُ
لم يقصِدوا خيرًا بها لكنهُمْ ... رأَوُا القويَّ يُسيغُها فتملَّقوا
ولرُبَّما اجْترَحَ القويُّ خطيئةً ... فمضى الضعيفُ بمدحِها يتشدَّقُ
قوا أهلَكُم ونفوسَكُم عارًا إذا ... لم تتَّقوهُ بغيرِكم لا يعلَقُ
وتناولوا بالزجر حُمُرًا كلما ... هِيجَت إلى مُتَعِ الإباحةِ تنهَقُ
ليس التمدُّنُ أن نرى روحَ الحَيا ... بيدِ الخلاعَةِ كلَّ يوم تُزهَقُ
والبنتُ يدفعُها براحتِه الهوى ... فتروحُ تهوى مَن تشاءُ وتعشَقُ
لكنه العلمُ اهتدى بضيائهِ ... غربُ البسيطةِ حين ضلَّ المشرِقُ

(**مصطفى صبري شيخ الإسلام في كتابه «قولي في المرأة»**).

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس عشر:

هل الإنسان حرٌّ في التصرف في ماله؟

والجواب: بالطبع لا لهذه الأسباب التالية:

أولا: المال مال الله تعالى؛ نسبه إلينا تكرُّمًا منه وتفضُّلًا، وجعلنا مستخلفين فيه؛ ليرى ماذا نحن فاعلون.

قال تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[الحديد:٧].

ثانيًا: جَعَلَ في هذا المال حقًّا معلومًا للسائل والمحروم.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾**﴾[المعارج].

ثالثًا: فرَضَ في المال حقَّ الزكاة إذا بلغ نصابًا وحال عليه الحول الهجريُّ.

رابعًا: فَرَضَ في المال حقَّ الإنفاق على الزوجة والأولاد، والبرَّ بالآباء والأمهات، وحقَّ صلة الأرحام.

خامسًا: جَعَلَ في المال حقَّ الوصيَّة، والميراث، ونظَّم تلك الحقوق ودعا إليها، ووضع لها أحكام وتشريعات لم يأت مثلها في كتاب مُنَزَّل من قبل، ولا في تشريع سابق، بل العالم بأسره آخِذٌ منها ومُقتبِس.

سادسًا: جعل في المال الصدقة، ورغَّب في الباقيات الصالحات، مما يواصل به الإنسان عمله بعد موته، قال تعالى: ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾**﴾ **[الكهف].**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ**

انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَة، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }(١).

قد ماتَ قومٌ وما ماتَتْ مَكارِمُهُمْ * وعاشَ قومٌ وهُمْ في الناسِ أمواتُ**

وانظر إلىٰ هذه الصدقات الجارية، فكلها نفع للأمَّة ومن أسباب النهوض بها، فالذريَّة الصالحة هي الجيل الذي تحتاج إليه الأمَّة في نهضتها، والصدقة الجارية هي الرابطة الاجتماعيَّة، والتكافل الاجتماعيُّ الذي لا يجعل في المجتمع المسلم فقيرًا أو يتيمًا يشعر بمرارة الفراق للأب، أو أرملة أو مسكينًا، والعلم الشرعي والمعارف الأخرىٰ مما ينهَض بالأمَّة مع كبوتها، ويجعلها تتسابق مع الأمم الأخرىٰ، ويخرج بها من دائرة التبعيَّة، ويردُّها إلىٰ الريادة بين الأمم فذلك هو موقعها الطبيعيُّ.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟** } قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: { **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ** }(٢).

سابعًا: جعل في المال حقَّ الإنفاق للجهاد سبيل الله تعالىٰ، لأن عدم الإنفاق والإحسان يؤدِّي إلىٰ التهلكة، قال تعالىٰ: ﴿**وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾**﴾ [البقرة]، فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ التهلكة محصورة بين الإنفاق في سبيل الله والإحسان، وألزم محبته سبحانه للمحسنين.

---

(١) أخرجه مسلم ك: الوصيَّة، ب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح (١٦٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: ما قدم من ماله فهو له، ح (٦٤٤٢).

قال تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة]، فقدَّم الجهاد بالمال علىٰ الجهاد بالنفس، وما ذلَّت أمَّة ولا ضعُفت وفيها مجاهدون بالمال والنفس.

- وجعل البخلَ والشحَّ بالإنفاق في سبيل الله تعالىٰ صفة ملازمة للنفاق وأهله.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾[التوبة].

ثامنًا: حقُّ الاستثمار والتنمية، فلقد حرَّم الإسلام كنز المال وادِّخاره بلا فائدة، وحرَّم الاحتكار، وكلاهما (الكنز والاحتكار) حبس للمال، والله تعالىٰ أمرنا بإعمار الأرض والسعي فيها والمشي في مناكبها، والانتشار في الأرض، وذمَّ الذين يكنزون الذهب والفضة، وتوعَّدهم بنار جهنم حيث تكوىٰ جباههم وظهورهم وجنوبهم بهذا المال المكنز بعد أن يُحمَىٰ عليه في نار جهنم، إلا أن يؤدِّي زكاة هذ المال فلا يعتبر كنزًا.

❁❁❁

فانظر وتأمَّل وتدبَّر هذه الفوائد العظيمة، وكيف حثَّ الإسلامُ الإنسانَ علىٰ إتقان عمله، ورغَّبه في التجارة والزراعة والصناعة والمهن، ولا أظن أن قومًا من أمَّة الإسلام يتخلَّفون عن ركب الحضارة والتنمية، وبينهم هذه التعاليم العظيمة الداعية إلىٰ التنمية والعمل والجدِّ والاستثمار، فنجاح الزراعة والصناعة والتجارة هو أساس التنمية والرخاء، ولا أرىٰ مصيبة حلَّت بالناس ونزلت بهم أعظم من مصيبتهم في تركهم التمسُّك بهذا الإسلام، والالتزام بشرائعه وتعاليمه.

فما حَلَّ بنا من هزائم وانتكاسات وتأخُّر ورجعيَّة ما له سبب سوى ذلك، فضَّلْنا التبعيَّة للشرق تارة وللغرب أخرى، واستوردنا نظمًا ومناهج عملت على محو هُويَّتنا وفَقْدِ عزَّتِنا، وما استوردناه من غيرنا وتشبَّهنا به ظنًّا منَّا أن هذا هو طريق التقدُّم، وهو في الحقيقة طريق الانهزاميَّة والرجعيَّة والتأخُّر، حيث إن هذا الغرب ما تقدَّم إلا لما التزم بما استورده منَّا من نظم وعلوم وأحكام وآداب.

وتدبَّرْ قول المستشرق الإنجليزي عندما قال مخاطبًا العرب وأمَّة الإسلام:

« لقد انتقلت إلينا فضائلكم وانتقلت إليكم رذائلنا ».

بعد هذا العرض الموجز والسريع هل يبقى لأحد أن يقول أنا حُرٌّ في مالي؟!

وتأكيدًا لما سبق راجع أحكام الحَجر على مال السفيه والكبير الذي لا يَعقل والمجنون، والقيام على مال الصغير واليتيم حتى يبلغ أشدَّه.



وقفة
توبة قاسم أمين

يقول محمد فريد وجدي[1]: «إذا أشرنا اليوم بوجوب كشف الوجه واليدين، فإن سنة التدرج سوف تدفع المرأة إلى خلع العذار للنهاية في الغد القريب، كما فعلت المرأة الأوروبية، التي بلغت بها حالة التبذل درجة ضجَّ منها الأوربيون أنفسهم، وبدلًا من أن نضرب الأمثلة بالغرب دائمًا، ينبغي أن نولي وجوهنا إلى عظمة مدينتنا الإسلامية الماضية».

• إذا كان الحجاب هو المانع من الترقي، فلم لم يترق كل الرجال؟ وماذا عن حضارة الإسلام الزاهية؟.

• إن تعليم النساء المسلمات من المسائل الحيوية، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء إلى خطة مدنية الغرب الغبراء، كان مِعْوَلًا لهدم أركان الإسلام، وفأسًا لفتح القبور لأبنائه، ودسهم فيها وهم أحياء.

• ندم قاسم أمين قبل موته وأعلن رجوعه عن رأيه في كتبه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة وقال: «لكن اليوم أدركت خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن سافرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف، ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي».

١- مقالات في جريدة المؤيد واللواء.

السؤال السادس عشر:

إذن ما هو منشأ الخلاف بين الحِجاب والنقاب؟!.

الجواب: أقول - وبالله التوفيق -:

أولا: لماذا لم نر أو نسمع ضجيجًا وعويلًا وصراخًا وحميَّة على التَّبرُّج والسُّفور كما سمعنا ورأينا حول الحِجاب والنقاب؟!

مع أن إجماع الأمَّة قاطبة منذ نزول القرآن وإلى قيام الساعة أن التَّبرُّج من صفات الجاهليَّة الأولى، وأنه حرام بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يخرج عن ذلك الإجماع إلا أحد ثلاثة:

١- كافر في قلبه مرض.

٢- منافق معلوم النفاق.

٣- مُعرِض مُشَكِّك ومتشكِّك في دين الله ﷻ، مُرجِفٌ يثير الإشاعات لفتنة الناس.

والله سبحانه قد جمع هذه الأصناف الثلاثة، وبين أنه سبحانه لعنهم وطردهم من رحمته، وأعد لهم عذابًا أليمًا، وذلك في آية الحِجاب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٩ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢﴾ [الأحزاب].

وسبحان الله! كيف يصِف لنا القرآن الكريم والسنَّة المشرَّفة أحوال الناس

اليوم؟ ويجعل كل متكلِّم ومتحدِّث في قضيَّة الحِجاب والنقاب يعلن عن نفسه أو تعلن هي عن نفسها، ليَهلِك من هلك عن بيِّنة، ويحيىٰ من حيَّ عن بيِّنة.

فوضع الله سبحانه في هذه الآيات الكريمات نساءَ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وبناته ونساء المؤمنين - رضي الله عنهن - في بوتقة واحدة، مع النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ووضع المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في بوتقة أخرىٰ واحدة ومعهم إبليس وجنوده ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾[الشورى].

ففي أي البوتقتين تضع المسلمة نفسها ، ومع أي الفريقين؟!

والفارق بين الفريقين هو:

١ـ الالتزام بأمر الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل﴾.

٢ـ الحِجاب ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾.

ولك أن تتخيَّل وزيرًا يُصدِر قانونًا بمنع النقاب في الجامعات أو أثناء الامتحانات، وعميدًا في جامعة يُصدر قانونًا كذلك، وأنا أتساءل:

١ـ مع أي الفريقين ينضم ذاك الوزيرَ وهذا العميد؟

٢ـ ما الفرق بين هؤلاء وبين من أصدر قانونًا في فرنسا يمنع الحِجاب في المدارس والجامعات؟

٣ـ لماذا لم يصدر أيًّا من هؤلاء قانونًا بمنع التَّبرُّج والسُّفور؟

٤ـ ومَن وراء هؤلاء، يفتح لهم المجالات في الصحافة والإعلام وفي القنوات وفي الجامعات، ومَن يغلق الباب أمام أصحاب الحقِّ والفضيلة للدفاع عنها، والوقوف في وجه الباطل وتياره؟! ولمصلحة مَن تُحارَب الفضيلة، ومَن يحرس الفضيلة؟!

ولو عقدنا مقارنة بين حوادث المحجَّبات وحوادث المتبرِّجات لكانت النتائج مذهلة ومروعة.

• يقول د. هاني هلال[(١)]: خمسة عشر رجلًا منقَّبًا تسلَّلوا إلىٰ المدينة الجامعيَّة، وبغضِّ الطرف عن صدق الخبر المنشور أو كذبه وادعائه، حيث هناك أمن علىٰ مدينة الطالبات، وهناك بطاقة تحقيق الشخصيَّة، إلىٰ غير ذلك مما يستحيل معه توقُّع مثل ذلك. في حين يوجد آلاف ومئات الحوادث من المتبرِّجات اللاتي هربن من النقاب والحِجاب متمثِّلة في بيوت الدعارة، والزواج العرفي، والاغتصاب، والشذوذ، والخيانة الزوجيَّة، والسرقات، وتجارة المخدِّرات، والتجسُّس، وهَلُمَّ جرًّا.

ولو فرضنا وقوع مثل هذه الحوادث والمخالفات من المحجَّبات، لقلنا إن هذا دليل يدل علىٰ الصحَّة، وذلك لما يلي:

١ـ أن هؤلاء النِّسوة بشرٌ يُصِبن، وقد يقعن في الخطأ أحيانًا، لذلك شرع الله ﷻ الحدود والعقوبات في المجتمع المسلم لردع هذه الأخطاء من هؤلاء القلَّة.

٢ـ أن قلَّة هذه الحوادث بالنسبة لغيرهنَّ كما ذكرنا مبشِّر خير، فلو كان شرًّا لكانت النسبة كبيرة جدًّا ومخيفة، ولكننا لا نرىٰ ذلك ولا نسمعه إلا مرَّة في العمر، وقد لا نسمعه.

٣ـ نسمع كل يوم عن طبيب مرَّة في الورَّاق، وأخرىٰ في المنيب، وثالثة في الصعيد، ورابعة في مدينة نصر، وبالفيوم قد أساء إلىٰ مهنة الطب ونصب أو اعتدىٰ علىٰ مرضاه، فهل نقول إن كل الأطباء كذلك؟ أو نلغي مهنة الطب بسبب هؤلاء؟

---

(١) مجلة المصور العدد ٤٤٣٦، ٢٥ شوال، ١٤٣٠ هـ - ١٤/١٠/٢٠٠٩ م (ص ١٧).

٤- لو فرضنا أن شخصًا ما سرق من المسجد شيئًا، فهل نهدِم المسجد أو ماذا نفعل؟ أخطأت امرأة محجَّبة أو منتقبة فهل نمنع الحِجاب والنقاب؟!

ما أعتقد أن يقول بهذا عاقل أبدًا.

٥- إن الفعل السيِّءَ يدل على النفس الأمَّارة، أو اتِّباع الهوىٰ أو الشيطان، ولا يدل على أن الحِجاب هو الذي شجَّع على ذلك أو دلَّ عليه.

• إذن فهذه شبهة يروِّج لها غير المنصفين من أصحاب الأهواء والمطامع.

بالمقارنة بين حال الأمَّة بما فيها من أمن واستقامة قبل نزع المرأة للحجاب على يد هدىٰ شعراوي وصفيَّة زغلول وغيرهما في زمن قاسم أمين، وما بعد ذلك، سوف تجد أن الإحصائيَّات كانت تشير في فترة ما قبل نزع الحِجاب إلىٰ تدني الجريمة، وندرة حالات الطلاق، واستقرار الأسرة، وذيوع الأمن، وحلول البركة في عموم الأشياء قبل خروج المرأة.

ولكن ماذا بعد خروجها وتحرُّرها؟! إنه واقع مرير وحالة بئيسة للمرأة، فهي لا تفارقها الكآبة ولا القلق ولا التوتُّر، وقد تأخَّرت الأمَّة مئات السنين بعد عزَّة ومَنَعة وسيادة كانت فيها، وراجت في سوق النخاسة العالمي.

❁❁❁

ثانيًا: لو فرضنا أن الحِجاب والنقاب فضيلتان، وتسابق في الخيرات، وتنافس في الطاعة، فالمحجَّبة بالخمار والجلباب دون النقاب أو غطاء الوجه نقول لها: خيرًا فعلتِ، حفظكِ الله، وزادك الله هدًىٰ وتقًى، والمرأة التي غطَّت وجهها أو انتقبت نقول لها: زادكِ الله حرصًا، وتقبَّل الله طاعتَك، وأعانك على الثبات والاستقامة، وزادكِ رفعة ودرجة في أعلىٰ علِّيِّين.

وكل فريق له دليل يستند إليه ويتأوَّله لتأييد الطاعة التي يفعلها، وسوف نبين ذلك بالتفصيل حيث الأدلة واحدة، والخلاف بينهما خلاف في فهم الأدلة وتأويلها، وسوف نبيِّن الراجح منها والأصوب فيهما.

ولكن كما قلنا أصحاب الحِجاب والنقاب يستندون إلى أدلة شرعيَّة من الكتاب والسنة، ولكنَّنا نؤكِّد ونعيد أنه لا خلاف بين علماء الأمَّة قديمًا وحديثًا على ذمِّ التَّبرُّج وحرمته، وأن هؤلاء النسوة المتبرِّجات لم يَراهُنَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عهده في القرن الأول خير القرون، لذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا }**(١).

فانظر إلى هذين الصنفين اللذين لم يشاهدهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وهما:

(١) الحكام والولاة الظلمة: وهي من إرهاصات نبوَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإثبات نبوَّته بإخباره في الغيب يقع كما أخبر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد وقع الحكم الديكتاتوريُّ، والاستبداد واستعباد الناس كما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا تأمَّلت نظم الحكم في بلاد المسلمين منذ سقوط الخلافة إلى اليوم تجد أن الأمَّة الإسلاميَّة تتأرجح بين حكم عسكريٍّ، أو ملك جبريٍّ، والغريب أنك تجد في بلاد المسلمين أن الأقليَّات غير المسلمة تتمتَّع بحريات كبيرة، في حين

---

(١) أخرجه مسلم: ك: اللباس والزينة، ب: النساء الكاسيات العاريات...، ح (٢١٢٨).

يُحجَّم الإسلام ويُضطهد المسلمون، ويُسخَر من أحكام الدِّين وأتباعه، وتُمنَع شعائره بقوانين، كالختان، والحِجاب، ولا تظهر مذيعة محجَّبة علىٰ شاشات الفضائيات الرسميَّة، وتستحيي الدول من أن يقال لها دولٌ إسلاميَّة فتسعىٰ إلىٰ أن تكون دولًا مدنيَّة، وتسعَىٰ لفصل الدِّين عن الدولة، وعزل الدِّين عن السياسة. فقد أعلنت مصر عام ١٩٣٦م أنها دولة مدنيَّة، وأعلنت بعدها تركيا بسنتين عام ١٩٣٨م أنها دولة مدنيَّة، ويتكرَّر الحدث منذ سنوات في مصر، وهلم جرًّا.

وانظر إلىٰ بلاغة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودقَّة تعبيره، فقد أوتي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصارًا، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في رواية أحمد: { **صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ ...**}(١)، أي هم منَّا وأسماؤهم إسلاميَّة.

وتأمَّل لفظاعة هذا العمل، وهذا الذنب الكبير الذي أوجب لهم النار، وباعد بينهم وبين الجنة.

وفي الحديث دليل علىٰ الجمع بين فساد الحكم وتبرُّج المرأة وفسادها، فكلاهما يدل علىٰ الآخر، فإذا كان الحكم فاسدًا فسدت النساء بالتبعيَّة، وإذا كان صالحًا صلحت النساء تبعًا لذلك، فالناس غالبًا علىٰ دين ملوكهم، وهذه عبارة لا أحبها، ويجب أن نعمل علىٰ تغييرها، ونقول: «الناس علىٰ دين نبيِّهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي الحديث إشارة إلىٰ خطر التَّبرُّج والسُّفور، وأنه من أعمال الجاهليَّة الأولىٰ. كما أكَّد القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ**﴾[الأحزاب:٣٣].

❁❁❁

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٦٨٠).

وقفة
حكمة تعدد الزوجات

• جاء الإسلام ليحدِّد لا ليترك الأمر لهوىٰ الرجل، وقيَّده بعدم الظلم.

• تعدُّد الزوجات مأثور علىٰ الرسل والأنبياء، والعلماء والأمراء والمصلحين.

• والتعدُّد يفتح فرص الزواج أمام المرأة، ويعالج ألوان من الانحراف عند الرجل.

• وقد جربته الأمَّة الإسلاميَّة، عبر الأجيال فما زادها إلا قوة ومناعة.

والتعدُّد في الإسلام نظام أخلاقي رباني ليحفظ حق الأم وابنها، والرجل بإيوائه امرأة لا زوج لها يخفِّف من أعباء المجتمع، ويمنح المرأة شرف الزوجة المصونة ويعترف لها بحقوقها هي وأولادها.

• التعدُّد نظام متوافق مع الفطرة، بعيدًا عن انحلال الخلق وتلويث المجتمع، فيرفع المستوىٰ الأخلاقي في الأمَّة، ويويد الأسرة ارتباطًا، ويمنح المرأة احترامًا وسعادة.

• المجتمعات التي لم تتمتع بنعمة التعدُّد وقعت في ثلاث شدائد: انتشار الدعارة، وكثرة العوانس، وكثرة الأبناء غير الشرعيِّين (اللقطاء)، وهي أمراض خطيرة شؤم عليها.

• كتب هتلر في وثيقة بخط يده عام ١٩٤٤م قال فيها: ـ «أفكر جديًّا في إباحة الزواج الثاني للرجل الألماني لضمان مستقبل قوة الشعب الألماني».

• يقول د. فيشر: «إن الأخطار الهائلة التي يتعرَّض لها المجتمع الغربي يمكن أن تُحَلَّ بإباحة تعدُّد الزوجات، بل إن إباحته ضروريَّة جدًّا للمجتمع الغربي من الهاوية التي أوشك أن يقع فيها».

• إن التعدُّد ليس دليلًا على انحطاط المرأة، أو على الشعور بضعفها ومهانتها، لكنه شعور بالذات، وانتصار للإرادة التي ترغب في الحلال الطيِّب.

• يوم أن تحدَّ الأمَّة من تعدد الزوجات، وتعرقله سيكثر الزواج العرفي، ويتفشى تعدُّد الخليلات، وستزيد نسبة الطلاق، وتكثر شهادة الزور.

• إن الالتزام بأحكام الإسلام هو خير عاصم للعقل البشري من الانحراف الفكري، وأصلب سدٍّ أمام طوفان الغزو الثقافي، وأحسن حلٍّ لمشاكل المجتمع الإنساني.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة].

مصطفى صبري «شيخ الإسلام» في كتابه «قولي في المرأة»



السؤال السابع عشر: ما هي أقسام الجاهليَّة؟

الجواب: أقسام الجاهليَّة في فظاعة أفعالهم، وذنوبهم التي أوردتهم النار من قريب، وباعدت بينهم وبين الجنان تتمثَّل في:

١- حكم الجاهليَّة.

٢- ظنّ الجاهليَّة.

٣- حميَّة لجاهليَّة.

٤- تبرُّج الجاهليَّة.

٥- ربا الجاهليَّة.

٦- دماء الجاهليَّة.

٧- أنكحة الجاهليَّة.

٨- النياحة على الأموات، والطعن في الأنساب.

ولقد جاء الإسلام ليهدِم مع أصنام المشركين، أوثانَ الجاهليَّة وأركانَها.

• فجاء في هَدْمِ **حكم الجاهليَّة** قوله تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠** ﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ** ﴾ [يوسف:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥** ﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٦٥** ﴾ [النساء].

ولا يُتخيَّل أن يكون الله ﷻ هو الخالق والرازق والمدبِّر والمسخِّر للكون، ولا

يحِقُّ له الحكم علىٰ الناس. وحكم الله تعالى على نوعين:

الأول: حكمه في قضائه وقدره (الإرادة الكونيَّة): وهذا لا رادَّ له، فلا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لمن منع، ولا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحُكْمه.

قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران].

الثاني: حكمه وقضاؤه في الأمور الشرعيَّة: (الإرادة الشرعيَّة) فالله سبحانه ابتلىٰ الناس بالأمانة (التكاليف الشرعيَّة) كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب].

فأحكام الدِّين وحدود الله تعالىٰ بقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصَن، ورجم المحصَن، وجلد شارب الخمر، والقصاص في القتل، وغير ذلك من القوانين التي سنَّها الله ورسوله، فكلُّها خير للعباد، وفي الحديث: { حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلَاثِينَ - أَوْ أَرْبَعِينَ - صَبَاحًا }(١).

ومن أسمائه تعالىٰ الحكم، والعدل، فمن لم يتحاكم إليه عند الشقاق والخلاف فقد عطَّل بعضًا من أسمائه.

• وجاء في هَدْمِ **عصبيَّة الجاهليَّة**: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٧٣٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج٢ (٢٣٥٠).

وفي الحديث: { مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ }(١). وفي النهي عنها قال ﷺ: { دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ }(٢)، وهي صفة ملازمة للكافر ومَن هم على شاكلته، فلا عصبيَّة في الإسلام إلا للحقِّ.

• وجاء في هَدْمِ **ظنّ الجاهليَّة** قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[الفتح]، وقال أيضًا: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٢ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣﴾ [الفتح]. وقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾[الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾[آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ﴾[النجم:٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾[يونس:٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾[الحج].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ح (١٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: قوله ﴿لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، ح (٤٩٠٥)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ح (٢٥٨٤).

وفي الحديث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله تعالىٰ: **{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ....}**(١).

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** ظنُّها بالأصنام أنها تنفع وتضرُّ، أو أنها وسائط وشفعاء بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** قولهم: الملائكة بنات الله.

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** ضعف الثقة في نصر الله تعالىٰ عند تحزُّب أهل الكفر علىٰ أهل الإيمان.

انظر ما قاله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما واجه قومًا أولي بأس شديد، فاشتكىٰ إلىٰ عمر بن الخطاب قلَّة المدَد من الرجال، فقال له: «ألم تسمع لقول الله تعالىٰ: ﴿**سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ**﴾[الفتح: ١٦]، فاحمد الله تعالىٰ أن أراك آية في كتابه واقعًا، فقاتل وانتصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** قول اليهود: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ **[آل عمران:١٨١]**.

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** ظنُّهم أن الله قد ترك خلقه هملًا، فيترك الظالم يتمادىٰ في ظلمه ولا يعجِّل له العقوبة، والعاصي يتمادىٰ في المعاصي ولا يعجِّل له في العذاب.

• ومن **ظَنِّ الجاهليَّةِ:** أن الإنسان يدعو بالشر دعاءَه بالخير، أو يظن أن الله سبحانه لا يستجيب له الدعاء كما وعد سبحانه بقوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ **[غافر:٦٠]**.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ ح (٧٥٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• ومن ظَنِّ الجاهليَّةِ: أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالىٰ ابتلاه أو سلبه ظلمًا له.

• وورد في **تبرُّج الجاهلية** قوله تعالىٰ: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالىٰ في شأن القواعد من النساء: ﴿ **فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ** ﴾ [النور: ٦٠].

وانظر إلىٰ علاقة العفاف بالحِجاب في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ** ﴾ مع أنهنَّ من القواعد من النساء، فما بالنا بالبنات والأمَّهات ومَن هُنَّ دون سِنِّ القواعد!

فجاء الإسلام وحذَّر من هذه الأصناف وهدم بنيانها من الجذور إلىٰ السِّيقان، وفي الحديث: { **وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّة فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ** }، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ وَإِنْ صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قَالَ: { **وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِّ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ الله** }(١).

وذلك لأن الجاهليَّة لا تجتمع مع الإيمان والإسلام أبدًا، فهما نقيضان لا يلتقيان، وذلك يفسِّر لنا الخطر الذي تقع فيه المرأة المسلمة وهي تصلي وتصوم وهي واقعة في تبرُّج الجاهليَّة!

• وما أجمَلَ وأروعَ ما رُوِي من قول المُحدَّث الفاروقِ عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « إِنَّما تُنْقَضُ

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى (سورة الحج) ب: قول الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾، ح (١١٢٨٦) من حديث الحارث الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ورواه أحمد والترمذي وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح ج٢ رقم (٣٦٩٤) بلفظ { من دعا بدعوى الجاهليَّة فهو من جثى في جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم }.

عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ »[1].

وتأمَّل قول سيدنا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يشبِّه الإسلام بقميص، كل عروة فيه تُمثِّل ركنًا من أركان الإسلام، أو طاعة من الطاعات، أو حكمًا من الأحكام، يهدمها ركن من أركان الجاهليَّة، وهذا القميص يخلعه صاحبه عندما ينشأ في الإسلام وهو لا يعرف الجاهليَّة. أتدرون لماذا؟

لأنه بعدم معرفته للجاهليَّة يقع فيها، ويدافع عنها، وقد يظنُّها من الإسلام، وهذا ما حدث في دنيا الناس اليوم، تصوم المسلمة وتصلي، ولا تلتزم بالحِجاب الشرعي، ثم تقول لك: ربنا رب قلوب، وتذكر لك الحديث الصحيح: { **إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ** }، وتأتي بصفة من صفات اليهود عندما كانوا يأتوا بالتوراة للنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويضعون أيديهم على بعض الكلام الذي يُقيم الحُجَّة عليهم، ولقد فضح القرآن شنيع فعلتهم هذه بقوله تعالى:

﴿ **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾** ﴾ [المائدة].

وهكذا فعلت هذه المتبرِّجة المدافعة عن التَّبرُّج بالحديث النبوي فذكرته مبتورًا، وأخفت آيات وأحاديث كثيرة تبين معنى نظر الله تعالى في هذا الحديث.

ونص الحديث: { **إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** }[2]. فهي لم تذكر أعمالكم، والله ﷻ لم يذكر الذين آمنوا إلا

---

(١) أورده ابن القيم في عدد من كتبه، انظر: مدارج السالكين (١/٣٥١)، والجواب الكافي، ص (٢١٤)، وغيرهما.

(٢) انظر الروايتين في صحيح مسلم، ح (٢٥٦٤).

وأتبعها (وعملوا الصالحات).

قال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤].

وفي سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾، فلا يوجد إيمان بدون عمل صالح(١).

• وانظر إلى كِياسة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلقد وصف وصفًا دقيقًا لما عليه كثير من المسلمين اليوم، وكيف خلعوا قميص الإسلام، ووقعوا في الجاهليَّة، ونسبوها إلى الإسلام، فانظر إلى تلبيس إبليس عليهم، والسبب في ذلك جهلُهم بالجاهليَّة، وكذلك حكم الجاهليَّة، وظنُّ الجاهليَّة، وحميَّة الجاهليَّة، وثأر الجاهليَّة، وفخرها بالأحساب والأنساب.

• لذلك كانت كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» من جملتين الأولى: «لا إله»، والثانية «إلا الله»، والأولى كفر، والثانية إيمان.

أي يكون المعنى لا بُدَّ من معرفة الكفر والآلهة التي تُعْبَدُ من دون الله، ويكفر المرء بها حتى يَصِحَّ إيمانه بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا يستقيم توحيد عبدٍ مع إيمانه أو اعتقاده في آلهة أخرى.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة:٢٥٦]، فانظر كيف سبق الكفرُ بالطاغوت الإيمانَ بالله تعالى؟

---

(١) قد فصَّلنا القول في هذه القضيَّة بتوسع في رسالة: « قلوب تتلألأ ».

وأن هذا هو الطريق الصحيح للتمسُّك بالعروة الوُثقَىٰ.

فلا بُدَّ من تعلُّم الشرك بأنواعه(شرك النسب، وشرك العبادة، وشرك الدعاء، وشرك المحبة، وشرك التشريع، وشرك التحزب)، وكذلك الشرك الأصغر من (الرياء والسحر والكهانة والتمائم، والتنجيم، وادعاء معرفة الغيب، واستعمال الرقَىٰ غير الشرعية، والحلف بغير الله، وقول: ماشاء الله وشئت، ولولا الكلب لدخل اللص..).

ولابد من تعلُّم الكفر بأقسامه (كفر الجحود والنكران والتكذيب، وكفر النفاق، وكفر الاستهزاء)، والجاهليَّة بأنواعها، ولابد من الكفر بالطاغوت (وهو الشيطان، وكل من تجاوز الحدَّ، أو دعا إلىٰ عبادة نفسه، أو عبادة غير الله تعالىٰ).

فهذه أمور يجب أن نتعلَّمها ونتجنبها، كي يحفظنا الله تعالىٰ بذلك منها، ويكون أمامنا أبواب الإيمان وشعبُه الكثيرة ننهل منها ونتعلَّم.

❁❁❁

وتأمَّل قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكيف تنبَّأ بوجود أناس من أمَّة الإسلام، لا يعرفون الجاهليَّة، وأقول: ماذا يقول أمير المؤمنين لو عاش هذا الزمان وشاهد الملايين من الأجيال المسلمة، وهي لا تعرف شيئًا عن الجاهليَّة، بل أصبحت هذه الكلمة من محظورات قاموس العصر الحديث، فلا يتكلَّم عنها الخطباء في المساجد، ولا تُدرَّس في الجامعات، ولا يُدلي بها العلماء والفقهاء في ندواتهم، مع أنه من صُلْبِ الإيمان والعقيدة أن نتعرَّف علىٰ الكفر والشرك والنفاق والجاهليَّة كي نتجنَّبَ الوقوعَ فيها.

لذلك تجد اليوم نساءً مسلماتٍ متبرِّجاتٍ، وقد يَكُنَّ مصليَّات صائماتٍ، وهنَّ

يعتقِدْنَ أن ارتداء الحِجاب من الفرعيَّات وليس من الفرائض، وأن المهمَّ هو القلب لا الظاهر، ولا يعلمن أنهنَّ علىٰ خطر عظيم من عدَّة أمور:

١ـ اتِّباع ظنِّ إبليس، وتلبيس الحقِّ بالباطل، وصدق فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ ﴾ [سبأ: ٢٠].

٢ـ استبدال أعمال الفسق بأعمال الإيمان، فالتَّبرُّج فسوق وعصيان، والحِجاب طاعة وإيمان.

٣ـ وقوعهنَّ تحت مسمَّىٰ «تبرُّج الجاهليَّة».

٤ـ حبُّ المعصية وكراهية الطاعة والنفرة منها، مع أن هذه صفة المنافق، أما صفة المؤمن فهي: « اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزيِّنْهُ في قلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ ».

٥ـ استبدال الجهل بالعلم، والجدل بالانقياد، والباطل بالحقِّ، والذي هو أدنىٰ بالذي هو أعلىٰ، والذي هو شرٌّ بالذي هو خيرٌ.

٦ـ الافتراء والكذب علىٰ الله ورسوله بفهمٍ للدين لم يُرِدْهُ الله، ولم يأت به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧ـ اتِّباع الهوَىٰ وَلَـيُّ النصوص من أجل مصالح دنيويَّة تتراءىٰ لهم، وترك الوحي والهدىٰ.

٨ ـ التجنِّي علىٰ القلب والنيَّة، فالقلب محلُّ النيَّة، والأعمال بالنيَّات، والله عَزَّ وَجَلَّ لكي يقبل ويتقبَّل هذه النيَّة لا بُدَّ لصاحب العمل أن يسأل نفسه سؤالين: لمن عملت؟ وكيف فعلت؟.

فنسأل المتبرِّجة لمن هذا التَّبرُّج، هل لله أم للناس؟ فإذا كان الجواب لله. نقول: إجابة خاطئة، فلو كان لله لكان وفق مراده وحسب ما طلب وشرع.

ثم نأتي للسؤال الثاني: كيف فعلت؟ هل كان هذا الزيُّ كما أمر الله به رسوله، أم حسب هواكِ وتطلُّعاتكِ وأمانيِّكِ؟

فإذا كان الجواب: كما أمر الله به رسوله. نقول: هذا غير الحقيقة فقد أمر الله رسوله أن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بلبس الجلباب والخمار، وأن لا يضربن بأرجلهن، وأن يسترن عوراتهن عن الرجال الأجانب والنساء الكافرات.

- فلا سبيل للاعتماد على النيَّة أو القلب في إباحة التَّبرُّج، لأن العقوبة مضاعفة بسبب المخالفة لأمر الله وأمر رسوله، وبسبب الكذب على الله ورسوله.

فالأصلح أن تعترف المتبرِّجة بتقصيرها، وبُعدِها عن هَدْيِ ربِّها، وتطلب الدعاء لها بالهداية والتوفيق، فذلك خير لها من الجدال بالباطل، والتمادي في تزيين الشيطان لهنَّ.

وخلاصة القول في هذا الباب: أن منشأ الخلاف بين الحِجاب والنقاب زرعه أعداء هذا الدِّين، وتولَّى رعايته بالشَّهَوات والشُّبُهات فريق من المنافقين والمُغرضين والذين في قلوبهم مرض.

وبهذا تتحقَّق لهم أمنيَّتهم، فينشغل أهل الحقِّ بالخلاف بين النقاب والحِجاب، ويتركون جهادهم ضدَّ التَّبرُّج والسُّفور.

❁❁❁

وقفة
سنة إبليسية

(لقد نهج دعاة التحرير نفسَ منهج إمامهم الأول إبلييس ـ لعنه الله ـ إذ ما كان من إبليس إلا أن زيَّف لآدم وحواء الحقيقة، وألبس الحقَّ لباسَ الباطل، والباطلَ لباسَ الحق) .

لم يأت الشيطان ليقول للإنسان: كُلْ من الشجرة التي نهاك الله عن الأكل منها، كي يغضب الله عليك، ويطردك من جنته، ويُنزلك إلى دار الشقاء .

بل قال له: إن في الأكل من الشجرة سعادتَك وهناءَك وخيرَك. إنها شجرة الخلد والملك الذي لا يَبلَى، وما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وأقسم لهما إنه لهما لمن الناصحين

وهكذا تدرَّع الشيطان إلى الفجور الذي نراه اليوم، ونعاني ويلاته بالسُّفور وكشف الوجه كخطوة أولى، يَستنزل بها المرأة من عَليائها وعفَّتها .

وما كان للمسلمة أن تطيعَه أبدًا إذا دعاها صراحة وهي في قمة الاحتجاب والتخفُّف إلى ما نراه اليوم في الشوارع وعلى الشواطئ وفي النوادي ودور السينما والمسرح، لكن الخبيث تدرَّج معها ابتداء بأن السفور (كشف الوجه) جائز شرعًا، وانتهاءً بأنه خير الهدي هدي أمريكا وأوروبا، وصدق الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة].

قال ابن قيم الجوزية في كتابه « روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين »: « ولهذا أمر النساء بستر وجوههن عن الرجال، فإن ظهور الوجه يُسفِر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان » .

❁ ❁ ❁

السؤال الثامن عشر:

هل التشَبُّه بأصحاب الحضارة الماديَّة المعاصرة والتي نشأت فيها المرأة ونالت الشهرة والمجد خطر على أمتنا؟!

الجواب: سبق أن تحدَّثنا في إجابة السُّؤال السَّابق عن أن الخلاف بين الحِجاب والنقاب هو اختلاف في تأويل النصوص والأدلة وتفسيرها.

والمذموم هو التأويل الفاسد واتِّباع الهوَىٰ وَلَـيُّ النصوص وعبادة الرأي لكي نُضفي علىٰ التَّبرُّج والسُّفور شرعيَّة ودستورًا، ونقبله في الواقع ونرضى به.

والصواب: أن نغيِّر الفسادَ لكي يتلاءم مع الحقِّ، والضلالَ هو التهرُّب من الحقِّ، والتغاضى عنه وتبديله لكي يتلاءم مع الواقع.

أما عن التشَبُّه: فمن يَتَشَبَّهُ بمن؟

هل يَتَشَبَّهُ الأعلىٰ بالأدنىٰ، أم يَتَشَبَّهُ الأدنىٰ بالأعلىٰ؟ ولمن العُلُوُّ والاستعلاء؟!

لقد وصف الله تعالىٰ أمَّة الإسلام بالعزَّة تارة، وبالعُلُوِّ تارة أخرىٰ، وبالخيريَّة ثالثة، وبأنهم أحق بالأمن والطمأنينة مرة رابعة.

ولكنه اشترط لهم شرطًا لكي يتحقق ذلك وهو الإيمان. يعني لا بُدَّ أن تقوم الأمَّة المسلمة بأعمال الإيمان وتتفاعل معه، وتغار عليه، وتبتعِدُ عن الفسق والفجور والعصيان، وأن يكون الدِّين لله بلا فُرقة أو تنازع لكي يتحقَّق لهم هذا العُلُوُّ.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩** ﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون:٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ٧** ﴾ [البينة].

وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فانظر إلىٰ الآيات وتأمَّل هذه الجمل: (**إن كنتم مؤمنين، وللمؤمنين، آمنوا وعملوا الصالحات، تؤمنون بالله**)؛ ليتأكَّد لك أن ذلك العُلُوَّ وتلك العزَّة والخيريَّة متوقِّفة علىٰ صحَّة الإيمان وحيويَّته وأثره البيِّن الظاهر في الأمَّة (١).

• فإذا شعَر المؤمن بعزَّة الإيمان وعُلُوِّه، واستعلَىٰ بهذه الخيريَّة وتميَّز بهذا الإيمان والعمل الصالح، هل يحتاج أن يتدنَّىٰ ويتشبَّه باليهود أو النصارىٰ أو الملحدين أو البوذيِّين أو الهندوس، أو عبدة النيران والكواكب والشياطين، وغيرهم؟

هل يترك التشَبُّه بالقُدوة والأُسوة، بسيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفضل النَّبيِّين وخاتمهم - بلا فخر - ليتَّخذ غيره قدوة وأُسوة؟

هل تترك المسلمة التشَبُّه بسيدات نساء العالمين، وأزواج نبيه الأمين، وبناته، ونساء الصحابة «الصحابيَّات» الطاهرات اللواتي رضي الله عنهن أجمعين، للتشبُّه بالسَّافرات الداعرات المنحرفات في العقيدة والفكر والسُّلوك ؟!

إن التميُّز في الإسلام هو سبيل العزَّة والكرامة، وبه نناجي ربَّنا في كل يوم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

إنها الهويَّة الإسلاميَّة، إنها صبغة الله تعالىٰ لنا، وهل توجد صبغة أفضل منها؟ قال تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة].

---

(١) وهنا وقفة نتأملها: هل لفظ المؤمنة يُطلق على المحجَّبة والمنتقبة أم يُطلق على المتبرِّجة؟

إن التشَبُّه بالكفار يعني التبعيَّة لهم، يعني الدنيويَّة، يعني الرضَى عنهم وعن أحوالهم، يعني كراهية الحقِّ، والميل إلى الباطل، يعني الخذلان والاستحياء من الدِّين، والفرح والفخر بالدنيا وزينتها التي جعلها الله تبارك وتعالى خاصَّة بهم.

قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [البقرة:٢١٢].

ولا يمنع الإسلامُ التشَبُّهَ بهم في النافع والمفيد إلا بعد أخذنا به وتطويره وتميُّزنا فيه، كما حدث في صيام يوم عاشوراء فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ**}، **ثُمَّ أَمَرَ بِصَوْمِهِ**[1]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ** } فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]. وذلك من باب المخالفة لليهود في الصيام، وهو من أرقى العبادات.

فما بالنا بالتشَبُّه بهم في الماديَّة والإلحاديَّة والانحلال وشرب الخمور والفجور، وعدم مراعاة حرمة الله ورسوله ودينه؟!!

• حتى علوم العصر والتكنولوجيا لا قيمة لنا فيها ولا بركة إذا لم نأخذها، ونقوم بترجمتها بلغتنا، ثم تطويرها وتحديثها، هكذا فعل الغرب من قبل مع حضارتنا وعلومنا، وكذلك كل الدول التي تقدَّمت وازدهرت من حولنا.

ولا تتعجَّبْ عندما تعلم ما هو الثمن الذي دفعناه لهذه التبعيَّة، وهذا التشَبُّه.

في مؤتمر دافوس المنعقد في شرم الشيخ منذ عامين، وفي تقرير التنافسيَّة الذي

---

(١) أخرجه البخاري ك: (مناقب الأنصار) ب: (إتيان اليهود النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حين قدم المدينة) ح (٣٩٤٣)، ومسلم ك: الصيام، ب: صوم يوم عاشوراء، ح (١١٣٠) عن ابن عباس** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم ك: الصيام، ب: أي يوم يصام عاشوراء، ح (١١٣٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

يصدر في نهاية المؤتمر، ذكر أن مصر هي الدولة رقم ٣١ (يعني الدولة قبل الأخيرة في العالم) في تدنِّي مستوىٰ التعليم، وجودة العمل، وإنتاجيَّة العامل، وأنها أصبحت في تقارير أخرىٰ أسوأ دول العالم في تلوُّث البيئة، وتلوُّث الأخلاق وفساد الذِّمَم، وأن جامعاتها وجميع جامعات الدول العربيَّة لم يكن فيهم جامعة واحدة ضمن أفضل سبعين جامعة في العالم، فأين مصر وصادراتها والتي كانت لها المنافسة علىٰ العالم؟

إن المرأة المسلمة لو سمعت بأذن واعية الصَّرَخات والعَويل والمشاكل المعقَّدة، وسوق النَّخاسة للمرأة في السوق العالميِّ، وكيف صارت فتاة غلاف، وملكة إغراء، وممثِّلة سوبر، ومغنيَّة، وكيف شاركت الرجل ونافسته في شتَّىٰ الميادين، وما نالت مع ذلك سعادتها المرجُوَّة، ولا طموحاتها التي كانت تَهفو إليها.

ولكن الذي جعل لها شأنًا هناك هو ضعف الرجل، واستسلامه لتسيُّد المرأة، حتىٰ صار العصرُ عصرَ الحريم، وصار للمرأة حقوق لا تحلُم بها أخرجتها عن فطرتها واستأسدت بها، وقدَّموها علىٰ الرجل وخابوا وخسروا، ونحن نحاول السَّيْرَ وراءهم، وما جنَت المرأة حياة مستقرَّة، ولا أسرة تحلُم بها، ولا ذريَّة صالحة تعتمد عليها خاصَّة عند كِبَرِ سنِّها، وعانت هذه الدول من قلَّة نسلها فاستوردت العمالة الآسيويَّة والأفريقيَّة، وزادت ملاجئ اللُّقَطاء، وحوادث الاغتصاب، والزنا، وتبادل الزوجات، والمجون وزواج المثلين (الشواذّ)، وحدِّث ولا حرَج، وانهارات النظم الاقتصاديَّة والأخلاقيَّة والاجتماعيَّة.

وهذا باعتراف أهلها، وأقوال الأدباء والعلماء وأهل الفكر والاجتماع فيهم.

فماذا ترجوه المرأة المسلمة من وراء التشَبُّه بهم؟. هل تبحث عن مرضاة الله

تعالىٰ عندهم؟! أم تبحث عن دنيا تُصيبها، أو شُهرة تلهَث وراءَها، أو إغراء يؤدِّي إلىٰ تلفها وهلاكها؟!

انظر ما فعلته الُموضة وبيوت الأزياء في بلدان المسلمين!! حصدوا أموالنا، وزرعوا فينا الميوعة والخنوثة، وترجَّلت النساء، ولبس الشباب السلاسل والأساوِر، والبنطلون الذي لا يستر العورة، وانظر إلىٰ تسريحات شعر الشباب.. وحدِّثْ ولا حرَج.. موجة شديدة من المَسخ للهويَّة الإسلاميَّة وتبدُّل للفطرة الإلهيَّة.

وإذا أردت النظر بعين الحقيقة لهذا الحصاد المرِّ فانظر إلىٰ الأجيال المتعاقبة في مصر وأمتنا العربيَّة والإسلاميَّة، وحدِّث ولا حرَج علىٰ تدنِّي مستوىٰ التديُّن فيهم، وتدنِّي مستويات التعليم والأخلاق والتربيَّة، حتىٰ مستوىٰ الطُّموح والآمال، حتىٰ وقع هؤلاء الشباب في الهزيمة النفسيَّة، وحلَّ بهم اليأس والخمول، وانتشرت البطالة والكساد، وزاد الفساد، ولا حلَّ ولا أمل إلا في العودة إلىٰ الله تعالىٰ بصدق، ورجوع المرأة إلىٰ إسلامها، وعودة الحياة إليها، والتزامها بالعفاف والعفَّة والحِجاب والطُّهر.

• وكيف يترك أصحاب الرسالة الخاتمة، وأمناء وحي السماء، وخاتم الأمم العملَ بهذه الرسالة السمحاء، والشريعة الغرَّاء؟!

(**فلا أمَّةَ بعدنا، ولا كتابَ بعد القرآن، ولا رسولَ بعد نبي الله محمد** ﷺ)، فكيف يترك حملة الهداية للناس الهداية لأنفسهم وذويهم ورعاياهم؟!

إن مسئوليَّة هذه الأمَّة ردُّ الناس إلىٰ الدِّين الحقِّ، وتبليغ دعوة الإسلام لكل العالمين في شتَّىٰ ربوع الأرض ونجوعها وكُفورها ومُدنها وسواحلها، فكيف يدعو للإسلام مَن تخلَّىٰ عنه ؟!

وكيف يدعو للإسلام مَن لا يصلح أن يكون قدوة وأسوة لا لقرابته وأهله ولا لغيره ؟! وكيف يدعو للإسلام مَن أحوالُه لا تَسُرُّ عدوًّا ولا حبيبًا؟!

إن أمتنا تحتاج إلىٰ تطوير وتغيير شامل في كل نواحي الحياة؛ انطلاقًا من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد:١١].

فلا بُدَّ من **حملة قويَّة وإعلاميَّة** من الجميع، الأمير والأجير، الحاكم والمحكوم، الراعي والرعية، نبدأها بالتوبة إلىٰ الله تعالىٰ من التقصير في حقِّه جلَّ وعلا، ومن تضييع الأمانة التي وُكِلَتْ إلينا واستقرَّت عندنا، نعاهد فيها الله تعالىٰ علىٰ إصلاح ما فسد، وجبر ما انكسر، وإصلاح النفس وتربيتها، كلُّ ذلك وفق قواعد القرآن والسنَّة، فهما نور الحياة للمسلمين، وبدونهما تَعمَىٰ القلوب قبل الأبصار.

❁❁❁

▪ **حملة:** نُربِّي فيها الأجيال علىٰ العقيدة الصحيحة الراسخة، والعبادة التي تهذِّب النفس وتدفع عنها الفحشاء والمنكر، والمعاملة التي تنأىٰ بالمجتمع بعيدًا عن الغِشِّ والتدليس والكَذِب والرِّبا والفواحش، والحِجاب الذي يحفظ للمسلمة مكانتها، ويضمن عدم ابتذالها أو تعرُّض الفُسَّاق لها، وبالحدود التي نضمن بها سلامة المجتمع من الجريمة، وتحقيق الأمن والأمان، وبتسهيل الأخذ بعلوم العصر وترجمتها وتطويرها، وتشجيع البحث العلمي والعلماء، وتوفير كل الإمكانيَّات والسبل لهم.

إن طريق التنمية واضح لا غُموض فيه، وسهلٌ لا وَعْرَ فيه، لا كما يُصوِّروه لنا باستشارات أجنبيَّة، يُستبعَد فيها أبناؤنا، وتستغلُّ ثرواتُنا، ولا يعمل فيها إلا لمصلحة النَّفْسِ.

لا بُدَّ من خُطَطٍ تُعيد لنا هُويَّتنا وصدارتنا. وأمامنا مجالات شتَّىٰ للرقيِّ والتقدُّم، بل شتَّىٰ المجالات مفتوح أمامنا للإبداع والرقيِّ.

المهمة ليست شاقَّة أو عسيرة أو مستحيلة، إنما تبدأ برفع الظلم والاستبداد، ومنح الأمن والأمان لرأس المال الإسلامي والعربي، والعمل علىٰ استثماره في مشاريع عملاقة تضعنا في مصافِّ الأمم المنتجة.

نحتاج لعقول لا تعلِّق مشاكلها بزيادة النسل، وتخفي مشاكلها وفشل نظمها تحت ستار الأمن وقانون الطوارئ؛ إنما نحتاج لعقول تستثمر هذه الطاقة البشريَّة ونحن في أشدِّ الحاجة إليها، تواجه المشاكل بصراحة وإيجابيَّة.

ومن حولنا تجارب رائدة وناجحة. انظر إلىٰ ماليزيا (كيف استثمرت الطاقة البشريَّة وصارت من أولىٰ دول العالم في تصدير التنمية البشريَّة)، وتركيا والتي بدأت تتجه إلىٰ الدول الإسلاميَّة والعربيَّة بعد إيمانها بأن الانضمام لدول الاتحاد الأروبي ثمنه التغاضي عن الإسلام والهويَّة.

❁❁❁

وخلاصة المسألة كما سبق وذكرنا في التأويل الفاسد وعبادة الرأي، فكلاهما دفعنا إلىٰ الميل والاعتقاد بأن الدِّين عائق عن التقدُّم، وأن الحِجاب قد يعوق مسيرة التنمية التي نستوردها من الغرب.

والتنمية التي لا تنبع من الذات تكون شكليَّة وليست تنمويَّة، وأقرب مثال إلىٰ ذلك مدينة دبي بدولة الإمارات. فالتنمية التي تعمل علىٰ رفع رؤوسنا خفَّاقة هي التنمية الحقيقيَّة. أما التنمية التي تعمل علىٰ قضاء وطرنا وشهواتنا، وضياع أعمارنا

وأوقاتنا فهي الاستعباد في أجمل صورة مزوَّرة، وأبهى حلية مزركشة، ولا علاقة له بالتنمية من قريب أو بعيد.

إنها التنمية التي تعود إلى فهم قول الله ﷻ: ﴿ **بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾** ﴾ [النساء].

• التنمية التي تجعل العالِم عندنا يؤدِّي عمله بإتقان وإحسان وإكمال له على أحسن وجه، عملًا بالتعاليم النبويَّة الراشدة: { **إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ** }(١).

فبدلًا من أن نكون آخر دول العالم في جودة العمل وأداء العامل، نكون أول الدول في جودة الإنتاج وإتقان العمل، هذه هي تعاليم ديننا، وهذا هو إسلامنا، فلماذا نترك ما تميَّزنا به ونتشبَّه بغيرنا نلتمس العزة لديهم؟!.

إن حال المسلمين اليوم في تشبُّه الفئات الكثيرة، والفئام العريضة منهم بالمشركين اليوم لهو من إرهاصات النبوة ودلائل نبوته وصدقه ﷺ، قال ﷺ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ** }(٢)، وهكذا استدار الزمان، واقتربت الساعة، وحدث ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ، وتحقق

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ح (٤٣٨٦) من حدبث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٨٠)، والسلسلة الصحيحة جزء (١٠٦/٣) رقم (١١١٣).

(٢) أخرجه الترمذي ك: الفتن عن رسول الله ﷺ، ب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ح (٢٢١٩) عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود وصحَّحه الألباني (سنن أبي داود) جزء (٩٧/٤) (٤٢٥٢) وصحيح الجامع (١٧٧٣).

لحوق جماعات كثيرة من المسلمين بالمشركين، وتمَّ ذلك عن طريق:

١ـ التشَبُّه بهم، فصاروا منهم وفي ركابهم.

٢ـ تفرُّقهم وتحزُّبهم فرقًا وشيعًا.

قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٣ـ اللجوء إليهم من باب شرك الدعاء.

٤ـ من باب الردَّة، والإعجاب بهم، وحبُّ الإقامة بينهم سعيًا وراء دنيا أو شهوة أو شهرة.

ويكمن خطر التشَبُّه في ذلك الجيل الخائن، المعجَبِ بالغرب في كل شيء، فيكون لهم بمثابة الجسر الذي يعبر عليه المستخرِب (أي المستعمِر) إلىٰ بلاد المسلمين، كما قال شيخ الإسلام مصطفىٰ صبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن قبله ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عندما تنبَّأ بسقوط الأندلس، بسبب زيارته لها، فوجد أجيالًا من المسلمين لم يستطع أن يُفرِّق بينهم وبين النصارىٰ بسبب تشبُّهِهم بهم، فتوقع سقوط الأندلس، وسقطت، وحدث فيها أفظع المجازر في التاريخ (محاكم التفتيش المعروفة).

❁ ❁ ❁

وقفة
قطار المعاصي

• روى أبو نعيم في كتابه «الحلية» عن حذيفةَ بنِ اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قيل له: « في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم» قال: «لا، ولكنهم كانوا إذا أُمِروا بشيء تركوه، وإذا نُهوا عن شيء ركِبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ».

قال ابن الجوزي في كتابه «ذمِّ الهوى»: « ومعلوم أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولِّد بعضُها بعضًا، حتى يعِزَّ على العبد مفارقُتها، والخروجُ منها.

فكلما فرط من العبد معصية، قالت أخرى إلى جانبها: (اعملني أيضًا)، فإذا عملها، قالت الثالثة كذلك، وهلُمَّ جرًّا حتى تصير المعاصي هيئات راسخة، وصفات لازمة، وملَكات ثابتة، بحيث لو عطَّل المسيء سيئاته لضاقت عليه نفسُه، وضاقت عليه الأرض بما رحُبَت، وأحسَّ من نفسه أنه كالحوت إذا فارق الماء، حتى يعاوِدَها فتسكن نفسه، وتقرَّ عينه. ولا يزال المسكين يألَف المعاصي حتى ينسلخ من قلبه استقباحُها، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، بل يُحبُّها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤزُّه إليها أزًّا، فيكونون أعوانًا عليه ».

۞۞۞

(١) «إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب»، ص (٨-٩)، صفي الرحمن المباركفوري.

السؤال التاسع عشر: إذن عَرِّفْ لنا الحِجاب والنقاب والتَّبرُّج والسُّفور، حتى نكون على بينة من أمرنا؟؟

الجواب: ورد في القرآن الكريم والسنة النبويَّة ولغة العرب ألفاظ: (الحِجاب، الخمار، الجلباب، النقاب، التَّبرُّج، كاسيات، عاريات، السُّفور).

وهذا القرآن عربيٌّ. قال تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨].

فتعالَوْا نتعرَّف علىٰ هذه المصطلحات في لغة العرب، ثم في الشرع الحكيم:

• **الحِجاب:** لغة: من حجب: بمعنىٰ منع وستر، قَالَ اللَّيْث: حَجَب: يَحجُب حَجْبًا. والحِجاب: اسْم مَا حجبت بِهِ بَين شَيْئَيْنِ. وسمِّي حجاب المرأة حجابًا لأنه يمنع المشاهدة، ويستر عورتها عن أعين الرجال من غير المحارم، وَكُلُّ شَيْء منع شَيْئا فقد حجَبَه، كَمَا تحجب الأمَّ الإخوةُ عَن فريضتها (من الثلث إلىٰ السدس)، وَجَمَاعَة الْحِجاب حُجُب، واحتجب فلَان إِذا اكْتَنَّ من وَرَاء الْحجاب [(١)].

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]، أي: مستورون فلا يرونه، وهذا في حقِّ المكذبين الكفَّار.

وقال سبحانه عن مريم الصِّدِّيقة: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم:١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص]، أي: احتجبت وتوارت بالجبل

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٩٧) – بتصرف –.

أو الأفق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ [الأعراف: ٤٦]، أي: سور.

وفي الشرع: هو حَجب المرأة المسلمة عن أنظار الرجال غير المحارم لها. والحِجاب هو أحد التدابير الوقائيَّة التي شُرِعت من أجل منع وقوع الفتنة بين الرجال والنساء.

والإسلام لم يبتدع الحِجاب، فقد ورد ذكره في التوارة والإنجيل، وكان معروفًا بين العَبرانيِّين من عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان معروفًا عند العرب في الجاهليَّة.

• **السُّفور:** من الكشف، وَسُمِّيَ السَّفَرُ سَفَرًا لأنه يُسْفِرُ عَنْ وُجُوهِ المُسَافِرِينَ وأَخلاقهم فَيَظْهَرُ مَا كَانَ خَافِيًا مِنْهَا ، وإذا ألقت المرأة نقابها قيل: « سفرت فهي سافر »(١). فالسُّفور في اللغة هو كشف الوجه.

• **النِّقاب:** هو القناع أو الغطاء الذي تضعه المرأة علىٰ وجهها بحيث تظهر عينها، وسمِّي النقاب نقابًا لوجود نقبين في مواجهة العينين لمعرفة الطريق(٢).

• **الخِمار:** هو ثوب ترتديه المرأة فوق ثيابها كُلِّها.

قال ابن حجر في تعريف الخِمار: وَمِنْهُ خِمَارُ الْمَرْأَةِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ وَجْهَهَا.

والحِجاب في الشرع يتوافق مع مراد الله تعالىٰ في المعنىٰ اللغوي لكلمة الحِجاب والخمار. وقد جاء الأمر الإلهي من الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) لسان العرب (٤/٣٦٩).
(٢) لسان العرب (١/٧٦٧ – ٧٦٨).

وانظر كيف جمعت الآية بين نساء النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبناته مع نساء المؤمنين؟، مع أن الله تعالىٰ قبل هذه الآية بخمس آيات قال في حق أزواج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]. فبالجمع بين الآيتين لا يمكن أن نفهم جواز كشف الوجه لأمَّهات المؤمنين بعد الأمر بالحِجاب، بل الجمع بين الآيتين يقتضي وجوب ستر الوجه لمن شملتهم الآية (الأزواج، والبنات، ونساء المؤمنين)، وهذا الحِجاب الساتر هو معنىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب:٥٣].

وفي هذه الآية دلالة لطيفة علىٰ أن المرأة المؤمنة بحجابها وجلبابها ترتقي وتعلو حتىٰ تكون في بوتقة أمَّهات المؤمنين وبنات النَّبيِّ الطاهرات رضي الله عنهن أجمعين.

• وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١].

وانظر وتأمَّل جملة ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، ولم يقل (**إلا ما أظهرن منها**).

والفرق بين الجملتين: **أن الأولى** تعني ما ظهر منها من غير إرادة منها، كظهور لون الثياب، أو ما ظهر بفعل الرياح، أو سقوطها، أو عند الضرورة الملحَّة.

أما الجملة الثانية فهي تعني ما أظهرن منها بإرادتهن ورغبتهن. ولو كانت الآية هكذا لجاز كشف الوجه والكفَّيْنِ، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يقل هذا، وسيأتي بيان ذلك مفصَّلًا.

• وعلَّة الأمر بالحِجاب ليست هي ستر العورة فقط، وإنما الغرض المطلوب منه هو وقاية الإنسان أسبابَ الإغراء والغِواية وتجنُّبُ وسائل التهييج والإثارة.

ولقد صرَّح القرآن بذلك في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

لذلك قد يكون الوجه والكفَّانِ للمرأة ليسا بعورة، لكن يجب سترهما أمام

الأجانب في عامة الأحوال تحصيلًا للغرض المطلوب، وهو وقاية الإنسان من أسباب الإغراء والغواية، ومعاونته على غضِّ البصر وحفظ الفرج.

يقول المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالى حينما نهى عن إبداء الزينة أسند الفعل إلى النساء، وجاء به متعدِّيًا إلى مفعوله الذي هو الزينة حيث قال: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾، ولكنه لما أورد الاستثناء غيَّر التعبير فجاء بالفعل اللازم بدل المتعدِّي، ولم يُسنِده إلى النساء، بل أسنده إلى الزينة نفسها حيث قال: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ ولم يقل: (**إلا ما أظهرن منها**)، وهذا يعني أن المرأة مأمورة بإخفاء الزينة كلِّها مطلقًا، وليس لها الخيار في إبداء شيء منها».

«نعم إنها إذا التزمت بالإخفاء وتقيَّدت به ثم ظهر من زينتها شيء من غير أن تقصِّر وتفرِّط في الإخفاء، ومن غير أن تقصد وتتعمَّد الإبداء فإنها لا تعاقَب على ذلك، ولا تؤاخَذ به عند الله تعالى لقوله: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ وهذا ما يُفهَم من سياق هذه الآية، وهو الذي يقتضيه الكلام»(١).

قال الثعالبي في تفسيره: «ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أَنَّ المرأة مأمورة بأَلَّا تُبدِيَ، وأَنْ تجتهدَ في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كُلِّ ما غلبها، فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بُدَّ منه أو إصلاح شأن، فما ظهر على هذا الوجه فهو المَعفُوُّ عنه»(٢).

---

(١) إبراز الحقِّ والصواب، للمباركفوري، ص (١٦).
(٢) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/١١٧).

▪ **والزينة نوعان:**

١- نوع يمكن سَترُه وإخفاؤه، فالمرأة مأمورة بإخفائه.

٢- نوع لا يمكن إخفاؤه، كالثياب الظاهرة، والمريضة عند الكشف عليها لغرض التداوي، والنظر للوجه والكفَّيْنِ للخطَّاب، ونحو ذلك.

• وقوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾ مضارع في معنى النهي، وهو بهذه الصيغة آكَد في التحريم، فالآية صريحة في أن إبداء الزينة حرام على المرأة، وأن الوجه والكفَّيْنِ داخلان فيه. وقد وهِم البعض، وأسند إلى ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ الوجه والكفَّانِ. وهذه نسبة خطأ؛ لأن ابن عباس وغيره من الصحابة فسَّروا إدناء الجلباب بتغطية الوجه، وأن الله تعالى أوجب ذلك لإقامة التميُّز بين الحُرَّة والأمَة [(١)].

وابن عباس وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يرون الفرق بين الحاجة وعدم الحاجة، وبين المحارم وغيرهم، وبين ما ظهر بقصد أو بغير قصد.

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾: « والزينة الظاهرة: الوجه، وكُحل العين، وخضاب الكفِّ، والخاتم، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها »[(٢)]. طبعًا من المحارم.

❁ ❁ ❁

---

(١) كان هذا في عهد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما زال إلى يوم الناس هذا أن الحِجاب دليل على أن المرأة المسلمة حرَّة قد تحررت من اتِّباع أهواء القوم الذين لا يعلمون، وأن المرأة التي تكشف وجهها وكفيها ما زالت أمَة تخضع لهواها وأهواء الناس، فكأنها أمَة مقيَّدة بتلك الأوهام والأهواء.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٨/٨٣- ٨٤).

وقفة
(دعائم الشريعة)

« اعتمدت الشريعة الإسلامية على ثلاث دعائم في وقاية الإنسان من التورُّط في فاحشة الزنا، مع إعطائه حرية كاملة لتلبية الدافع الجنسيِّ وتصريفه في موضعه المأمون النظيف بطريق الحلال الطيب، فالدِّين دين الفطرة ينسِّقها تنسيقًا جميلًا. وهذه الدعائم هي:

- تربية القلوب والضمائر (تقوى الله ﷻ ومراقبته).
- فرض الحدود والعقوبات (زاجرًا ورادعًا).
- تسهيل سبل الحلال مع سدِّ الطرق الموصلة إلى الحرام فأباح للرجال أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح لهم الطلاق، ويسَّر لهم الصداق والمهور، وأعطى المرأة حقَّ الخُلع لعذر شرعيٍّ، وأمر بغضِّ البصر، والاستئذان في البيوت، وعدم إبداء الزينة إلا للمحارم كل حسب درجته، وأمر بضرب الخُمُر على الجيوب، وإدناء الجلابيب، وبالحجاب، ونهى النساء عن الضرب بالأرجل ليُعلم ما يخفين من زينتهن، ونهاهن عن الخضوع في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، ونهاهن عن الرفول في الزينة، وعن الاستعطار عند الخروج، ونهى عن الخلوة بالأجنبية، وحرم الدخول على المغيبات، وشدَّد النكير على الاختلاط، وهكذا سدَّ كل ثُلْمَةٍ يمكن أن يدِبَّ منها هذا الداء العُضال إلى المجتمع الإسلامي، لإيجاد مجتمع نظيف، ووقاية من الارتكاس في حمئة الفاحشة »(١) .

---

(١) «إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب»، ص (٨ - ٩)، صفي الرحمن المباركفوري.

❁ ❁ ❁

السؤال العشرون:

كيف نرد على شبهة اختصاص آية الحِجاب بأمَّهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٣].

الجواب: نقول - وبالله التوفيق -:

١- إن من أصول الخطاب في نصوص الشريعة أن خطاب الواحد يعمُّ حكمُه جميعَ الأمَّة حتى يَرِدَ دليل على تخصيصه بالمخاطَب، وإلا فما فائدة ذكره هنا؟

٢- أن سياق الآية هو العموم. كقوله تعالى: ﴿**لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[الأحزاب:٥٣]، فهل معنى ذلك أنهم يدخلون بيوت غير النَّبيِّ من دون أن يُؤذَن لهم؟. فالنَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجاته هم القدوة، والآيات كما ذكرنا ليس فيها دليل على التخصيص.

٣- بيَّن الله تعالى حكمة الأمر بالحِجاب وعلَّته، فقال: ﴿**ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾، وهذه العلة عامَّة، وعموم علَّة الحِجاب وحِكْمته دليل على عموم حُكْمِ الحِجاب لجميع نساء المسلمين.

٤- دليل الأولويَّة: أي إن كنَّ أمَّهاتُ المؤمنين أطهرَ نساء الدنيا قلوبًا، وأعظمَهن قدرًا في قلوب المؤمنين، وكذلك قلوب أصحاب النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك أُمِرْنَ بالحِجاب طلبًا لأطهريَّة قلوب الطرفين، فغيرهنَّ من النساء أولى بذلك؟!

٥- أن آية إدناء الجلباب عامَّة كنساء النَّبيِّ وبناته، ونساء المؤمنين، وهي تتمَّة وتفسير لآية الحِجاب، التي وردت بعدها بخمس آيات كما ذكرنا من قبل، والقرآن يفسِّر ويؤكِّد بعضُه بعضًا.

٦ـ أن نساء المسلمين التزمن بالحِجاب بعد نزول هذه الآية في الحال كما التزمت به أمَّهات المؤمنين، واستمر ذلك عدَّة قرون (من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري) إلى أن ظهرت عادة الإفرنج في بلادنا من ادِّعائهم تحرير المرأة في أوائل هذه القرن، فهل المرأة في هذا الزمان تفهم نصوص الكتاب والسنة أفضل من الصحابة ونساء المؤمنين وأزواج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبناته طيلة هذه القرون المفضَّلة؟!

٧ـ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قَضَى فِي الْمَرْأَةِ إِذَا تَزَوَّجَهَا الرَّجُلُ أَنَّهُ إِذَا أُرْخِيَتِ السُّتُورُ فَقَدْ وَجَبَ الصَّدَاقُ»[(١)]، وهذه الرواية توضح أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يُكَنِّي عن الخلوة الصحيحة بالحِجاب وإرخاء الستور.

٨ـ أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ في البيوت، فماذا تفعل أمَّهات المؤمنين إذا خرجن من البيوت؟ فأنزل الله تعالى تلك الآية لكي يتمَّ أمر الحِجاب في حالتي الخروج والاستقرار في البيوت.

٩ـ إن الله تعالى قال: ﴿يُدْنِينَ﴾ وهذا هو الإرخاء، ولم يقل: (يتجلببن)، والإرخاء يكون من فوق. فالمعنى: يُرخِين شيئًا من فوق رؤوسهن على وجوههن.

١٠ـ أن ضمير النسوة في ﴿يُدْنِينَ﴾ يرجع إلى ثلاث طوائف (أزواج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبناته، ونساء المؤمنين)، وقد أجمعوا على أن سَتر الوجه والكفَّيْنِ كان واجبًا على أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا دلَّ هذا الفعل على وجوب ستر الوجه في حق طائفة من هذه الطوائف الثلاث التي يرجع إليهن ضمير الفاعل. فكيف لا يدل نفس الفعل على الوجوب نفسه في حقِّ طائفتين أخرَيَيْنِ ممن يرجع إليهنَّ الضمير نفسه من نفس ذلك الفعل؟

(١) موطأ الإمام مالك: ب: إرخاء الستور، رقم (١٢).

١١ـ أن الله أمر أمَّهات المؤمنين بالسِّتر الكامل في آية الحِجاب، ولم يستثن عضوًا من عضو، فلو كان المراد مجرَّد تغطية الرأس من غير أن يشمل الوجه والكفَّيْنِ لكان كلام الله تعالىٰ عبثًا في حقِّ أمَّهات المؤمنين، إذ من العجائب أن يؤمرن أولًا بالتستُّر الكامل بما في ذلك الوجه والكفَّانِ، ثم يؤمَرن بتغطية الرأس فقط، مع بقاء الآية الأولىٰ محكَمة غير منسوخة.

وتأمَّل: أي حاجة مسَّت إلىٰ الأمر بسَتر الرأس بعد الأمر بسَتر جميع الأعضاء؟!

١٢ـ والرُّواة متَّفقون علىٰ أن من أهداف الحِجاب تمييز الحرَّة من الأمَة. وقد دلَّت أشعار الجاهليَّة علىٰ أن الحرائر والشريفات كن يسترن وجوههنَّ (١).

قال سبرةُ بنُ عمرو الفقعي يُعيِّر أعداءَه(٢):

ونسوتُكم في الرَّوعِ بادٍ وجوهُها * يُخَلْنَ إماءً والإماءُ حرائرُ**

والله تعالىٰ أمر المؤمنات بالتزام الزيِّ الذي كان قد تقرَّر عندهم أنه زيُّ الحرَّة وليس زيَّ الأمَة.

١٣ـ روىٰ ابنُ سعدٍ بسندِه عَنِ ابْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَتَعَرَّضُ لِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْذِيهِنَّ. فَإِذَا قِيلَ لَهُ قَالَ: كُنْتُ أَحْسَبُهَا أَمَةً. فَأَمَرَهُنَّ اللهُ أَنْ يُخَالِفْنَ زِيَّ الإِمَاءِ وَيُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ. تُخَمِّرُ وَجْهَهَا إِلا إِحْدَىٰ عَيْنَيْهَا. يَقُولُ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ﴾ يَقُولُ: ذَلِكَ أَحْرَىٰ أَنْ يُعرَفن»(٣).

١٤ـ أن الأمر بإدناء الجلباب لدرء مَفسدة من المفاسد، وهي تعرُّض المرأة التي

---

(١) راجع كتاب حجاب المرأة في العصر الجاهلي د. زينب بيره جكلي، طبعة مكتبة البلد الأمين.
(٢) من شعراء الجاهليَّة «ديوان الحِجاب».
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد(٨/ ١٤١).

تكشف وجهها للغَمز واللَّمْز من المنافقين (في كل عصر ومصر)، لأن المرأة إذاخرجت سافرة فلا تسلم من نظر الفسَّاق والمنافقين إليها وتعرُّضِهم لها، كما أن النظر بريد للزنا، وما الهَرَجُ والمَرَجُ من خطف النساء، والتحرُّش بهنَّ، وهتك أعراضن كرهًا، وهو ما نراه ونسمعه صباح مساء، وليل نهار، فضلًا عما يقع من خيانات زوجيَّة، وتراضي الطرفين في فعل الفواحش والخبائث، لا شكَّ أن مصدره هو السُّفور والتحرُّر في اختلاط الرجال والنساء.

ولقد اقتضت حكمة الله تعالىٰ سدَّ باب المفسدة الصغيرة لسدِّ أبواب مفاسد أخرىٰ عظيمة هي أكبر من أختها، فأمر بستر الرأس والوجه حتىٰ ينقطع السبيل تمامًا، وصدق الله إذ يقول: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

١٥ـ لا شكَّ أن عمل أمَّهات المؤمنين، وأعمال نساء المسلمين ترشدنا إلىٰ ما هوالصحيح في معنىٰ إدناء الجِلباب، وهذا العمل أقرَّه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وقد دلَّت الروايات علىٰ أعمالهنَّ تفصيلًا لا يحوم حوله شكٌّ ولا ريب بأنهنَّ كُنَّ يستُرن الوجوه؛ إيمانًا بكتاب الله وتصديقًا بتنزيله. (وستأتي هذه الروايات).

١٦ـ أن مَن تصدَّىٰ من الصحابة والتابعين وعلماء التفسير لبيان معنىٰ (إدناء الجلباب) فسَّره بستر الوجوه، إلا ما ورد من بعض الأقوال الشاذَّة.

• قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: « أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ وَيُبْدِينَ عَيْنًا وَاحِدَةً »[1].

---

(١) التفسير الكبير: للرازي (٦/٧٩٩) وابن جرير (٢٢/٤٩)، وروح المعاني (٢٣/٨٣)، والبحر المحيط (٧/٢٥٠).

• وَقَالَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ سَأَلْتُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ «وهو من كبار التابعين» عَنْ قول الله ﷻ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ فَغَطَّىٰ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ وَأَبْرَزَ عَيْنَهُ الْيُسْرَىٰ(١).

ولقد فسَّر الآية حسب ما كان سائدًا في المجتمع المدني الذي كان يمثِّله أَجِلَّة الصحابة وأكابر هذه الأمَّة الذين عليهم مدار هذا الدِّين.

• قال محمد بن كعب القرظي - وهو من كبار التابعين وفقهاء المدينة -: «تُخَمِّرُ وَجْهَهَا إِلا إِحْدَىٰ عَيْنَيْهَا»(٢). وهكذا قال قتادة بن دعامة السَّدوسي، والسُّدِّي، والكسائي، وابن جرير، وأبو بكر الرازي (المعروف بالجَصَّاص)، وأبو الحسن الواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والدميري، والنسفي، وابن تيميَّة، والنيسابوري، والخازن، وأبو حيان الأندلسي، والمهاتمي، وجلال الدِّين السيوطي، وجلال الدِّين المحلي، والثعالبي أبو عبد الرحمن، وأبو السعود، وصاحب جامع البيان، والشوكاني، والقاسمي محمد جمال الدِّين، ومحمد أمين الشنقيطي(٣).

هذه هي أقوال أعلام هذه الأمَّة من لدن أفضل القرون إلى القرن الذي نعيش

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٢/٤٩).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) راجع: تفسير روح البيان (٣/١٥٧)، والكشاف للزمخشري (٣/٢٧٤)، وتفسير ابن جرير (٢٢/٤٩)، وفتح البيان (٧/٣١٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٣٧٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/٣٠٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٢٧٤)، وزاد الميسر في علم التفسير (٥/٣٥٦)، والتفسير الكبير للرازي (٦/٧٩٩)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٤٣)، وتفسير البيضاوي (٢/٢٨٠)، وتفسير سورة النور لابن تيمية، ص (١٩)، ودقائق التفسير (٤/٤٢٩)، وتفسير الخازن على هامش تفسير ابن جرير (٥/٢٢٧)، والبحر المحيط (٧/٢٥٠)، وتفسير الجلالين، ص (٣٥٥)، وتفسير الثعالبي (٣/٢٣٧)، وجامع البيان، ص (٣٦٦)، وعون المعبود (٤/١٠٦)، ومحاسن التأويل (١٣/٩٤٠٨)، وأضواء البيان (٦/١٩٢)، وتفسير ابن كثير (٥/٥١٦)، وتفسير روح المعاني للألوسي (٢٢/٨٣).

فيه، يُعرَف منها تفسير إدناء الجِلباب بتغطية الوجه، ومن يدَّعي حمل أقوالهم على خلاف ذلك فليأت على ذلك بدليل صحيح مقنِع.

(وسيأتي بيان أقوالهم بشيء من التفصيل في الإجابة على سؤال الأدلة).

١٧ـ أقوال العلماء في تحديد عورة المرأة، وأنها لا تشمل الوجه والكفَّيْنِ لا يستلزم عدم وجوب سترهما، لأن مدار الحِجاب ليس هو العورة، بل إنما أمر بالحِجاب لأنه أزكى وأطهر لقلوب المؤمنين والمؤمنات.

١٨ـ أولى ما يفُسَّر به القرآن هو القرآن، ثم السنَّة الصحيحة، ثم أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وآية إدناء الحِجاب يفسِّرها قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، وهذه يفسِّرها ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١]، تفسيرها بقوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾.

١٩ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا »(١).

قال الحافظ ابن حجر: قوله:« فاختمرن بها » أي: غطَّيْنَ وجوهَهنَّ (٢).

وقال العَيْني: «أي: غطَّيْنَ وجوهَهنَّ بالمُروطِ الَّتِي شقَّقْنَها»(٣).

وقد روى ابن أبي حاتم هذا الحديث مفصَّلًا من طريق صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، قَالَتْ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَذَكَرَتْ نِسَاءَ قُرَيْشٍ وَفَضْلَهُنَّ، فَقَالَتْ

---

(١) ذكره البخاري معلقًا (٤٧٥٨) عند ترجمة ب: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، ك: التفسير.

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٩٠).

(٣) عمدة القاري (١٥/ ٣٤٨).

عَائِشَةُ: «إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلًا، وَإِنِّي وَاللهَّ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصْدِيقًا بِكِتَابِ الله، وَلا إِيمَانًا بِالتَّنْزِيلِ لَقَدْ أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ انْقَلَبَ رِجالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أُنْزِلَ إليهِنَّ فيها، ويَتْلُو الرَّجُلُ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ، مَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إلا قَامَتْ إِلَىٰ مِرْطِهَا الْمُرَحَّلِ فَاعْتَجَرَتْ بِهِ تَصْدِيقًا وَإِيمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابِهِ، فَأَصْبَحْنَ يُصَلِّينَ وَرَاءَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ مُعْتَجِراتٍ كأَنَّ علَىٰ رُؤسِهِنَّ الغِرْبانُ»(١).

والاعتجارُ (مُعْتَجِراتٍ): معناها تغطية الوجه وستره، كما جاء في قصة قدوم جعفر الضَّمْري وعبيد الله بن عدي إلىٰ وحشي بالبصرة لسؤاله عن مقتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قال جعفر في هيئة عبيد الله حينما دخل علىٰ وحشي قال:« وعبيد الله مُعْتَجِرٌ بعمامته ما يرىٰ وحشي إلا عينيه ورجليه » إلىٰ قوله: « وكشف عبيد الله وجهه..»(٢).

وهذا يفيد معنىٰ الاعتجار: وهو سَتر الوجه بحيث لا يُرَىٰ منه إلا العَينان.

• **وفي حديث الإفك:** قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الحِجابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ »(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ من سورة النور، ح (١٤٤٠٦)، (٢٥٧٥/٨).

(٢) أخرجه البخاري ك: المغازي، ب: مقتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح (٤٠٧٢).

(٣) أخرجه البخاري ك: المغازي، ب: حديث الإفك، ح (٤١٤١)، ومسلم ك: التوبة، ب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح (٢٧٧٠).

وفي صفة حجِّ المرأة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ»(١).

• كل هذه الأحاديث صريحة في شمول الحِجاب للوجوه، وتفيد أن تغطية الوجوه كان هو المقصود بأمر الحِجاب، وحكم هذا الحديث عام لجميع نساء المؤمنين، لأن المراد بضمائر جمع المتكلم ليس أمَّهات المؤمنين فحسب؛ بل عموم المسلمات، والدليل على ذلك أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي التي روت هذا الحديث.

• وفي الموطَّأ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنَّا «نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»(٢)، وهذا يفيد أن تغطية الوجوه في الإحرام كانت عامَّة في النساء.

• قال ابن المنذِر: «أجمعوا على أن المرأة تلبس المَخيط والخِفاف، وأن تغطي رأسها، وتُسدِل الثوب على وجهِها تستر به عن نظر الرجال»(٣).

٢٠ـ وحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: **{ لاَ تَتَنَقَّبِ الْمُحْرِمَةُ، وَلاَ تَلْبَسِ الْقُفَّازَيْنِ }**(٤).

وهذا الحديث أحسن دليل على ما وقع من التغيُّر والتطوُّر في ألبِسَة النساء بعد نزول آية الحِجاب، والأمر بإدناء الجِلباب، وأن النقاب صار ديدن النساء لم يَكُنَّ يخرجنَ إلا به.

---

(١) أخرجه أبو داود ك: المناسك، ب: المحرمة تغطي وجهها، موقوفًا عليها، رقم (١٨٨٣).
(٢) أخرجه مالك ك: الحج، ب: تخمير المحرم وجهه، ح (١٦).
(٣) عون المعبود (٢/١٠٢-١٠٥)، ونيل الأوطار (٥/٧١).
(٤) أخرجه البخاري ك: جزاء الصيد، ب: ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة، ح (١٨٣٨).

وليس معنى النهي عن الانتقاب للمحرمة أنها لا تستر وجهها، إنما المراد أنها لا تتخذ النقاب لباسًا مستقِلًّا، وإنما تستر وجهَها بجزء من لباسها.

٢١ـ جواز نظر الخاطب إلى المرأة، فيرى وجهَها وما يدعوه لنكاحها، لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا جُنَاحَ عَلَى أَحَدِكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْطِبَ الْمَرْأَةَ أَنْ يَغْتَرَّهَا، فَيَنْظُرَ إِلَيْهَا، فَإِنْ رَضِيَ نَكَحَ، وَإِنْ سَخِطَ تَرَكَ** }(١).

ومعنى (**يَغْتَرَّهَا**): يستفيد من غِرَّتِها أي غفلتها بأن يراها من حيث لا تشعر.

وهذا يفيد أن النظر إلى المرأة لم يكن يمكن وهي منتبهة بوجود الرجل، وأن النظر إليها مع غِرَّتها لا يجوز إلا إذا كان لمثل هذه الأغراض المشروعة.

ويفيد أيضًا أن النظر إلى النساء لم يكن سهلًا في هذا الزمان، ولو كانت النساء يخرجْنَ سافرات الوجوه لم يكن لاشتراط الاستطاعة والقدرة معنى.

وما فعله جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في رواية الحاكم من الاختباء تحت أصول النخل حتى يرى المرأة التي يُريد نكاحها دليل على أن النساء لم يكنَّ يتركْنَ الحِجاب إلا إذا علمن أنهنَّ في مأمن من نظر الرجال (٢).

• عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ لَهُ امْرَأَةً أَخْطِبُهَا، فَقَالَ: { **اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا** } قَالَ: فَأَتَيْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَطَبْتُهَا إِلَى أَبَوَيْهَا، وَأَخْبَرْتُهُمَا بِقَوْلِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَأَنَّهُمَا كَرِهَا ذَلِكَ، قَالَ: فَسَمِعَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ وَهِيَ فِي خِدْرِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ عبد الرازق في مصنفه ك: النكاح، ب: إبراز الجواري والنظر عند النكاح، ح (١٠٣٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم ك: النكاح، ح (٢٧٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم وإنما أخرج مسلم في هذا الباب حديث يزيد بن كيسان، عن أبي حازم مختصرًا.

رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ، فَانْظُرْ، وَإِلَّا فَإِنِّي أَنْشُدُكَ، كَأَنَّهَا عَظَّمَتْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا: فَتَزَوَّجْتُهَا، فَذَكَرَ مِنْ مُوَافَقَتِهَا »(١).

وهذا الحديث يدل على أن النساء كنَّ قائمات بالتسترُّ بحيث لم يكن الرجل يقدر أن يَراهنَّ إلا بالحِيَلِ، أو إلا إذا سمحْنَ له بالرؤية.

٢٢ـ قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ**﴾ [النور: ٣١]، قال: « كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ يَعْنِي عَلَىٰ مَا كان يتعاطاه نِسَاءُ الْعَرَبِ مِنَ الْمِقْنَعَةِ الَّتِي تُجَلِّلُ ثِيَابَهَا وَمَا يَبْدُو مِنْ أَسَافِلِ الثِّيَابِ. فَلَا حَرَجَ عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه» (٢).

وفي هذا القول دلالة على أن ستر جميع الجسد كان ديدن نساء الصحابة والتابعين، ونساء المسلمين.

٢٣ـ حكى الشوكاني عن ابن رسلان « اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه، لا سيما عند كثرة الفسَّاق »(٣).

- فهل بعد هذه الأدلة يشكُّ شاكٌّ في وجوب ستر الوجه ومنع إبدائه، ومن يكون ذا بعد الله ورسوله والصحابة والمؤمنين حتى يُعتمَد عليه؟

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد (١٨١٣٧) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وصحَّحه الألباني في سنن أبي داود (٢٣٦/٤)، رقم (٤٧٤٤)، وسنن ابن ماجه (٥٩٩/١) رقم (١٨٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨٨/٥).

(٣) نيل الأوطار (٢٤٥/٦).

وقفة
صرخة نذير

«لَقَدْ كُنَّا وَكَانَتِ اَلْعِفَّة فِي سِقَاء مِنَ اَلْحِجَاب موكوء فَما زِلْتُمْ بِهِ تَثْقُبُونَ فِي جَوَانِبه كُلّ يَوْم ثَقْبًا وَالْعِفَّة تَسَلَّل مِنْهُ قَطْرَة قَطْرَة .. ثُمَّ لَمْ يَكْفِكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى جِئْتُمْ اَلْيَوْم تُرِيدُونَ أَنْ تَحِلُّوا وكاءه حَتَّى لَا تَبْقَى فِيهِ قَطْرَة وَاحِدَة.

عَاشَتْ اَلْمَرْأَة اَلْمِصْرِيَّة حِقْبَة مِنْ دَهْرهَا هَادِئَة مُطْمَئِنَة فِي بَيْتهَا رَاضِيَة عَنْ نَفْسهَا وَعَنْ عِيشَتهَا، تَرَى اَلسَّعَادَة كُلّ اَلسَّعَادَة فِي وَاجِب تُؤَدِّيه لِنَفْسِهَا، أَوْ وَقْفَة تُقَفِّهَا بَيْن يَدَيْ رَبّهَا، أَوْ عطفة تَعْطِفُهَا عَلَى وَلَدهَا، أَوْ جَلْسَة تَجْلِسهَا إِلَى جَارَتهَا تَبُثّهَا ذَات نَفْسهَا وتستبثها سَرِيرَة قَلْبهَا، وَتَرَى اَلشَّرَف كُلّ اَلشَّرَف فِي خُضُوعهَا لِأَبِيهَا وائتمارها بِأَمْر زَوْجهَا وَنُزُولهَا عِنْد رِضَاهُمَا.

وَكَانَتْ تَفْهَم مَعْنَى اَلْحُبّ وَتَجْهَل مَعْنَى اَلْغَرَام فَتُحِبّ زَوْجهَا لِأَنَّهُ زَوْجهَا، كَمَا تُحِبّ وَلَدهَا لِأَنَّهُ وَلَدهَا، فَإِنْ رَأَى غَيْرُهَا مِنَ اَلنِّسَاء أَنَّ اَلْحُبّ أَسَاس اَلزَّوَاج رَأَتْ هِيَ أَنَّ اَلزَّوَاج أَسَاس اَلْحُبّ. فَقُلْتُمْ لَهَا إِنَّ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ يَسْتَبِدُّونَ بِأَمْرِك مَنْ أَهْلك لَيْسُوا بِأَوْفَر مِنْك عَقْلًا وَلَا أَفْضَل رَأْيًا وَلَا أَقْدَر عَلَى اَلنَّظَر لَك مِنْ نَظَرك لِنَفْسِك، فَلَا حَقّ لَهُمْ فِي هَذَا اَلسُّلْطَان اَلَّذِي يَزْعُمُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَيْك بِالْإِغْوَاءِ، فعصَتْ أَبَاهَا وَتَمَرَّدَتْ عَلَى زَوْجهَا، وَأَصْبَحَ اَلْبَيْت اَلَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ عُرُسًا مِنَ اَلْأَعْرَاس اَلضَّاحِكَة مَنَاحَةً قَائِمَةً، لَا تَهْدَأ نَارهَا، وَلَا يَخْبُو أُوَارِهَا.

وَقُلْتُمْ لَهَا لَا بُدّ لَك أَنْ تَخْتَارِي زَوْجك بِنَفْسِك حَتَّى لَا يَخْدَعك أَهْلك عَنْ

سَعَادَة مُسْتَقْبلك فَاخْتَارَتْ لِنَفْسِهَا أَسْوأ مِمَّا اِخْتَارَ لَهَا أَهْلهَا فَلَمْ يَزِدْ عُمْر سَعَادَتهَا عَلَىٰ يَوْم وَلَيْلَة ثُمَّ اَلشَّقَاء اَلطَّوِيل بَعْد ذَلِكَ اَلْعَذَاب اَلْأَلِيم.

• وَقُلْتُمْ لَهَا إِنَّ اَلْحُبَّ أَسَاس اَلزَّوَاج فَمَا زَالَتْ تَقْلِب عَيْنَهَا فِي وُجُوه اَلرِّجَال مُصَعِّدَة مُصَوِّبَة حَتَّىٰ شَغَلَهَا اَلْحُبَّ عَنْ اَلزَّوَاج فَغَنِيَتْ بِهِ عَنْهُ.

وَقُلْتُمْ لَهَا إِنَّ سَعَادَة اَلْمَرْأَة فِي حَيَاتهَا أَنْ يَكُون زَوْجهَا عَشِيقهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْرِف إِلَّا أَنَّ اَلزَّوج غَيْر اَلْعَشِيق؛ فَأَصْبَحَتْ تَطْلُب فِي كُلّ يَوْم زَوْجًا جَدِيدًا يُحْيِي مِنْ لَوْعَة اَلْحُبّ مَا أَمَاتَ اَلزَّوْج اَلْقَدِيم، فَلَا قَدِيمًا اِسْتَبْقَتْ وَلَا جَدِيدًا أَفَادَتْ.

وَقُلْتُمْ لَهَا لَا بُدَّ أَنْ تَتَعَلَّمِي لِتُحْسِنِي تَرْبِيَة وَلَدك وَالْقِيَام عَلَىٰ شُؤُون بَيْتك فَتَعَلَّمَتْ كُلّ شَيْء إِلَّا تَرْبِيَة وَلَدهَا وَالْقِيَام عَلَىٰ شُؤُون بَيْتهَا....

إِنَّا نَضْرَع إِلَيْكُمْ بِاسْم ... اَلْحُرْمَةِ اَلدِّينِيَّة أَنْ تَتْرُكُوا تِلْكَ اَلْبَقِيَّة اَلْبَاقِيَة مِنْ نِسَاء اَلْأُمَّة مُطْمَئِنَات فِي بُيُوتهنَّ وَلَا تزعجوهن بِأَحْلَامِكُمْ وَآمَالكُمْ كَمَا أَزْعَجْتُمْ مَنْ قَبْلَهُنَّ. فَكُلّ جُرْح مِنْ جُرُوح اَلْأُمَّة لَهُ دَوَاء إِلَّا جُرْح اَلشَّرَف فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا فَانْتَظِرُوا بِأَنْفُسِكُمْ قَلِيلًا رَيْثَمَا تَنْتَزِع اَلْأَيَّام مِنْ صُدُوركُمْ هَذِهِ اَلْغَيْرَة اَلَّتِي وَرِثْتُمُوهَا عَنْ آبَائِكُمْ وَأَجْدَادكُمْ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعِيشُوا فِي حَيَاتكُمْ اَلْجَدِيدَة سُعَدَاء آمِنِينَ » « يسخر منه ».

من كتاب « العبرات » للمنفلوطي.



السؤال الحادي والعشرون: كيف نرد على شبهة:
أن الحِجاب يُعرقل تقدم المرأة المسلمة ويحدث لها المشاكل؟!

الجواب: نقول - وبالله التوفيق -:

الذي يظنُّ هذا الظنَّ الفاسد السَّخيف هو أغبى الأغبياء، فلو كان الأمر كما زعموا لكان عهد الجاهليَّة أرقَى من عهد النبوة والإسلام، إذ كنَّ نساء الجاهليَّة سافرات، ونساء الإسلام محتجبات، مع أن الأمر بالعكس، والبون بين العَهدين شاسع: انحطاط الجاهليَّة وازدهار الإسلام مع اتِّصال زمانهما.

وما زال أهل الإسلام بخير يرتقون ويتقدَّمون ويسودون ويزدهرون ما داموا ملتزمين بأوامره ونواهيه، بما فيه الالتزام بالحِجاب، حتى نسُوا حظًّا مما ذُكِّروا به فأُصيبوا بما أُصيبوا.

• وطيلة ثلاثة عشر قرنًا من زمن النبوة حتى القرن الثالث عشر، ونساء المسلمين يرتدين الحِجاب والخِمار يُغطِّين وجوههن، حتى العامِّيات منهن يرتدين البرقع أو البيشة، وقد عاصرنا أمهاتِنا، وأمَّهاتِ جيرانِنا يفعلن ذلك عبادة أو عادة، حتى ظهر قاسم أمين وصفيَّة زغلول وغيرهما (كما ذكرنا في صدر هذه الرسالة)؛ مما أدى بهنَّ إلى رفض الحِجاب.

والسؤال: هل هؤلاء الذين دَعوا إلى السُّفور والتحرُّر من الحِجاب وقيود الدِّين أعلم من الله ورسوله وأصحابه في القرن الأول، والتابعين في القرن الثاني، وعصر الفقهاء والأئمة في القرن الثالث وطيلة هذا الزمان؟

إن أهل أوروبا أنفسهم – والذين بهرهم شعاعها وحضارتها في هذا الزمان، إذ

لم يَزَل سكان هذه القارة يتخبَّطون في دياجير الظلام يعيشون عيشة الوحوش قرونًا طويلة - لم ينفعهم سفور نسائهم وتبرُّج أمهاتهم وبناتهم حتى استقوا الحكمة من ينابيع حكمة المسلمين، فاستنار لهم الطريق، وواصلوا المسير حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وانظر إلى بلاد الهند، وعموم دول أفريقيا، فإن كان الحِجاب هو الذي يمنع الرقيَّ والتقدَّم فلماذا لم يتقدَّم هؤلاء، ولم ينفعهم سفور نسائهم وتحرُّر أزواجهم؟!

ولم يَجْنِ أي شعب من شعوب العالم، ولم يستفد من سفور نسائه إلا الدعارة والمجون، والأطفال غير الشرعيين.

فالذين يَعُدُّون الحِجاب من أسباب التأخُّر والتخلُّف إما مخدوعون أو مخادعون، أو مصابون في عقولهم، لا يعرفون سنة الله في خلقه وكونه، ولا يستطيعون الاعتبار بما بين أيديهم وما خلفهم.

• والحقُّ الذي لا يشكُّ فيه عاقل هو: أن تأخُّر النساء وتقدُّمَهنَّ منوطان بصلاح الحكم وفساده وبتأخُّر البيئة في المجتمع وتقدُّمها، وقد جمع النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين الصنفين في قوله: { **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** }[(١)].

فليس سبب تأخُّر المسلمين في هذا الزمان هو الحِجاب.

---

(١) سبق تخريجه.

يقول صفي الرحمن المباركفوري: « إن أسباب تأخُّر المسلمين وتخلُّفهم في هذا الزمان إنما في جذور مجتمعهم الذي لا يزال منحازًا عن المَحَجَّة البيضاء منذ قرون، تزعزعه عواصف هوجاء من الداخل والخارج »(١).

وقال أيضًا: « إننا ما نزال نرىٰ ونسمع عن قيام النساء المتحجِّبات بأعمال كبيرة لم يستطع كثير من الرجال أن يأتوا بمثلها، وكفىٰ ذلك مثلًا بما قامت به ملكة بوفال الشاه جهان بيكم، فقد أتت في خدمة الإسلام بما لم يستطعه الرجال في ذلك الزمان، وها نحن في الهند نرىٰ النساء المتحجِّبات صباحَ مساءَ، وليلَ نهارَ يعبُرْنَ الشوارع التىٰ تمرُّ بها الشاحنات والسيارات الكبيرة والصغيرة والدراجات الأوتوماتيكيَّة والعاديَّة وغيرها باستمرار وتواصل وازدحام، يعبُرْن مثل هذه الشوارع من غير أن يقودهنَّ أحد، وقد قضيت أربعة عشر عامًا في مدينة بنارس ـ وهي إحدىٰ المدن الكبيرة في الهند سكانها حوالي مليون نسمة، سمعت فيها عن عدَّة مصادمات السيارات والدراجات مع الرجال، حتىٰ إن بعضًا منها أفضىٰ إلىٰ الموت، ولكني لم أسمع بأي اصطدام وقع مع امرأة محتجِّبة مع كثرة من تعبُر من النساء المحتجِّبات نفس تلك الشوارع، ولقد أثبتت نساء أفغانستان المحتجِّبات المكرَّمات جدارتهن وكفاءتهن في مجال الغزو والقتال أكثر من النساء السَّافرات، وذلك أمام أعتىٰ قوة وجدت في هذا الزمان، فحدِّث عن بسالة هؤلاء النساء وجراءتهنَّ وجلادتهنَّ ولا حرج.

فالشجاعة والجبن، والقوة والضعف، والجلادة والخور، والعلم والجهل

(١) إبراز الحقُّ والصواب في مسألة السُّفور والحِجاب، ص (٨٤ – ٨٦).

ليست منوطة بالحِجاب والسُّفور، بل منبعها الفطرة والجبِلَّة والإرادة التي تكمن في الصدور »(١).

فالسخرية والازدراء بالحِجاب علَّة مصطنَعة دأب المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في كل زمان ومكان على الإتيان بها.

قال تعالىٰ في آية الحِجاب في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[الأحزاب].

وانظر ماذا قال الله تعالىٰ بعدها: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١﴾[الأحزاب].

فبيَّن الله تعالىٰ ثلاثة أصناف من الناس هم: المنافقون شرار الخلق وأشدُّهم عذابًا يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾[النساء]، والذين في قلوبهم مرض من الكفار وضعاف النفوس، والمرجفون المروِّجون للفتنة والإشاعات، المتردِّدون بين الحقِّ والباطل، فهل تحب يا من تسخر من الحِجاب وتشجِّع علىٰ التَّبرُّج والسُّفور أن تكون من هؤلاء؟!

والأصناف الثلاثة عليهم لعنة الله وغضبه وعليهم ينزل سخطه وعقابه.

❁❁❁

(١) إبراز الحقِّ والصواب في مسألة السُّفور والحِجاب، ص (٨٤ – ٨٧).

وقفة
(المغرور المخدوع)

« ليست المسألة منحصرة في السفور، ولا هي مجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها، متصل بعضها ببعض، لا بد من أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها .

فإذا كنت ممن يرى حرية المرأة مطلقًا، فعليك أن تقبَّلها بحذافيرها.

أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت، وتحادث من أرادت، وتضاحك من أرادت، وتغامز من أرادت، ثم إذا صبا قلبها إلى رجل ذهبت وساكنته، وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته، أقمنا القيامة، ودعونا بالمسدس، وقلنا يا للحمية، يا للألفة، يا للغيرة على العرض! فهذا لا يكون ! وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون. وكانت النتيجة سلكنا مسلك الأوروبيين حذو القُذَّة بالَّقِذة » والقذة: ريش السهم. **«شكيب أرسلان مجلة المنار»**

« إن كشف الفتاة عن وجهها اليوم سيؤدي غدًا إلى كشف رأسها أو صدرها أو ساقها أو فخذها، ولا يجادل في هذا إلا مغرور مخدوع، أو مضلِّل مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية التي جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتًا ومجتمعًا ودولة ... وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغي الضرب عليها، وإن اللسان الذي يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب ينبغي أن يقطع ».

«أبو بكر جابر الجزائري في كتابه إلى الفتاة المسلمة والمسؤولية عنها» »

السؤال الثاني والعشرون: هل الفتنة في الحِجاب أم السُّفور؟

الجواب: نقول - وبالله التوفيق -

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ** }(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [الأنفال:٢٨]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** }(٢).

وإذا أردت أن تعرف حجم المصائب والفتن وراء سُفور النِّساء وتبرُّجهن فاقرأ عن إحصائيَّات الجرائم في أمريكا وغيرها.

كم حالةَ اعتداء بالضرب على الأزواج؟ وكم حالةَ اغتصاب كرهًا وخطف للنساء كل ثانية تقع، ثم حدِّث عن وطء المحارم من الأمَّهات والبنات – ولا حرج – عند هؤلاء، وأن المرأة هناك تسير وتتجوَّل وهي غير آمنة إلا في الأماكن التي بها أجهزة مراقبة من قبل الجهات الأمنيَّة.

إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تُهَيَّج فيه الشهوات في كل لحظة، لأن عمليَّات الاستثارة المستمرَّة تنتهي إلى سُعار شهوانيٍّ لا يَنطفئ ولا يَرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرِّجة والأجسام شِبه العارية... كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيِّج ذلك السُّعار الحيواني المجنون والمكبوت، وإلا أن يفلت

---

(١) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: الأكفاء في المال، ح (٥٠٩٦)، ومسلم ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء.. وبيان الفتنة بالنساء، ح (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء.. وبيان الفتنة بالنساء، ح (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زمام الأعصاب والإرادة، ناهيك عن الأمراض العصبيَّة والعُقَد النفسيَّة الناشئة من الكبح بعد الإثارة، وهي تشبه عمليَّة تعذيب.

في وقت تغالَىٰ الناس في المهور، وارتفعت تكاليف الزواج الحلال، وسارت سبل الحرام ميسَّرة، وسبل الحلال معقَّدة، وهذه هي انتكاسة الفطرة والدِّين، ومخالفة لسنة سيد المرسلين في تيسير المهور والنكاح، كما كان في عهود الأخيار السابقين.

• لقد شاع وأشاع المغرضون والمنافقون والذين في قلوبهم مرض بين المسلمين في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع علىٰ مواضع الفتنة المخبوءة... شاع أن كل هذا تنفيس وترويح، وخروج من الكبت الجنسي، وإطلاق للرغبات الجنسيَّة، ووقاية من العقد النفسيَّة، وتخفيف من حدَّة الضغط النفسي...إلخ.

شاع هذا علىٰ أثر انتشار بعض النظريات الماديَّة القائمة علىٰ تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرِّقه عن الحيوان (وخاصة نظريَّة فرويد الشيوعيَّة)، مع أنها لم تكن سوىٰ فروض نفسيَّة، وأدَّىٰ ذلك في البلاد التي لا يوجد فيها أي قيد علىٰ الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله إلىٰ سُعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ، وإلىٰ أمراض نفسيَّة وعُقَد، وكان مفهومًا أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، كانت بكثرة ووفرة ومعها الشذوذ بكل أنواعه وأشكاله في تلك المجتمعات التي تحرَّرت من القيود، صداقات بين الجنسين يباح معها كل شيء، أجسام عارية في الطريق، حوادث ومشاكل، لقطاء أكثر من الأبناء الشرعيِّين و..... كل ذلك يؤيد كذب هذه النظريات التي كذَّبها الواقع المشهود، والتي لم يُرَ مثلها في بلاد المسلمين طيلة قرون طويلة، ولم تظهر فيهم إلا لما بدأ تقليدهم الأعمىٰ لهؤلاء.

• إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل في التكوين الحيوي، ميل دائم يسكن

فترة ثم يعود، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، وتدفع به إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة، فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة، وكان هذا بمثابة عمليَّة تعذيب مستمرة، والنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والنبرة التي هي خضوع بالقول تثير، ولقد قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾** ﴾ [الأحزاب].

والطرق المأمونة والآمنة تتمثَّل في:

١- تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدود الطبيعة، مع النصح والتذكير بشعيرة الصيام، فإنه وجاء (وقاية) من الشهوات والوقوع في المحرمات.

٢- اتِّباع قوله تعالى: ﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ** ﴾ [هود:٧٨].

أي اتِّباع طريق الطُّهر والعفاف لا طرق الخنا والخيانة، وألاعيب الشيطان.

٣- تيسير الزواج وتبسيط إجراءاته، تلبية للفطرة الربانيَّة، والشريعة الإسلاميَّة، فلا يُعقَل أن يكون في بلاد الكفر الزواج ميسَّرًا والزنا كذلك، وفي بلاد المسلمين تجد التشديد في المهور والإجراءات.

٤- إلغاء الاختلاط في المدارس والجامعات والذي جرَّ علينا ويلات ومصائب لا نستطيع حصرها أو الإعلان عنها كلها.

٥- العودة إلى تعليم القرآن (تجويدًا وتفسيرًا) والعلوم الشرعيَّة بجانب العلوم النظريَّة والتطبيقيَّة الماديَّة. لأن التعليم العلماني وحده لا يصنع أمَّة الإسلام الراقية، ولأن التعليم العلمانيَّ وحده يجعلنا نرى أجيالًا تكون فريسة سهلة للتشيُّع أو التنصير أو التهوُّد أو الإلحاد، أو ما شابه ذلك، لأنه ليس لديهم حصانة إيمانيَّة تحفظهم من ذلك. فلمصلحة مَنْ هذا التعليم العلمانيُّ، وهذه الأجيال التي تعاني الانفصام بين تعليمها ودينها؟!

وقفة
(إلى شباب الجامعة)

• « يريد الشباب المسلم مع حقيقة العلم حقيقة الدين، فإن العلم لا يُعلِّمُ الصبر ولا الصدق ولا الأمانة.

• يريدون قوة النفس مع قوة العقل، فإن القانون الأدبي في الشعب لا يضعه العقل وحدَه، ولا ينفِّذه وحدَه.

• يريدون قوة العقيدة حتى إذا لم ينفعهم في بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه .

• لا..... لا..... ، يا رجال الجامعة !

إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق.

• تقولون : أوروبا وتقليد أوروبا؟ ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لغيرنا .

• تقولون : إن الجامعات ليست محلًّا للدين، ومَن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلًّا لفوضى الأخلاق ؟

• تزعمون أن الشباب تعلَّموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية، فلا حاجة إليه في الجامعات .

أفترون الإسلام دروسًا ابتدائية وثانوية فقط؟

أم تريدون شجرة تغرس هناك لتقلع عندكم؟ »

(مصطفى صادق الرافعي في كتابه « وحي القلم»)

السؤال الثالث والعشرون: هل لدينا مزيد من الأدلة من (القرآن الكريم) حول غطاء الوجه والكفين في الشريعة الإسلاميّة؟

الجواب: نعم، وإليك هذه الأدلة بالتفاصيل:

١ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾[الأحزاب].

• ورد في تفسير ابن جرير الطبري: « يا أيها النَّبيُّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهنَّ إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛ لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهنَّ حرائر، بأذىٰ من قول »(١).

• قال أبو بكر الجصَّاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ:« عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ خَرَجَ نِسَاءٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَىٰ رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانُ مِنْ أَكْسِيَةٍ سُودٍ يَلْبَسْنَهَا».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ مَأْمُورَةٌ بِسَتْرِ وَجْهِهَا عَنْ الْأَجْنَبِيِّينَ وَإِظْهَارِ السِّتْرِ وَالْعَفَافِ عِنْدَ الْخُرُوجِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَهْلُ الرِّيَبِ فِيهِنَّ»(٢).

• قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «ومعنىٰ ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ يُرخينها عليهنَّ، ويغطين بها وجوههنَّ وأعطافهنَّ. يقال: إذا زلَّ الثوب عن وجه

---

(١) جامع البيان (٢٢/٤٥)، شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت:٣١٠ هـ).
(٢) أحكام القرآن (٣/٢٧١) للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت:٣٧٠هـ).

المرأة: أَدْنِي ثوبَك علىٰ وجهِك»(١).

• قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِيَّاتِ التَّبَذُّلَ، وَكُنَّ يَكْشِفْنَ وُجُوهَهُنَّ كَمَا يَفْعَلُ الْإِمَاءُ، وَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَىٰ نَظَرِ الرِّجَالِ إِلَيْهِنَّ، وَتَشَعُّبِ الْفِكْرَةِ فِيهِنَّ، أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَهُنَّ بِإِرْخَاءِ الْجَلَابِيبِ عَلَيْهِنَّ إِذَا أَرَدْنَ الْخُرُوجَ إِلَىٰ حَوَائِجِهِنَّ - وساق قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ما يَمْنَعُ المرأةَ المسلمةَ إذا كَانَتْ لَهَا حَاجَةٌ أَنْ تَخْرُجَ فِي أَطْمَارِهَا أَوْ أَطْمَارِ جَارَتِهَا مُسْتَخْفِيَةً، لَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ بَيْتِهَا»(٢).

• قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ أي: يغطين وجوههنَّ وأبدانهنَّ بملاحفهنَّ إذا برزن لحاجة، وَ﴿مِن﴾ للتبعيض فإن المرأة تُرخي بعض جلبابها وتتلفَّع ببعض ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ يميَّزن من الإماء والقيْنات. ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يؤذيهنَّ أهل الريبة بالتعرُّض لهنَّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما سلف. رَحِيمًا بعباده حيث يُراعِي مصالحهم حتىٰ الجزئيَّات منها»(٣).

• قال ابن جُزَيِّ الكلبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان نساء كشفن وجوههنَّ كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلىٰ نظر الرجال لهنَّ، فأمرهنَّ الله بإدناء الجلابيب ليسترن

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل (٣/ ٢٧٤) لأبي القاسم الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٤/ ٢٤٣) (ت:٦٧١هـ) للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت:٦٧١هـ).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٢٨٠) القاضي ناصر الدِّين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٩١).

بذلك وجوههنَّ»(١).

• وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ وَيُبْدِينَ عَيْنًا وَاحِدَةً»(٢).

بمثل هذا قال الإمام جلال الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد المحلي (ت: سنة ٨٦٤ هـ) في تفسيره « قرة العينين على تفسير الجلالين » (ص ٥٦٠)، وهكذا قال الإمام السيوطي وسمَّاها آية الحِجاب: «هذه آية الحِجاب في حق سائر النساء ففيها جوب ستر الرأس والوجه والعينين» (انظر الإكليل ص ١٨٠).

• وذكر ذلك الخطيب الشربيني في تفسيره «السراج المنير» (٣/ ٢٧١)، والشيخ أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت:٩٥١ هـ) في تفسيره: «إرشاد العقل السليم» (٧/ ١١٥)، والعلامة الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) في تفسيره «فتح القدير» (٤/ ٣٠٥)، والشيخ السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي (ت: ١٢٦٨هـ) في تفسيره «تفسير الميرغني» (٢/ ٩٣)، والعلامة محمد جمال الدِّين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) في تفسيره «محاسن التأويل» (١٣/ ٤٩٤٠)، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره «تيسير الكريم المنان» (٦/ ١٢٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري:

يدنين يرخين الرواء سترًا * للوجه والرأس يعم الصدرا**(٣)

وقال الدكتور محمد محمود حجازي: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ « فيسترن

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٤٤) للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٥٠) للحافظ عماد الدِّين إسماعيل ابن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ).
(٣) «التيسير في علوم التفسير»، ص (٩١).

أجسادهنَّ كلها حتى وجوههنَّ إلا ما به ترى الطريق»(١).

• وقال الشيخ عبد العزيز بن خلف: «والمفهوم من الجِلباب أنه لا ينحصر باسم ولا جنس ولا لون، وإنما هو كل ثوب تشتمل به المرأة لستر مواضع الزينة من ثابت ومنقول، وإذا عرفنا المقصود منه، زال الحرج في وصفه ومسمَّاه، فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ يدل ذلك على تخصيص الوجه؛ لأن الوجه عنوان المعرفة، فهو نصٌّ على وجوب ستر الوجه، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ هو نصٌّ على أن في معرفة محاسن المرأة إيذاءً لها ولغيرها بالفتنة والشرِّ، ولذلك حرَّم الله تعالى عليها أن تُخْرِجَ من بدنها ما تُعرَف به محاسنها أيًّا كانت...، وهذا الأمر يقتضي الوجوب، ولا يوجد أي دليل ينقله من الوجوب إلى الاستحباب أو الخيار »(٢).

• وقال أبو الأعلى المودودي - بعد أن استعرض أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية -: «ويتضح من هذه الأقوال جميعًا أنه من عصر الصحابة الميمون إلى القرن الثامن للهجرة حمل جميع أهل العلم هذه الآية على مفهوم واحد، وهو الذي فهمناه من كلماتها، وأن النساء قد شرعن بلبس النقاب على العموم بعد نزول هذه الآية، وكل من تأمل كلمات الآية وما فسَّرها به أهل التفسير في جميع الأزمان بالاتفاق، وما تعامل عليه الناس على عهد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم ير في الأمر مجالًا للجحود بأن المرأة قد أمرها الشرع الإسلامي بستر وجهها عن الأجانب، وما زال العمل جاريًا عليه منذ عهد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذا اليوم »(٣).

---

(١) «التفسير الواضح» (٢٢/٢٧).

(٢) «نظريات في حجاب المرأة المسلمة»، ص (٤٨- ٤٩).

(٣) «الحِجاب»: (ص٣٠٢ – ٣٠٣) لأبي الأعلى المودودي (ت:١٣٩٩هـ).

• وقال الشيخ أبو بكر الجزائري - في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٩﴾[الأحزاب] -:

«هذه الآية في سورة الأحزاب، وهي متأخِّرة في التلاوة بعد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾، وقوله ﷻ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[الأحزاب:٣٢]، أبطلت دعوىٰ الخصوصيَّة في الحِجاب لنساء النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حيث أشركت في الخطاب نساءَ المؤمنين باللفظ الصريح مع بنات النَّبيِّ وأزواجه رضي الله عنهن أجمعين، وهي تطالب المؤمنات إذا خرجن من بيوتهنَّ لحاجة استدعت ذلك أن يُغطين وجوههنَّ ويسترن محاسنهنَّ، أما التعليل في الآية فهو يشير إلىٰ المجتمع الإسلامي في تلك الأيام، وأنه كان مخلخلًا مهزوزًا لوجود أعداء من المنافقين والمشركين، وحُكْم الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يستقرَّ بعدُ، والأمن لم يستتبَّ، بدليل أن المنافقين كان منهم من يتعرَّض للجواري في الشوارع، ويغازلهنَّ، لإيقاعهنَّ في الريبة، فمن باب الوقاية العاجلة أمر الله تعالىٰ النَّبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن يقول آمرًا أزواجه وبنات ونساء المؤمنين به إذا خرجت إحداهنَّ لحاجتها أن تغطي رأسها ووجهها ليعرف أنها حرَّة، وليست جارية تخدم البيوت، فلا يتعرَّض لها أولئك المنافقون بالكلام المريب والمغازلة الفاتنة. والمقصود من الكلام أن هذه الآية مؤكِّدة لفرضيَّة الحِجاب، ومقرِّرة له.

ودعاة السُّفور يقولون إن هذه الآية لم تأمر بتغطية الوجه، وإنما أمرت بتغطية الرأس فقط، وهو فهم باطل، إذ الجِلباب هو ما تضعه المرأة علىٰ رأسها، فكيف يقال لها أدني الجِلباب من رأسك تغطية؟

وإنما تُدنيه من رأسها لتغطِّي به وجهها، هذا هو المعقول والمفهوم من كلام العرب لكلمة (يدنين).

ثم مجرَّد تغطية الرأس لا تمنع المغازلة، وإنما يمنع منها تغطية الوجه بالمرَّة، أما كاشفة الوجه فإن النظر إليها ومنها يسهل المكالمة، فالمغازلة، كما قال الشاعر الحكيم: **نظرةٌ فابتسامة فسلام *** فكلام فموعد فلقاء** »[1]

❁❁❁

٢ـ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾[الأحزاب:٥٣].

وقد أطلنا الحديث سابقًا عنها ونوجزه هنا فيما يلي:

فهذه آية الحِجاب، نزلت في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة المباركة، وهي تعمُّ باطلاقها حِجاب جميع الأعضاء بما فيها الوجه والكفَّانِ.

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ**﴾ - : «وإذا سألتم أزواج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعًا ﴿**مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ**﴾، يقول: من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن»[2].

وقال العلامة أبو بكر الجصَّاص الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَهَذَا الْحُكْمُ وَإِنْ نَزَلَ خَاصًّا فِي النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ فَالْمَعْنَى عَامٌّ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ؛ إذْ كُنَّا مَأْمُورِينَ

---

(١) فصل الخطاب في المرأة والحِجاب، ص (٣٨- ٣٩).
(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٩/٢٢).

بِاتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ إِلَّا مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ دُونَ أُمَّتِهِ»(١).

• وقال الإمام القرطبي المالكي: «وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ النِّسَاءِ بِالْمَعْنَى، وَبِمَا تَضَمَّنَتْهُ أُصُولُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا عَوْرَةٌ، بَدَنُهَا وَصَوْتُهَا، كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَا يَجُوزُ كَشْفُ ذَلِكَ إِلَّا لِحَاجَةٍ كَالشَّهَادَةِ عَلَيْهَا، أَوْ دَاءٍ يَكُونُ بِبَدَنِهَا، أَوْ سُؤَالِهَا عَمَّا يَعْرِضُ وَتَعَيَّنَ عندَها»(٢).

• وقال الحافظ ابن كثير: «لما أمر تبارك وتعالى النِّسَاءَ بِالْحِجَابِ مِنَ الْأَجَانِبِ، بَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَقَارِبَ لَا يَجِبُ الِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ، كَمَا اسْتَثْنَاهُمْ في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾» [النور:٣١](٣).

وقال العلامة الشوكاني في تفسير هذه الآية: «وفي هذا أدبٌ لكلِّ مؤمنٍ، وتحذيرٌ له مِن أن يَثِقَ بنفسِه في الْخَلْوَةِ مَعَ مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ، وَالْمُكَالَمَةِ مِنْ دُونِ حِجَابٍ لِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ»(٤).

• وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية: «إِنَّ آيَةَ «الحِجاب» أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ خَاصَّةٌ بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ تَعْلِيلَهُ تَعَالَى لِهَذَا الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ إِيجَابُ الحِجاب بِكَوْنِهِ أَطْهَرَ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الرِّيبَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ - قَرِينَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى إِرَادَةِ تَعْمِيمِ الْحُكْمِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) أحكام القرآن للجصَّاص (٣/ ٣٧٠- ٣٩٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٢٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٤).
(٤) فتح القدير (٤/ ٢٩٨).

إِنَّ غَيْرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَا حَاجَةَ إِلَىٰ أَطْهَرِيَّةِ قُلُوبِهِنَّ وَقُلُوبِ الرِّجَالِ مِنَ الرِّيبَةِ مِنْهُنَّ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ الْعِلَّةَ قَدْ تُعَمِّمُ مَعْلُولَهَا ... هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الدَّلِيلَ الْوَاضِحَ عَلَىٰ أَنَّ وُجُوبَ الحِجاب حُكْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ النِّسَاءِ، لَا خَاصٌّ بِأَزْوَاجِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ اللَّفْظِ خَاصًّا بِهِنَّ؛ لِأَنَّ عُمُومَ عِلَّتِهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ عُمُومِ الْحُكْمِ فِيهِ، وَمَسْلَكُ الْعِلَّةِ الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ هُوَ عِلَّةُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ ـ هُوَ الْمَسْلَكُ الْمَعْرُوفُ فِي الْأُصُولِ بِمَسْلَكِ الْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيهِ، وَضَابِطُ هَذَا الْمَسْلَكِ الْمُنْطَبِقِ عَلَىٰ جُزْئِيَّاتِهِ، هُوَ أَنْ يَقْتَرِنَ وَصْفٌ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ عَلَىٰ وَجْهٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذَلِكَ الْوَصْفُ عِلَّةَ ذَلِكَ الْحُكْمِ لَكَانَ الْكَلَامُ مَعِيبًا عِنْدَ الْعَارِفِينَ.

وَعَرَّفَ صَاحِبُ «مَرَاقِي السُّعُودِ» دَلَالَةَ الْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيهِ فِي مَبْحَثِ دَلَالَةِ الِاقْتِضَاءِ وَالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيهِ بِقَوْلِهِ:

دَلَالَةُ الْإِيمَـاءِ وَالتَّنْبِيـهِ * فِي الْفَنِّ تَقْصِدُ لَدَى ذَوِيهِ**

أَنْ يُقْرَنَ الْوَصْفُ بِحُكْمٍ إِنْ يَكُنْ * لِغَيْرِ عِلَّةٍ يُعِبْهُ مَنْ فَطِنْ**

وَعَرَّفَ أَيْضًا الْإِيمَاءَ وَالتَّنْبِيهَ فِي مَسَالِكِ الْعِلَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَالثَّالِثُ الْإِيمَاء اقْتِرَانُ الْوَصْفِ * بِالْحُكْمِ مَلْفُوظَيْنِ دُونَ خِلْفِ**

وَذَلِكَ الْوَصْفُ أَوِ النَّظِيرُ * قِرَانُهُ لِغَيْرِهَا يَضِيرُ**

فقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِلَّةً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ لَكَانَ الْكَلَامُ مَعِيبًا غَيْرَ مُنْتَظِمٍ عِنْدَ الْفَطِنِ الْعَارِفِ،... وَعَلِمْتَ أَنَّ حُكْمَ الْعِلَّةِ عَامٌّ. فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلَّةَ قَدْ تُعَمِّمُ مَعْلُولَهَا، وَقَدْ تُخَصِّصُهُ... وَبِهِ

تَعْلَمُ أَنَّ حُكْمَ آيَةِ الحِجاب عَامٌّ لِعُمُومِ عِلَّتِهِ، وَإِذَا كَانَ حُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ عَامًّا بِدَلَالَةِ الْقَرِينَةِ الْقُرْآنِيَّةِ. فَاعْلَمْ أَنَّ الحِجاب وَاجِبٌ بِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ جَمِيعِ النِّسَاءِ»[١].

• وقال أيضًا: «تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ خِطَابَ الْوَاحِدِ يَعُمُّ حُكْمُهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ، وَلَا يَخْتَصُّ الْحُكْمُ بِذَلِكَ الْوَاحِدَ الْمُخَاطَبَ،... لِأَنَّ خِطَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوَاحِدٍ مِنْ أُمَّتِهِ يَعُمُّ حُكْمُهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ، لِاسْتِوَائِهِمْ فِي أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ، إلا بدلِيلٍ خَاصٍّ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ** }[٢]...

وَبِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْأُصُولِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا تَعْلَمُ أَنَّ حُكْمَ آيَةِ الحِجاب عَامٌّ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهَا خَاصًّا بِأَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ قَوْلَهُ لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَزْوَاجِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِنَّ كَقَوْلِهِ لِمِائَةِ امْرَأَةٍ.

وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ آيَةَ الحِجاب خَاصَّةٌ بِأَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُنَّ خَيْرُ أُسْوَةٍ لِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْآدَابِ الْكَرِيمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلطَّهَارَةِ التَّامَّةِ وَعَدَمِ التَّدَنُّسِ بِأَنْجَاسِ الرِّيبَةِ، فَمَنْ يُحَاوِلُ مَنْعَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ كَالدُّعَاةِ لِلسُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ وَالِاخْتِلَاطِ الْيَوْمَ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِهِنَّ فِي هَذَا الْأَدَبِ السَّمَاوِيِّ الْكَرِيمِ الْمُتَضَمِّنِ سَلَامَةَ الْعِرْضِ وَالطَّهَارَةِ مِنْ دَنَسِ الرِّيبَةِ غَاشٌّ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرِيضُ الْقَلْبِ كَمَا تَرَىٰ»[٣]. كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ بعد آية الحِجاب: ﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي**

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٥٨٤).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٧٠٠٦)، والنسائي ك: البيعة، ب: بيعة النساء، ح (٤١٨١)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني. عن أميمة بنت رقيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أضواء البيان (٦/ ٥٨٩).

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾[الأحزاب].

• وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي مصر الأسبق في تفسيره: «وحكم نساء المؤمنين في ذلك حكم نسائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

• وقال الشيخ حسين سعيد الجابي في كتابه « كشف النقاب »: « بيَّن سبحانه أن الباعث للحجاب هو تطهير قلوب الفريقين، وإذا كانت نساء النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المطهَّرات من السفاح، والمحرَّمات علينا بالنكاح، الموصوفات بأنهنَّ أمَّهات المؤمنين قد أُمِرن بالحِجاب طهارة لقلوبهنَّ وقلوب أبنائهنَّ المحرَّم عليهم نكاحُهن، فما تقول في غيرهنَّ المحلَّلات لنا بالنكاح، المتطلِّع لهنَّ أهل السِّفاح، هل يجوز لهنَّ أن يكنَّ سافراتٍ وبارزاتٍ غير محجَّباتٍ؟!».

وإشراك أزواج النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبناته ونساء المؤمنين في حكم واحد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩]، فبطلت دعوىٰ التخصيص، فكل ما ثبت لنسائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت لغيرهم، وكل ما ثبت لغيرهنَّ ثبت لهنَّ، باستثناء ما ورد في النص بتحريم نكاحهم بعد موته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وقال الشيخ محمد أديب كلكل: « أكثر آيات القرآن ذوات أسباب في نزولها، فإذا حصرنا أحكامها ضمن دائرة أسبابها، فما هو حظُّنا منها إذن؟

وبذلك نكون قد عطَّلنا آيات الله، وأبطلنا أحكامها، وهل أُنزل القرآن ليطبق في عصر دون عصر، وفي زمن دون أزمان؟.

---

(١) صفوة البيان لمعاني القرآن (٢/ ١٩٠).

تدبَّرِ الآيات التالية تجد وصايا ربانيَّة وأوامر إلهيَّة: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب].

فأيٌّ منها لا يتصل بعامَّة النساء المسلمات؟ تقوىٰ الله، عدم الخضوع بالقول، حرمة تبرُّج الجاهليَّة، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله؟!

فما المبرِّر لتخصيص ما ورد في سياق مخاطبة أمَّهات المؤمنين من قرار في البيوت وملازمة الحِجاب، وعدم مخالطة للأجانب بهنَّ خاصة؟

إن التوجيه الرباني، والتربية الإلهيَّة لكل النساء عامَّة بشخص أمَّهات المؤمنين من باب «إياك أعني، واسمعي يا جارة»[(١)].

• فالأمر في آية الحِجاب لا يختصُّ بأمَّهات المؤمنين، وإن كان ضمير النسوة يرجع إليهنَّ لأجل أنهنَّ المذكورات في السياق، ولأنهنَّ الأسوة والقدوة لنساء المسلمين في جميع نواحي الحياة، ومعلوم أن التخصيص بالذكر لا يوجب التخصيص بالحكم.

• ومعلوم أن أمَّهات المؤمنين كنَّ أطهر نساء الدنيا قلوبًا، وأعظمهن قدرًا في قلوب المؤمنين، ومع ذلك أُمرن بالحِجاب طلبًا لتزكية قلوب الطرفين، فغيرهنَّ من النساء أولىٰ بهذا الأمر.

• فيا نساء المسلمين التزِمْنَ بالحِجاب كما التزمت أمَّهات المؤمنين، ولم يبق مجال لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها، عن نساء الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فترىٰ السُّفور لها، ولا تراه لأزواج الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبناته.

---

(١) حكم الإسلام في النظر، ص (٤٣).

٣ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾** ﴾ [النور].

لا جناح علىٰ المرأة القاعدة أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرَّج، وأن تلبسه خير لها.

والقواعد من النساء هنَّ: العاجزات (الكبيرات في السن) أباح الله تعالىٰ لهنَّ كشف الوجه والأيدي لأنهن لا يُشتَهَيْن.

والآية دليل واضح علىٰ أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح لا يرخَّص لها في وضع شيء من ثيابها، ولا الإخلال بشيء من السِّتر بحضرة الأجانب، لأن التَّبرُّج يُفضي إلىٰ الفتنة بالمتبرِّجة ولو كانت عجوزًا، فكيف يكون الحال بالشابَّة الجميلة إذا تبرَّجت؟ لا شكَّ أن إثمها أعظم والجناح عليها أشدُّ، والفتنة بها أكبر.

وتحريض العجائز علىٰ الاستعفاف خير لهنَّ، وإن لم يتبرَّجن، فظهر بذلك فضل التحجُّب والتستُّر بالثياب ولو من العجائز، وأنه خير لهنَّ من وضع الثياب، فوجب أن يكون التحجُّب والاستعفاف عن إظهار الزينة خيرًا للشابَّات من باب أولىٰ، وأبعد لهنَّ عن أسباب الفتنة.

وثبوت الإثم علىٰ غير القواعد من النساء مقتضٍ للحرمة موجِبٌ لها.

❁ ❁ ❁

٤ـ قوله تعالىٰ: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ**

أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فقد صحَّ عن ابن مسعود وغيره تفسير الزينة بالثياب الظاهرة، لأن الله تعالىٰ لم يقل (إلا ما أظهرن منها) ومن قال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الوجه والكفَّانِ فقد بنَىٰ قوله إما علىٰ آثار ضعيفة السند منسوبة إلىٰ بعض الصحابة، أو بنَىٰ قوله علىٰ أن عورة المرأة في الصلاة البدن كله عدا الوجه والكفَّيْنِ، ومعلوم أن أحكام اللباس ليست متوقِّفة علىٰ ستر العورة فقط، وقد رجَّح بعضهم جواز كشف الوجه والكفَّيْنِ لأن الحاجة قد تمسُّ إلىٰ إظهارهما، كالخطبة والشهادة والتطيُّب... ونسوا أنه يرخَّص لها ذلك في حدود حاجتها.

• وتدبَّر قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

• قال الحافظ ابن كثير: « هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلنِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ وَغَيْرَةٌ مِنْهُ لِأَزْوَاجِهِنَّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَمْيِيزٌ لهن عن صفة نساء الجاهلية وفِعالِ المُشركين، وقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْها أَيْ لَا يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِنَ الزِّينَةِ لِلْأَجَانِبِ إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابْنُ مَسْعُودٍ: كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ »(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤١). ط. دار الكتب العلمية.

وذلك فيه دلالة على أن ستر جميع الجسد كان قد صار ديدن نساء الصحابة والتابعين وسائر نساء المسلمين عبر الدهور. إيمانًا بكتاب الله وتصديقًا بتنزيله، وامتثالًا لأوامره، وتناهيًا عن نواهيه.

وماذا ومن ذا بعد الله ورسوله والصحابة والمؤمنين حتى يعتمَد عليه؟!

• والله تعالى حينما نهى عن إبداء الزينة أسند الفعل إلى النساء، وجاء به متعدِّيًا، لكنه حينما استثنى لم يقل: (إلا ما أظهرن منها) بل قال: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ فعدل الفعل عن التعدِّي إلى اللزوم ولم يسنده إلى النساء، فهي ليست مخيَّرة في إبداء شيء منها إذا التزمت بالإخفاء وتقيَّدت به، ثم ظهر من تلك الزينة من غير أن تُقَصِّر أو تُفَرِّط في الإخفاء، ومن غير أن تقصد وتتعمَّد الإبداء فإنها لا تعاتَب عليه، ولا تؤاخَذ به عند الله، وهذا هو المفهوم من سياق هذه الآية، وهذا الذي يقتضيه نظم الكلام.

• والحاصل أن الزينة نوعان:

١- زينة يمكن إخفاؤها، فالمرأة مأمورة بإخفاء هذا النوع من الزينة مهما كانت.

٢- وزينة لا يمكن إخفاؤها، أو يمكن ولكنها تنكشف من غير أن تتعمَّد المرأة كشفها، أو تعتري حاجة تلجئ المرأة إلى إبدائها، فهذا النوع هو المراد بقوله تعالى: ﴿**مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾. والمرأة لا تؤاخذ على ظهور هذا النوع من زينتها، وهو يختلف باختلاف الظروف والحاجات والمصالح، ولا يمكن تحديدها بحدٍّ معين لا يقبل الزيادة أو النقصان، تركها الله ورسوله على إبهامها تيسيرًا لهذه الأمَّة وتجنبًا للتضييق.

ويضرب لذلك مثلًا بالثياب الظاهرة، وما يكشفه الهواء من غير قصد منها، والنظر إلى المخطوبة قبل النكاح، أو كشف المرأة بعض أعضائها أمام الطبيب

المسلم حين الضرورة، وعند تعذُّر وجود الطبيبة المسلمة، ولا عتاب عليها، فإن كل ذلك مما ظهر من زينتها من غير أن تبديها بخيارها.

• ومن هنا يظهر أن تحديد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ في الوجه والكفَّيْنِ أو الخاتم أو الكحل وأمثالها لا يصح. بل الصحيح هو تركه على إبهامه وعمومه، وأنه شامل لجميع جسد المرأة حسب الحاجة والظروف.

والذين حدَّدوه في مقدار معين فقد وقعوا في التفريط، فإنهم أباحوا لها أن تبدِي هذا القدر مطلقًا، سواء دعت الحاجة إلى كشفها أم لا، مع أن الله لم يخيِّرْهنَّ في إبداء شيء من الزينة، وإنما عفا عما ظهر منها بنفسها.

• وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ مضارع في معنى النهي، والنهي التحريم.

إذا وقع النهي بصيغة المضارع يكون آكد في التحريم.

وفالآية صريحة في أن إبداء الزينة حرام على المرأة، فهي دليل على وجوب الحِجاب، وأن الوجه والكفَّيْنِ داخلان فيه.

• والذين يستدلون بهذه الآية على جواز الوجه والكفَّيْنِ لم أر لهم شيئًا يروي الغليل، ويشفي العليل، إنما يصرفون الآية عن معناها المنصوص إلى غيره مستدلين بقول ابن عباس وأصحابه، وقول ابن عباس يأبى عما ينحلون إليه. وذلك لأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعدَّة من أصحابه فسَّروا الجِلباب بتغطية الوجه، ويستأنس من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (إن صح السند إليه) أنه يرى جواز الكشف لأجل الضرورة.

• روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ قال: والزينة الظاهرة: الوجه وكحل العين وخضاب الكفِّ والخاتم،

فهذا تُظهره في بيتها لمن دخل (من المحارم) عليها [١].

فابن عباس لا يُفتي بجواز كشف الوجه واليدين مطلقًا.

• كما أن الزينة في لغة العرب هي ما تتزيَّن به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها (كالحلي والحلل) فتفسير الزينة ببعض بدن المرأة خلاف الظاهر، ولا يجوز الحمل عليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وبه تعلم أن قول من قال: « الزينة الظاهرة: الوجه والكفَّانِ » خلافُ ظاهر معنى لفظ الآية، وذلك قرينة على عدم صحة هذا القول، فلا يجوز الحمل عليه إلا بدليل منفصل يجب الرجوع إليه.

• قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ولفظ الزينة قد تكرَّر في القرآن الكريم مرادًا به الزينة الخارجيَّة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها أجزاء ذلك الشيء المزين بها، كقوله تعالى: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ** ﴾ [الأعراف:٣١]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ** ﴾ [الأعراف:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا** ﴾[الكهف:٧]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ** ﴾ [القصص:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦** ﴾[الصافات]، وقوله تعالى: ﴿ **وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ** ﴾ [النحل:٨]، وقوله تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ** ﴾ [القصص:٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ **ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ** ﴾ [الكهف:٤٦] وقوله تعالى: ﴿ **ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ** ﴾ [الحديد:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ** ﴾[طه: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ** ﴾ [طه:٨٧]، وقوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن جرير (١٨/ ٨٣، ٨٤).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

فَلَفْظُ الزِّينَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا يُرَادُ بِهِ مَا يُزَيَّنُ بِهِ الشَّيْءُ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَصْلِ خِلْقَتِهِ، كَمَا تَرَىٰ، وَكَوْنُ هَذَا الْمَعْنَىٰ هُوَ الْغَالِبُ فِي لَفْظِ الزِّينَةِ فِي الْقُرْآنِ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ لَفْظَ الزِّينَةِ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ يُرَادُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَىٰ، الَّذِي غَلَبَتْ إِرَادَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ... وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ تَفْسِيرَ الزِّينَةِ فِي الْآيَةِ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، فِيهِ نَظَرٌ.

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالزِّينَةِ فِي الْقُرْآنِ مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ أَصْلِ الْخِلْقَةِ، وَأَنَّ مَنْ فَسَّرُوهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا اخْتَلَفُوا عَلَىٰ قَوْلَيْنِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ زِينَةٌ لَا يَسْتَلْزِمُ النَّظَرُ إِلَيْهَا رُؤْيَةَ شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ كَظَاهِرِ الثِّيَابِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ زِينَةٌ يَسْتَلْزِمُ النَّظَرُ إِلَيْهَا رُؤْيَةَ مَوْضِعِهَا مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ؛ كَالْكُحْلِ وَالْخِضَابِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وأَظْهَرُ الْقَوْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عِنْدِي قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الزِّينَةَ الظَّاهِرَةَ هِيَ مَا لَا يَسْتَلْزِمُ النَّظَرُ إِلَيْهَا رُؤْيَةَ شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ»، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الْأَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ أَحْوَطُ الْأَقْوَالِ، وَأَبْعَدُهَا عَنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ، وَأَطْهَرُهَا لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ وَجْهَ الْمَرْأَةِ هُوَ أَصْلُ جَمَالِهَا وَرُؤْيَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الِافْتِتَانِ بِهَا؛ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَالْجَارِي عَلَىٰ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ الْكَرِيمِ، هُوَ تَمَامُ الْمُحَافَظَةِ، وَالِابْتِعَادُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي»(١).

• وبعض الناس الذين فسَّروا: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، بالوجه والكفَّيْنِ يشترطون مع ذلك أمن الفتنة، وإلا فهل يجيز واحد منهم

---

(١) أضواء البيان (٦/١٩٢-٢٠٢).

لامرأة كَشْفَ وجهِها في مثل هذا الزمان أمام الرجال؟ وفيهم الفسقة لصوص الأعراض الذين يتشبَّبون بمحاسن النساء، ويذرعون الطرقات بحثًا عنهنَّ، وتساهل الناس والأولياء في خروج النساء والبنات، وقلَّتْ - أو قُل انعدمت غيرتُهم - وكثر الاختلاط، وقلَّ الأوفياء، وسار الزواج معقَّدًا ومكلِّفًا، والزنا ميسورًا ورخيصًا، أليس هذا زمن الفتنة؟!!

❁❁❁

٥- قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾:

والاختمار لغة يتضمن تغطية الوجه، وفِعْلُ أمَّهات المؤمنين، وَفِعْلُ نساء المؤمنين في عهد الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد نزول هذه الآية، وآية الأحزاب من الستر الكامل بالخُمر والجلابيب، وفعل النساء المؤمنات جيلًا بعد جيل حتى أوائل هذا القرن الذي نعيش فيه الآن.

وإدناء الخمار من الرأس إلى الصدر، داخلٌ فيه الوجه، لأن الوجه من الرأس الذي يجب تخميره عقلًا وشرعًا وعرفًا.

ولا يوجد أي دليل يدل على إخراج الوجه من مسمَّى الرأس في لغة العرب، كما لم يأت نصٌّ على إخراجه أو استثنائه بمنطوق القرآن والسنة ولا بمفهومهما.

• واستثناء بعضهم مردود لأن حُجَّة الإثبات مقدَّمة على حُجَّة النفي، وإذا تعارض مُبيح وحاظر قُدِّمَ الحاظرُ على المُبيح.

وآية الحِجاب في سورة الأحزاب صريحة في تخمير الوجه لأنه عنوان المعرفة.

• وإذا أباح الشارع الوجه والكفَّيْنِ فلماذا لم يُبين لنا حدود الوجه، وحدود

الكفين كما بينهما النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوضوء؟!

• وإذا كان سَتْرُ النحر والصدر واجبًا، كان وجوب ستر الوجه من باب أولى، لأنه موضع الجمال والفتنة والناس تطلب جمال الصورة. فكيف يُفهم أن هذه الشريعة الحكيمة تأمر بستر الصدر والنحر، ثم ترخِّص في كشف الوجه؟!

• قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح في شرح حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا».

قال: قوله: «فاختمرن»: أي غطين وجوههن. وقولها: « فأصبحن وراء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتجزات كأن على رءوسهن الغربان ».

ومعنى معتجزات: مختمرات، والاعتجار: هو لف الخِمار على الرأس مع تغطية الوجه، وكما ذكرنا آنفًا: جاء معتجر بعمامته ما يرى وحشي منه إلا عينيه ورجليه، والاعتجار بالعمامة هو أن يلفَّها على رأسه ويرد طرفها على وجه يشبه المعجر للنساء وهو أن يلفَّه حول وجهه.



وقفة
(رحمة الله واسعة)

يقول ابن القيم في مدراج السالكين (١/ ٢٣٥- ٢٣٦):

« وَهَذَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ شُرُودٌ وَإِبَاقٌ مِنْ سَيِّدِهِ، فَرَأَىٰ فِي بَعْضِ السِّكَكِ بَابًا قَدْ فُتِحَ، وَخَرَجَ مِنْهُ صَبِيٌّ يَسْتَغِيثُ وَيَبْكِي، وَأُمُّهُ خَلْفَهُ تَطْرُدُهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ، فَأَغْلَقَتِ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَدَخَلَتْ، فَذَهَبَ الصَّبِيُّ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ وَقَفَ مُفَكِّرًا، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ مَأْوًىٰ غَيْرَ الْبَيْتِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ، وَلَا مَنْ يُؤْوِيهِ غَيْرَ وَالِدَتِهِ، فَرَجَعَ مَكْسُورَ الْقَلْبِ حَزِينًا، فَوَجَدَ الْبَابَ مُرْتَجًا، فَتَوَسَّدَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَىٰ عَتَبَةِ الْبَابِ وَنَامَ، فَخَرَجَتْ أُمُّهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ لَمْ تَمْلِكْ أَنْ رَمَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، وَالْتَزَمَتْهُ تُقَبِّلُهُ وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا وَلَدِي، أَيْنَ تَذْهَبُ عَنِّي؟ وَمَنْ يُؤْوِيكَ سِوَايَ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تُخَالِفْنِي، وَلَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَىٰ خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِكَ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْكَ، وَإِرَادَتِي الْخَيْرَ لَكَ؟ ثُمَّ أَخَذَتْهُ وَدَخَلَتْ.

فَتَأَمَّلْ قَوْلَ الْأُمِّ: لَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَىٰ خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ. وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ ﷺ {**للَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا**} (١).

وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟

فَإِذَا أَغْضَبَهُ الْعَبْدُ بِمَعْصِيَتِهِ فَقَدِ اسْتَدْعَىٰ مِنْهُ صَرْفَ تِلْكَ الرَّحْمَةِ عَنْهُ، فَإِذَا تَابَ إِلَيْهِ فَقَدِ اسْتَدْعَىٰ مِنْهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَأَوْلَىٰ بِهِ.

فَهَذِهِ نُبْذَةٌ يَسِيرَةٌ تُطْلِعُكَ عَلَىٰ سِرِّ فَرَحِ اللهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ هَذَا الْوَاجِدِ لِرَاحِلَتِهِ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ، بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهَا.

وَوَرَاءَ هَذَا مَا تَجْفُو عَنْهُ الْعِبَارَةُ، وَتَدِقُّ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْأَذْهَانُ».

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٥٩٩٩)، ومسلم، ح (٢٧٥٤) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال الرابع والعشرون: هل لدينا مزيد من الأدلة من (السنة النبوية) حول غطاء الوجه والكفين في الشريعة الإسلاميَّة؟

الجواب: نعم، وإليك هذه الأدلة بالتفاصيل:

١ـ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ }**(١).

فقد دلَّ هذا الحديث على أن جميع أجزاء المرأة عورة في حقِّ الرجال الأجانب، فيجب سترُه.

٢ـ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ وَلاَ تَنْتَقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ، وَلاَ تَلْبَسِ الْقُفَّازَيْنِ }**(٢).

• وقال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله في حديث ابن عمر: « **وَلاَ تَنْتَقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ** »: وذلك لأن سترها وجهها بالبرقع فرض إلا في الحج، فإنها ترخي شيئًا من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتُعْرِض عنها »(٣).

• ووجه المرأة في الحج والعمرة كبدن الرجل، فيحرم عليها فيه ما وُضع وفُصِّل، ولا يحرم ستره بالمقنعة أو البيشة أو الجلباب ونحوها.

• وليس عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرف واحد في وجوب كشف المرأة وجهها عند الإحرام إلا النهي عن النقاب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين: « وَنِسَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ كُنَّ يَسْدُلْنَ عَلَى وُجُوهِهِنَّ إذَا حَاذَاهُنَّ الرُّكْبَانُ، فَإِذَا جَاوَزُوهُنَّ

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الرضاع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (١١٧٣)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حديث حسن غريب، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل ج (١) رقم ٢٧٣، والسلسة الصحيحة (٨٢٧/١)، رقم (٤٦٠)، وصحيح الترغيب والترهيب ج (١) رقم (٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) عارضة الأحوذي (٥٦/٤)، المسألة الرابعة عشرة.

كَشَفْنَ وُجُوهَهُنَّ »(١).

• ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عن ابن المنذر الإجماع على أن المرأة المحرمة لها أن تغطِّي رأسها، وتستر شعرها إلا وجهها، فتسدل عليه الثوب سدلًا خفيفًا تستتر به عن نظر الرجال الأجانب.

٣ـ حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في وجوب ستر القدمين **{ يُرخِين ذِراعًا }**(٢).

فإذا كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أمر بستر القدمين، وجعلها من العورة، فإذا كان الأمر هكذا في القدمين، فكيف بما فوقهما من سائر أجزاء البدن، ولا سيما الوجه الذي هو في مجتمع محاسن المرأة؟! وهو أعظم ما يُفْتَتَنُ به الرجال، ويتنافسون في تحصيله إن كان حسنًا.

• ومن المعلوم أن العشق الذي أضنَى الكثير من الناس إنما كان بالنظر إلى الوجوه الحسنة، لا إلى الأقدام وأطراف الأيدي ولا إلى الحلي والثياب، وإذا كان قَدَمُ المرأة عورة يجب سترها فوجهها أولى أن يُستَر، فالقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب، فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه، وما هو أولى منه بالحكم، وحكمة الشرع تأبى أن يجب ستر ما هو أقل فتنة، ويرخَّص في كشف ما هو أعظم منه فتنة، فإن هذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/ ١٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي ك: اللباس عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ب: ماجاء في جر ذيول النساء، ح (١٧٣١)، بلفظ: { مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ }، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: { يُرْخِينَ شِبْرًا }، فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: «فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ»، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** }. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: { **الحَمْوُ المَوْتُ** }(١).

ووجه الدلالة: أن المرأة بمجموعها عورة بالنسبة للأجانب من الرجال، لذا أطلق النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عن دخولهم عليهنَّ، إذ النهي يشمل مختلف ما عليه المرأة من حالات، وما دامت بادية الوجه كما هو شأن كل امرأة في بيتها، ولقد انسحب الحكم على أخِ الزوج، فلا يجوز له هو الآخر أن يدخل على امرأة أخيه، ولو كان الوجه غير عورة لاستثنى ـ تسهيلًا ـ للأحماء (أقارب الزوج) أن تكون المرأة ساترة لما عدا الوجه والكفين من أجزاء جسمها.

- وهذا دليل واضح على منع الدخول عليهن وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب، لأن من سألها متاعًا لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّره من الدخول عليها.

٥- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة زواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَقَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ { **فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّى لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ الحِجاب بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ** }(٢).

وفي رواية أخرى: { **فَلَمَّا قُرِّبَ الْبَعِيرُ لِرَسُولِ اللهِ لِيَخْرُجَ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ رِجْلَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري ك: (النكاح) ب: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخلو على المغيبة) ح (٥٢٣٢)، ومسلم ك: السلام، ب: تحريم الخلوة بالأجنبيَّة والدخول عليها، ح (٢١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثُمَّ تزوجها، ح (٥٠٨٥).

لِصَفِيَّةَ لِتَضَعَ قَدَمَهَا عَلَى فَخِذِهِ فَأَبَتْ وَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخِذِهِ وَسَتَرَهَا رَسُولُ اللهِ وَحَمَلَهَا وَرَاءَهُ. وَجَعَلَ رِدَاءَهُ عَلَى ظَهْرِهَا وَوَجْهِهَا ثُمَّ شَدَّهُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِهَا وَتَحَمَّلَ بِهَا وَجَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ نِسَائِهِ }(١).

• وهذا حديث من أدلة وجوب الحِجاب، لأنه من فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده الكريمة، فهو عمل كامل، وقد ستر جسمها كله، وفيه دليل على أن الحِجاب لم يكن خاصًّا بأمهات المؤمنين، بل على العكس، تدل هذه القصة على عمومه لهم ولنساء المسلمين، وذلك لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا يعرفون أن الحِجاب مختصٌّ بالحرائر، وأنه أكبر ميزة وأعظم فارق في معرفة الحرَّة من المملوكة، وجعلوا الحِجاب أمارة على العِتق والتزوج، لأن صفيَّة كانت سَبْيًا مملوكة.

٦ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لاَ تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا }**(٢).

• والشاهد: أنه لم يبق للرجال سبيل إلى معرفة الأجنبيَّات من النساء إلا من طريق الوصف والصفة أو الاغتفال، ونحو ذلك.

٧ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَبَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَحَاذَيْنَا بَابَهُ، إِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ لَا نَظُنُّهُ عَرَفَهَا، فَقَالَ: **{ يَا فَاطِمَةُ مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ }**، قَالَتْ: مِنْ عِنْدِ أَهْلِ هَذَا الْمَيِّتِ رَحِمْتُ إِلَيْهِمْ مَيِّتَهُمْ

---

(١) أخرجها ابن سعد في الطبقات، من طرق مجتمعة عن أبي هريرة وأنس وأم سنان الأسلميَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال: دخل حديث بعضهم في حديث بعض (١٠/١١٧).

(٢) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها، ح (٥٢٤٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَزَّيْتُهُمْ، قَالَ: { **فَلَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى** }، قَالَتْ: مَعَاذَ اللهِ، أَنْ أَبْلُغَ مَعَهُمُ الْكُدَىٰ، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ مِنْهُمْ مَا تَذْكُرُ، قَالَ: { **لَوْ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ** }(١).

٨ـ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا، فَلْيَفْعَلْ** } قَالَ: «فَخَطَبْتُ جَارِيَّةً مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَكُنْتُ أَخْتَبِئُ لَهَا تَحْتَ الْكَرَبِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ مِنْهَا بَعْضَ مَا دَعَانِي إِلَىٰ نِكَاحِهَا، فَتَزَوَّجْتُهَا»(٢).

وفي الحديث دليل علىٰ مشروعيَّة احتجاب النساء من الرجال الأجانب، لذلك لم يتمكن جابر من النظر إلىٰ المخطوبة إلا من طريق الاختباء والاغتفال، ولو كنَّ سافرات الوجوه، كاشفات الخَدَّيْنِ، مخضوبات الكفَّين لم يكن الرجال يحتاجون إلىٰ الحيلة والمشقة في رؤيتهن. فالنظر للنساء لم يكن سهلاً، لأنهنَّ لم يكنَّ يتركن الحِجاب إلا إذا علمن أنهنَّ في أمن من نظر الرجال.

❁❁❁

(١) أخرجه الحاكم ك: (الجنائز) (١/٣٧٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وهو عند أبي داود ح (٣١٢٣)، والنسائي ح (١٨٨٠). عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٥٨٦)، وأبو داود، ح (٢٠٨٢)، والحاكم ك: النكاح (٢/١٦٥)، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وإنما أخرج مسلم في هذا الباب حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم مختصرًا.

▪ أدلة أخرى حول:
غطاء الوجه والكفَّين في الشريعة الإسلاميَّة

١ـ قاعدة (**سدِّ الذرائع مقدَّم على جلب المنافع**): فوجه المرأة يجب تغطيته سدًّا للذريعة.

٢ـ كونه عورة عن الرجال الأجانب.

٣ـ من قال يجوز كشف الوجه والكفَّين اشترط أن لا يترتب عليه فتنة، كأن تكون جميلة أو تعيش في مجتمع يغلب عليه الفُسَّاق الذين لا يتورَّعون عن النظر المحرَّم إليها (زنا العينين).

٤ـ الأصل القرار في البيت، فلا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة، فإن خرجت فعليها أن تتحجَّب، وإلا فلا جدوىٰ من القرار في البيوت مع التَّبرُّج والسُّفور.

٥ـ قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « تُمنع المرأة من كشف الوجه بين الرجال لخوف الفتنة (لخوف أن يرىٰ الرجال وجهَها فتقع الفتنة بها) لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة ».

٦ـ هناك اتفاق بين علماء المذاهب المشهورة والمتبوعة (رحمهم الله) علىٰ وجوب النقاب في هذا الزمان، سواء منهم من يرىٰ أن الوجه والكفَّين عورة، ومن يرىٰ أنهما ليسا بعورة، لكنه يوجب تغطيتهما في هذا الزمان لتبدل أحوال الناس، وكثرة الفساد، ورقَّة الدِّين، وعدم التورُّع عن النظر المحرَّم إلىٰ وجه المرأة، وكثرة الاختلاط.

٧ـ ظلَّ الحِجاب، واحتجاب النساء هو الأصل في الهيئة الاجتماعيَّة خلال مراحل التاريخ الإسلامي، كأنه أحد معالم سبيل المؤمنين في شتَّىٰ العصور.

٨ـ نقل الإمام ابن رسلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات [(١)].

٩ـ وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يزل الرجال على مرِّ الزمان مكشوفي الوجوه، والنساء يخرجن منتقبات»[(٢)].

١٠ـ وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العمل استمر على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال»[(٣)].

١١ـ كل عاقل يشهد بأن السُّفور هو مطيَّة الفجور، وأن البلاء الذي حَلَّ في بلاد المسلمين الآن كان بعد السُّفور، وفتنة التَّبرُّج. والانحلال إنما هو ثمرة السُّفور.

١٢ـ قال الشاعر:

رفع النقاب وسيلة إن حُبِّذَتْ * ضُمَّت إليها للفجور وسائلُ**

فالاختلاط فمرقص فتواعد * فالاجتماع نخلوة فتَواصُلُ**

١٣ـ إن الحِجاب عون للمرأة المسلمة على الحياء، وصدق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ }**[(٤)].

١٤ـ حِجاب المرأة المسلمة حماية لشبابنا اليوم من الانحطاط النفسي حين يكثر النظر إلى النساء السَّافرات والمتبرِّجات، وهو يشتهي ولا يملك، ولا تساعده

---

(١) عون المعبود (٤/١٠٦).
(٢) إحياء علوم الدِّين، للإمام الغزالي (١/٧٢٩).
(٣) فتح الباري (٩/٣٣٧).
(٤) أخرجه أبو داود ك: الأدب، ب: في الحياء، ح (٤٧٩٧)، وصحَّحه الألباني.

الظروف والإمكانيات؛ فيشعر بالحرمان والاختناق، ولولا ثواب العفَّة والعفاف لانخرط كما انخرط غيره في الفجور والحرام.

١٥- شعور المرأة المحجَّبة بالكرامة، وأنها غالية مُصانة، فكل معروض مُهان، وكل غالٍ ونفيس مُصان، وهذا يُكْسِبُها ثقة بالنفس، وطمأنينة في القلب، وعزَّة الإيمان واستعلاءه، وهذا لا يمكن أن يحدث مع المتبَرِّجة أو السَّافرة.

١٦- الحِجاب من الفطرة التي فطر الله تعالىٰ النساء عليها.

١٧- عورة المرأة: عورة المرأة المسلمة بالنسبة إلىٰ أختها المسلمة هي ما بين السرَّة والركبة، وعورة المرأة المسلمة بالنسبة إلىٰ المرأة الكافرة هي كل الجسم ما عدا الوجه والكفَّين، وعورة المرأة المسلمة بالنسبة إلىٰ محارمها غير الزوج: الجسد ما عدا الرأس والأطراف، وعورة المرأة المسلمة بالنسبة للرجال الأجانب هي: كلها عورة.

١٨- قال الله تعالىٰ: ﴿**أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ**﴾[النور: ٣١]، فإذا كانت النساء أنفسهن عورات، فأي حكمة في التخصيص بقوله: ﴿**عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ**﴾.

ثم انظر كيف سوَّىٰ الله تعالىٰ بين عورة المرأة بالنسبة إلىٰ الأطفال غير المميِّزين الداخلين في الاستثناء، وبين عورتها بالنسبة إلىٰ الأجانب من الرجال الذين لا يشملهم الاستثناء قطعًا.

١٩- وحدود العورة ليست هي حدود الحِجاب، والعلماء الذين قالوا إن الوجه والكفَّين ليسا بعورة إنما يكون عند الكلام علىٰ شرط ستر العورة في أبواب صحة الصلاة.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب: « كيف لبس الثياب في الصلاة »: (وكل المرأة عورة إلا كفَّيها وجهها)، وعلىٰ المرأة أن تغطي في الصلاة كل جسدها ما عدا كفَّيها ووجهها [١].

• وذكر البيضاوي الفرق بين العورة في الصلاة وغيرها [٢].

• وقال الشيخ محمد عليش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « العورة من الحرَّة جميع بدنها سوىٰ وجهها وكفَّيها، وهذا بالنسبة للصلاة »[٣].

• وهكذا ذكر ابن قدامة، ومالك، والأوزاعي والشافعي: أن جميع المرأة عورة إلا وجهها وكفَّيها، وما سوىٰ ذلك يجب ستره في الصلاة[٤]. ولا خلاف بين المذاهب علىٰ ذلك.

• وعلىٰ هذا يحمل قول ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ **إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ وجهها وكفَّيها في الصلاة.

٢٠ـ الحِجاب طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وعبوديَّة له، وطاعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتَّبرُّج والسُّفور طاعة للشيطان أو هوَىٰ النفس، أو رياء وسمعة.

٢١ـ الحِجاب يمثِّل مصدرًا للغيظ والكمَد والحسرة وعضِّ الأنامل من الغيظ لكل من: الكافرين، والمنافقين، والفاسقين، ولكل أعداء الإسلام ورسالته.

---

(١) الأم (١/ ٧٧).
(٢) روح المعاني للألوسي (١٨/ ١٤١).
(٣) منح الجليل على مختصر العلامة خليل (١/ ١٣٣).
(٤) المغني (١/ ١٠١).

٢٢ـ والحِجاب مصدر لانشراح الصدر، والفخر والعزة الإيمانيَّة، والزهو والفرح لكل مسلم غيور صادق في رغبته لله ﷻ، وشوقًا إلى الدار الآخرة.

٢٣ـ الحِجاب عفَّة وطهارة وسلوك لرقيِّ النفس البشريَّة وخالفتها لهواها، وتميزها بالهويَّة الإسلاميَّة.

٢٤ـ الحِجاب تشبُّهٌ بالصالحات وأزواج نبينا أمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، والصحابيات الميمونات، واتِّباعهن في كل زمان ومكان.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ }**(١).

وأنت تدعو في كل صلاة: ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧** ﴾ [الفاتحة].

والمتبرِّجة بمن تتشبَّه، ومَن تُقلِّد، ومع أي فريق تُحبُّ أن تنتسب: مع الذين أنعم الله عليهم أو المغضوب عليهم والضالين؟ ومع من تحب أن تقف يوم ينادي المنادي: ﴿ **فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧** ﴾ [الشورى].

٢٥ـ هل الحِجاب هو عنوان الصلاح أم التَّبرُّج والسُّفور؟

هل يمكن أن يشار على المرأة المتبرِّجة بالصلاح والتقوى؟ نعم الحِجاب لا بُدَّ أن يتبعه عبادة ورغبة في الآخرة، وشوق إلى الله تعالى وأخلاق تتلاءم معه، وسلوك يرتقي به، والحِجاب هو الذي يشجِّع على ذلك، ويضبط السلوك

---

(١) أخرجه أبو داود ك: اللباس، ب: في لبس الشهرة، ح (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصحَّحه الألباني في سنن ابي داود (٣٣/٤)، وفي إرواء الغليل ج٥ رقم (١٢٦٩)، وصحيح الجامع رقم (٢٨٣١).

والأخلاق، ويُجدِّد الأماني والأهداف، ولكل شيء شارة وعلامة وزيٌّ. فلاعب الكرة له زيٌ يُعرف به، وكذلك الطبيب والمحامي والعسكري، حتىٰ أصحاب العقائد الأخرىٰ لهم زيٌّ ظاهر يتميَّزون به وشارات يُعرَفون بها. فلم تتنكرون لهذه الحقيقة وهي أن «الحِجاب زيُّ المرأة المسلمة وعنوانها» الذي تتميَّز به بين النساء في كل زمان ومكان، كما أنه راحة وسعادة وسلامة لأوليائها من الرجال، ودافعًا لهم علىٰ الغيرة المحمودة شرعًا، ودافعًا عنهم الدياثة وشرَّها.

ولا بُدَّ من الهدي الظاهر مع صلاح الباطن، فالله تعالىٰ عَذَّبَ أُممًا وأقوامًا بمخالفتهم في الأعمال الظاهرة، وذكرنا أن لكل شيء لُبابًا وقشورًا، وأن اللُّبَّ لا يحيا ولا يقوَىٰ إلا إذا قويت وتماسكت قِشرته، والتمَيُّز هو سِمة الإسلام العظمىٰ، وسِرُّ بقائه إلىٰ يوم الدِّين، والله تعالىٰ قد أمرنا بترك ظاهر الإثم وباطنه، ونهَىٰ عن الفواحش والكبائر، وكلها أعمال ظاهرة.

فالسرقة والزِّنا وشرب الخمر وقتل النفس وعقوق الوالدِّين والسحر والتولي يوم الزحف والكذب والغيبة والنميمة وقول الزور وأكل أموال الناس بالباطل والغشُّ والخيانة، ولعب القمار وشرب الدخان والمسكرات وتعاطي المخدِّرات وسائر السموم، وعلامات النفاق، والظلم، والتعرِّي، وتطفيف الميزان، والغلول في الغنيمة، والنظر إلىٰ المحرَّمات، وتعدِّي حدود الله تعالىٰ... كل ذلك أعمال ظاهرة، ومن أعمال الجوارح التىٰ يُعاقِب الله تعالىٰ ويُعذِّب عليها أصحابها، ومن أتىٰ بها، إلا أن يتوب ويُنيب إلىٰ الله تعالىٰ، ويقبل الله عَجَّلَ توبته ويغفر زلَّته، لأنه هو التواب الرحيم.

❁❁❁

وقفة
(حي على الأصالة)

• « إن تدهور الأخلاق في أمريكا راجع إلى ترك المرأة بيتها وانشغالها بالحياة العامة وإن عودة المرأة إلى «نظام الحريم»[1] هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الخُلقي الذي يسير فيه». **(د. إيدالين، باحثة أمريكية مشهورة)**

• « إن الطلائع الشابة الواعية ترقب فشل الأنظمة المستوردة من الشرق أو الغرب التي أدى تطبيقها إلى المزيد من الفشل والهوان، وأدركت أن هذا الفشل يرجع إلى بُعد الأمة عن طريقها، وانقطاع صلتها بالعقيدة والتراث » .

(د. مصطفى حلمي وكتاب: المخاطر التى تواجه الشباب المسلم وكيف نتوقاها؟)

• إذا كان المسلمون يلتمسون اليوم طريقًا للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة بفهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

• لا تأتي الأصالة بترقيع الشخصية، بل بالارتباط بالعقيدة التي هي حجر الزاوية في كيان هذه الأمة، وينبغي التمييز بين تقليد الشخصية في العقائد والتصورات وبين النتائج العلمية، فلا وطن للعلم ولا جنسية للاكتشافات والأبحاث الإنسانية في الميادين المختلفة .

---

(١) يقصد بنظام الحريم، حال المرأة المسلمة التى كان في بيتها أشبه بالحرم المقدس، لا تختلط بالرجال غير المحارم، ولا يختلطوا بهن .



السؤال الخامس والعشرون:

ما التدابير الشرعية لمنع وقوع الفواحش؟

الجواب: لعلنا لا ننسى أن العودة للحديث عن النقاب والحِجاب بهذه الصورة، إنما سببه هذه التوبة والعودة والأوبة من المسلمين إلى عقيدتهم وإسلامهم.

يقول د. محمد إسماعيل [(١)]: « وإذا بشباب في ريعان الصبا، وفتيات في عمر الورود من كل حدب وصوب ينضمون إلى ركب الإيمان، (ويركبون سفينة النجاة)، يحلمون بالعودة إلى كتاب الله وتحكيم شرعه ».

لقد تجاوبت الآفاق بأصداء دعائهم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ ﴾ [آل عمران:١٩٣].

حين ردَّدها شباب تركيا، وباكستان، وأفغانستان، ومصر، وجزيرة العرب، والشام، والمغرب والسودان، وسائر الديار الإسلاميَّة، بل في أعماق أوروبا وشرق آسيا وأمريكا وأستراليا، وراحوا ينهلون من كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد وجَّهوا قلوبهم ووجوههم من جديد ـ بعد حيرة واغتراب ـ شطر البيت الحرام، فأقاموا الدِّين، وحافظوا على الصلاة وشعائر الإسلام، وولَّوا ظهورهم (للْقُلَّيْسِ)[(٢)] قبلة الضرار التي أقامها «أبرهة» [(٣)] روسيا، «وأبرهة» أمريكا في «موسكو » و «واشنطن»، والتي قام على سدانتها، وتسير الوفود نحوها

(١) في كتابه عودة الحِجاب (٣/٧).

(٢) القليس: اسم الكنيسة التى بناها أبرهة الأشرم في اليمن وأراد أن يصرف اليها حج العرب بدلًا من الكعبة الشريفة.

(٣) أبرهة: أبرهة الأشرم ملك اليمن الذي قاد أصحاب الفيل لهدم الكعبة، فعاقبهم الله ﷻ.

« آباء رُغالٍ »[١] عصرنا.

لقد أذهلت العودة إلى الالتزام بالإسلام أعداء الإسلام والتي أخذت تقترب شيئًا فشيئًا من الموعد المرتقب الذي بشَّر به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: { **ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ** }[٢].

❁❁❁

إن ما فرضه الإسلام على المرأة هو من باب العناية الفائقة بها، والصيانة لها ولعفَّتها، ولتكون عزيزة الجانب، سامية المكانة، ولسدٍّ لذريعة الفساد، وأن لا تكون فتنة للرجال.

ولقد حذَّر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الفتنة في قوله ونصيحته للأمَّة: { **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ** }[٣].

« ولقد تنبَّأ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوقوع بعض نساء أُمَّته في هذه الفتنة، وجمع معها الحكام الظلمة الذين يستبدُّون بالناس، للدلالة على ارتباط الأمرين ارتباطًا وثيقًا، فكلما فسد الحكم وجار فسدت المرأة وتبرَّجت، وكلما كان الحكم عدلًا وحقًّا كانت المرأة صالحة محجَّبة ».

ولقد نبَّهنا الله عَزَّ وَجَلَّ إلى أن غاية الشيطان أن يُوقِع الفتنة بين الرجال والنساء،

---

(١) أبو رُغالٍ: هو الرجل الذي بعثته ثقيف (الطائف) مع أبرهة ليدله على طريق مكة لكي يهدم البيت الحرام، فلما أنزله بالمُغَمَّس (موضع قرب مكة في طريق الطائف) مات أبو رغال هنالك ودُفن فيها، وهو القبر الذي رجمته العرب، ورجمه الناس من بعدهم وقال فيه جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه ❊❊ كرجمكم لقبر أبي رُغال. انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٧١).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه.

فيسلك إلى تزيينها والإغراء بها مسلك التدرُّج والاستدراج، خطوات يقود بعضُها إلى بعض، أولها نظرة يتولَّد منها الإعجاب والميل والخطرات في القلب، يتبعها استدراج ولطف، فإذا قوِيت جعلها وسوسة حتى صارت شهوة، فتمَّ لقاء ثُمَّ لقاء، ثُمَّ فاحشة إن لم تتداركهما رحمة الله تعالى فتوقِظ همتهما وتحيي بصائرَهما، وتفيقهما من غفلتهما.

❁ ❁ ❁

• والإسلام يهدف إلى منع وقوع فاحشة الزِّنا: تعظيمًا لحرمات الله، وصيانة للأعراض، ومحافظة على العرض والنسل، وتطهيرًا للمجتمع من الرذيلة وأولاد الزِّنا.

• ولقد سلكت هذه الشريعة الغرَّاء مسلكًا وقائيًّا بسدِّ المنافذ المؤدِّية إلى الزِّنا، ثُمَّ بيَّنت الطرق المعينة على اجتنابه بفتح أبواب التعفُّف والحصانة وشقِّ الطرق الموصلة إلى ما أحلَّه الله تعالى.

خطورة الزِّنا: الزِّنا من أكبر الآثام، وأعظم الجرائم، ومن الكبائر التي تدنِّس النفس البشريَّة، وتحول بينها وبين سعادتها وكمالها.

ولقد حدَّ الشارع له أقصى عقوبة وأشنَعها، وهي الرجم بالحجارة حتى الموت للزاني المحصَن (المتزوِّج)، والجلد مئة جلدة وتغريب عام لغير المحصَن.

واستقبحته جميع المذاهب الإسلاميَّة والملل والنحل والرسالات والسماويَّة جميعًا، وجعله الله تعالى قرين الشرك والقتل في قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ**

وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان].

وحرَّمه الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢]، بل حرَّم مقدِّماته والسُّبُلَ الموصِلة إليه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾، ولم يقل (لا تزنوا).

• وفي الحديث:{ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ،.... }(١).

وبيَّن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المؤمن لا يزني، فلا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يَسرِق وهو مؤمن، بل إذا زنا العبد خرج من الإيمان، فكان على رأسه كالظُّلَّة، فإذا أقلع وتاب عاد إليه، وإلا رُفِع عنه بالكلية.

وظهور الزِّنا والرِّبا في قرية هو من أسباب حلول غضب الله وعذابه عليها.

• وفي المقابل كان التعفُّف عن الزِّنا من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المؤمنون].

وفي قصة «يوسف» الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبلغ دليل على فضيلة العفاف وحسن عاقبته.

• وفي حديث الظلال: {سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:..

---

(١) أخرجه البخاري ك: الكسوف، ب: الصدقة في الكسوف، ح (١٠٤٤)، ومسلم ك: الكسوف، ب: صلاة الكسوف، ح (٩٠١) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، ...}(١).

• وفي **حديث الغار**: قصة الثلاثة نفر الذين دخلوا إلى الغار فأطبقت عليهم الصخرة: وفيه أن ثالثهم توسَّل إلى الله بالتعفُّف عن الزِّنا من خشية الله فنجَوْا من الغار(٢).

• وفي **حديث المعراج** أن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى مثل التنُّور أعلاه ضيِّق وأسفله واسع، فيه لَغَطٌ وأصوات، وإذا برجال ونساء عُراة، يأتيهم اللهب من أسفل منهم، فيصيحون من شدَّةِ حرِّه، فلما سأل جبريل قال له: هؤلاء هم الزُّناة والزَّواني(٣).

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ النَّارَ، فَقَالَ: { **الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ** }(٤).

وكل ما سبق من أحاديث صحيحة صريحة هي في بيان عقوبة الزِّنا وأثرها، وأنه ما هو إلا لذَّة ساعة ربما أورثت ذُلَّ العمر كله.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري ك: الزكاة، ب: الصدقة باليمين، ح (١٠٤٤)، ومسلم ك: الزكاة، ب: فضل إخفاء الصدقة، ح (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري ك: الأدب، ب: إجابة دعاء مَن برَّ والديه، ح (٥٩٧٤)، ومسلم ك: الرقاق، ب: قصة أصحاب الغار الثلاثة، ح (٢٧٤٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري ك: الجنائز، ب: ما قيل في أولاد المشركين، (١٣٨٦) عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٧٩٠٧)، وابن ماجه، ح (٤٢٤٦)، والترمذي، ح (٢٠٠٤)، وقال: صحيح غريب.

- **ومن مفاسد الزِّنا وعواقبه الوخيمة:**

أنه يُورِث عمَى القلب، ويطمس نور الوجه، وصاحبه يظل يحقِر نفسه ويقمعها، لأنه لا يرضاه لأمِّه ولا لأخته ولا لبنته ولا لزوجه، ويُسقِط كرامة الإنسان عند الله تعالى وعند خلقه، ويضعف تعظيم الرب تعالى في القلب، ويُسبِّب الفقر والمرض ومقت الناس، ويجلِب لهم الحزن والخوف، ويباعد عن صاحبه الملائكة، وتقترب منه الشياطين، وتصحبه صحبة السوء، وعار عليه وفضيحة في الدنيا والآخرة إن لم يتب الله عليه ويتب هو منه، وسبب من أسباب إقامة الحدِّ عليه بأشنع العقوبات بلا رأفة من عباد الله المؤمنين على الملأ منهم، كما أنه يهدِم البيوت الآمنة المستقرَّة، وقد يحرِمُه من الزواج الحلال الطيب، كما أنه يخرص البلاغة والشجاعة في النفس، ويهوِي بالعزيز إلى هاوية الذلِّ والخيبة والحقُّارة، كما أنه نَزْعٌ لثوب الحياء عنه، ويستبدل به ثوب الخمول وعدم الاحترام، وهو العار الذي يطول عمره، فقاتله الله من ذنب، وقاتل فاعليه.

- كما أنه مفسدة مناقضة لصلاح المجتمع، فالمرأة إذا زنت أدخلت العارَ على أهلها، ونكَّست رؤوسهم بين الناس، وإن حملت من الزِّنا قد تقتل ولدَها فتجمع بين الزِّنا والقتل، وإن أبقته أدخلت على أهلها أجنبيًّا ليس منهم، أما زنا الرجل فيوجب اختلاط الأنساب، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والبوار، ويعرِّضه لأمراض كثيرة: كالزُّهْريِّ والسَّيْلان والإيدز وغيرها.

ولقد حرم الله تعالى نكاح الزاني والزانية، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].

❀❀❀

▪ سبل الوقاية من الزِّنا:

• تتمثَّل السُّبُل الأساسيَّة للوقاية من هذه الفاحشة في: التربية الإيمانيَّة السليمة، والتوجيه الواعي، ولزوم الصحبة الصَّالحة، والتواجد في البيئة الإيمانيَّة، وتجنُّب صحبة الفاسقين، مع الحرص على اتِّباع وسائل الإسلام التالية، فقد:

١ـ حرَّم الإسلام الزواج ممن وقع في الزِّنا إذا لم يتب **(سورة النور آية: ٣)**.

٢ـ حرَّم البَذاء، والفُحش في القول والفعل.

٣ـ حرَّم قذف المؤمن أو المؤمنة بالفاحشة، وأقام على المتكلِّم بهذا حدَّ القذف ثمانين جلدة إن لم يأت بأربعة شهداء **(سورة النور آية: ٤.٥)**.

٤ـ حرَّم حبَّ إشاعة الفاحشة في البلاد وبين العباد بشتَّى الوسائل، فكيف بمن يسعى في إشاعتها فعلًا؟! **(سورة النور آية: ٢٠)**.

٥ـ حَظَرَ على المسلم أن يغيب عن زوجته مدَّة طويلة بغير رضاها، وشرع حكم الإيلاء بمدة أقصاها أربعة أشهر **(سورة البقرة آية: ٢٢٧)**.

٦ـ حَرَّم الدخول على الْمُغِيبَاتِ الذين غاب عنهم الأزواج بدون محرم.

٧ـ فرض الحِجاب على النساء، وجعل المرأة راعية في بيت زوجها.

٨ـ حرَّم على النساء التَّبرُّج وإظهار الزينة والتجمُّل للفت نظر الأجانب **(سورة الأحزاب آية: ٣٣)**.

٩ـ شرع آداب الاستئذان عند الدخول إلى البيوت **(سورة النور آية: ٢٧– ٢٨)**.

١٠ـ أمر بغضِّ البصر وحفظ الفرج إلا على الأزواج أو ملك اليمين **(سورة النور آية: ٣٠ – ٣١)**.

١١ـ حرَّم مصافحة المرأة الأجنبيَّة وهي التي من غير المحارم.

١٢ـ حرَّم الخلوة بالنساء (في المكان أو في الحديث) في غير وجود محرم، وهذه من أعظم الذرائع وأقرب الطرق إلىٰ اقتراب الفاحشة الكبرىٰ.

فالخلوة مدرجة الهلاك، وداعية الإثم واالفجور، كيف لا والشيطان ثالثهما.

١٣ـ حَرَّمَ سفر المرأة بدون محرم، وذلك لأن المرأة مظنَّة الطَّمع ومظنَّة الشَّهوة، وقد يجتمع في الأسفار السُّفَهاء، والسَّاقطون الفُجَّار، والمرأة تكون أضعف ما تكون وهي بعيدة عن أقاربها ومحارمها، وقد تحتاج إلىٰ مساعدة ومساندة.

١٤ـ حَرَّمَ خروج المرأة متطيِّبة متعطِّرة، فالطِّيب من وسائل الألفة وألطف وسائل لفت النظر والمراسلة.

١٥ـ حرَّمَ الخضوع بالقول، واللين والتمايع في اللسان.

١٦ـ حَرَّمَ الاختلاط بين الرجال والنساء، لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة حتىٰ في دور العبادة في صلاة الجماعة والجمع والأعياد والحج والجهاد والتعليم، مع الأمر بالتفريق بين الأولاد في المضاجع.

١٧ـ أمَرَ بالحياء وجعله قرين الإيمان، وتزيد المرأة عن الرجل في ذلك بحياء الأنوثة وهو سِرُّ جاذبيَّة الرجل إليها، والتي تفقده رويدًا رويدًا بالتفريط، وبالإفراط في الخلوة والمصافحة والحديث والخروج وعدم غضِّ البصر، وما شابه ذلك.

١٨ـ رغَّب في النكاح والزواج، ونهىٰ عن التبتُّل والرهبانيَّة.

١٩ـ شجَّع علىٰ الصيام للشباب ذكورًا وإناثًا إن لم يجدوا الفرصة والمؤنة علىٰ الزواج.

٢٠ـ حذَّر من إهمال وإغفال نعمتين عظيمتين هما الصحة والفراغ، لأن التفريط فيهما يؤدِّي إلى التفكير فيما لا يحمد عقباه، وأمر بحسن استغلالهما في المفيد والنافع، وقضاء الوقت فيما يعود عليه بالنفع والثمرات المباركات، وإنفاق الصحة في عمل مثمِر أو رياضة نافعة أو عمل تطوعِيٍّ، وأن تكون أوقات الفراغ عبادة (بأن يكون صمتي فكرًا ونطقي عبرًا).

فهذه خطوات مباركة مما دعا الإسلام إليه لحفظ وصون العرض، وحماية الصحة والأبدان، وإشاعة العفاف والطهر والصلاح والاستقامة في المجتمع المسلم.

هذا بجانب فرضية الحجاب للمرأة المسلمة.



وقفة
(الحصاد المُر)

« انظر إلى هذا التبرُّج الجاهليِّ الكبير، حيث امتلأت دور الحكومة والجامعات بالمتبرِّجات، وازدحمت بهن المسارح ودور السينما والمسابح والمصايف، وانتشر الخبث وعمَّ الفساد، وإذا الغَيْرَة كالمؤودة في قلوب الرجال، ونفثت شياطين الجنِّ والإنس سمومها في كل مكان، عبر السينما، والتلفزيون، والمسارح، وإذا بالزِّنا يحميه قانون، وإذا بأهل الفنِّ تُقام لهم الأعياد والحفلات، وتُهدَى لهم الجوائز. فأذلت المرأة المسلمة نفسها لما اتَّبعت الذين حرَّضوها ضدَّ فطرتها، وشجَّعوها بالتمرُّد على دينها فسلخوها منه، وأبعدوها عن ربِّها، وألقوا بها في متاهات الحياة لتقاسي شظف العيش ومكاره المحن.

وصارت دور الأيتام مليئة باللُّقطاء «أطفال الزنا» وفقدت المرأة التي يُلوِّح لها أنصارها بسعادة التحرير والتطوُّر والطمأنينة وراحة البال، فابتذلت وأُهينت على يد أصدقائها وأنصارها، وكان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون، ولم تعد - كما كانت - تتمتع باحترام الآباء والأزواج، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والاحترام والتعظيم . إنما أصبحت في نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة - أيًّا كانت - تُدِرُّ عليها جنيهات معدودة، تنفق أكثرها في المواصلات والزيِّ والمساحيق .

خلعت المرأة حجابها، وغادرت حصنها، وعَصَتْ ربَّها، فهل حصدنا حقًّا التقدُّم والرخاء والحضارة؟! خالطت الرجال، واختلط الحابل بالنابل، فهل زالت العُقد النفسيَّة أم زادت؟

فتحنا بلادنا أمام الثقافات المستوردة، وسُلِّطَت علينا سموم الشُّبُهات وسهام الشَّهوات. فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا ؟!



السؤال السادس والعشرون: فيم تتمثل حرية المرأة: في حجابها أم في تبرجها وسفورها؟

الجواب: نقول: - وبالله التوفيق -:

قال تعالىٰ: ﴿ **أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴿٣٦﴾ ﴾[القيامة]، والسُّدَىٰ: الذي لا يُؤمَر ولا يُنهَىٰ (أي لا يُكلَّف).

وقال تعالىٰ:﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون]، والعبث: هو الإنسان غير المسؤول.

وهذه هي الأمانة التي حُمِّلَها الإنسان في قوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

والأمانة التي حُمِّلها الإنسان هي: التكاليف الشرعيَّة (المسؤوليَّة) لذلك فهو حُرٌّ أن يحفظها ويرعاها، فيدخل الجنة، أو يضيِّعها ويُهمل فيها فيدخل النار.

لذلك لما كان الحِجاب طاعة لله ﷻ، وطاعة لرسوله ﷺ إذن هو: من التكاليف والأمانة.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا** ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

فالمرأة المحجَّبة هي المرأة الحُرَّة الكريمة العفيفة، والمرأة المتبَرِّجة هي المرأة المتحرِّرة من عبوديتها وطاعتها لله ﷻ إلىٰ عبوديَّة الهوَىٰ وطاعة الشيطان (نعوذ بالله منهما).

إذن: فليس التَّبرُّج حريَّة إنما هو إباحيَّة واتِّباع للهوَىٰ، ورفض للوحي والهدَىٰ، **بينما الحِجاب هو الحريَّة على الحقيقة؛ لأنه:**

١- متوافق مع الوحي (أي الشرع): وهو النور الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخير كل الخير في اتِّباع الوحي والهدىٰ، المتوافق مع مراد الله تعالىٰ منَّا، فهو سبيل مرضاته ورضاه ورحماته ومغفرته.

٢- الحِجاب متوافق مع العقل الرشيد: فمن المستحيل أن يقول عاقل إن التَّبرُّج والسُّفور دين وتديُّن وهداية وصلاح، لكن العكس هو الصحيح.

٣- الحِجاب متوافق مع الفطرة: التي فطر الله تعالىٰ الناس عليها، ولذلك فهو مأمور به في جميع الرسالات السماويَّة، ونزلت به جميع الكتب من عند الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿**فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

٤- الحِجاب متوافق مع تحمُّل الأمانة التي عرضها الله تعالىٰ علىٰ السموات والأرض والجبال، وهذه الأمانة هي: الطاعة بالتكاليف الشرعيَّة، والحِجاب من هذه التكاليف التي ثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأمَّة كلها، وعليه اتفقت كلمة العلماء في كل زمان ومكان، ولم يشذَّ عنهم أحد.

٥- الحِجاب متوافق مع الواقع، فمصلحة المرأة تقتضي ستر نفسها، وعدم عرض مفاتنها، لأنها تَعي وتعلم أن كل معروض مُهان، وكل غالٍ ونفيس مُصان.

٦- الحِجاب متوافق مع التمَيُّز، هذا التميُّز هو أساس هذا الدِّين وعنوانه الرئيس، قال تعالىٰ: ﴿**مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ**

ﭐلطَّيِّبِۗ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ ﴾ [القلم]. وقال تعالىٰ: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١ ﴾ [الجاثيَّة].

فمن المستحيل أن يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالذين اجترحوا السيِّئات، سواء في طريقة الحياة وحتىٰ المات.

والله ﷻ إنما أنزل القرآن وأرسل الرسول بالأوامر والنواهي؛ لكي نتغيَّر وفق مراده سبحانه ثُمَّ نتميَّز بهذا التغيُّر، فالحِجاب يميِّز لباس المسلمات عن لباس الكافرات والفاسقات، ومن تشبه بقوم فهو منهم وحُشِر معهم.

٧- الحِجاب متوافق مع العفَّة: والعِفَّة كما قال ابن منظور: **العفَّة:** الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلّ ويَجْمُلُ. عَفَّ عَنِ المَحارِم والأَطْماع الدَّنِية يَعِفُّ عفَّة وعَفًّا وعَفافًا وعَفافة، فَهُوَ عَفِيفٌ وعَفٌّ، أَي كَفَّ وتَعَفَّفَ واسْتَعْفَفَ وأَعفَّه اللهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ [النور:٣٣]، فسَّره ثَعْلَبٌ فَقَالَ: لِيَضْبِطْ نَفْسَهُ بِمِثْلِ الصَّوْمِ فَإِنَّهُ وِجاء. وَفِي الْحَدِيثِ: { **وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ** }(١).

والاسْتِعْفاف: طَلَبُ العَفَافِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ، ... وَقِيلَ: الاسْتِعْفَاف الصبْر والنَّزاهة عَنِ الشَّيْءِ(٢).

فالعِفَّة خُلق إيماني رفيع، وزينةٌ للرجل المسلم، والمرأة المسلمة في الدنيا

---

(١) أخرجه البخاري، ح (١٤٢٧)، ومسلم، ح (١٠٥٣).
(٢) لسان العرب (٥/٣٠١٥).

والآخرة، فهما يحفظان بالعفَّة إيمانهما، ويضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضى ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، ويحفظان به شبابهما وصحتهما.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ « إن للعفَّة لذَّة أعظم من لذَّة قضاء الوطَر لكنها لذَّة يتقدَّمها ألم حبس النفس ثُمَّ تعقبُها اللَّذَّة ».

والحِجاب الشرعي هو المتوافق مع العفَّة والعِزَّة بلا خلاف ولا منازع.

وفي حديث هرقل قول أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: { **وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ** }(١)، وكان من دعائه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى** }(٢).

والعِفَّة صفة من صفات الحور العين في الجنة، قال تعالى: ﴿**وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ** ﴿٤٨﴾﴾ [الصافات]. و ﴿**قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ**﴾: يعني أنهنَّ عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن، ﴿**عِينٌ**﴾ أي حِسان الأعين، جميلات المظهر، عفيفات تقيَّات نقيَّات.

- فانظر كيف جعل الله عَزَّوَجَلَّ عفَّتهن قرينة حجابهنَّ وقرارهنَّ في خيامهنَّ، وامتدحهنَّ بالعفَّة مع الجمال، وسبحان الله! فجمال المرأة في عفَّتها وحيائها بحجابها، فكيف إذا انضاف إليها الجمال الحسيِّ.

- وجعل الله سبحانه العفَّة شرطًا في إباحة الزواج من المرأة الكتابيَّة (محصَنات) أي: عفائف.

---

(١) أخرجه البخاري ك: بدء الوحي، ح (٧) من حديث أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم ك: الذكر والدعاء، ب: التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يُعمل، ح (٢٧٢١) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

• وربط الله تعالىٰ بين العفَّة والحِجاب في قوله تعالىٰ للقواعد من النساء.. ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ﴾ [النور]، أي: باستبقاء الجلاليب، فحرَّض القواعد العجائز علىٰ الاستعفاف بالتحجُّب والتستُّر بالثياب.

٨ـ الحِجاب متوافق مع السِّتر: عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **{ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ }**(١).

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي }**(٢).

• وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أيما امرأة أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا، خَرَقَ(٣) اللهُ عَنْهَا سِتْرًا }**(٤).

• وحديث المرأة السوداء التي كانت تُصرَع علىٰ عهد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دليل علىٰ حرصِها علىٰ السِّتْرِ حتىٰ في حالة العذر (المرض وهو الصرع).

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ:

---

(١) أخرجه أبو داود ك: الحمام، ب: النهي عن التعرِّي، (٤٠١٢)، والنسائي، (٤٠٦)، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٤٧٨٥)، وابن ماجه ك: الدعاء، ب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، ح (٣٨٧١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب: الخرق: الفرجة، وجمعه خُروق، خرقه يخرقه خرقًا وخرَّقه واخترَقْه فتخرَّق وانخرقَ واخْرَوْرَق، يكون ذلك في الثوب وغيره. التهذيب: الخرق الشَّقُّ في الحائط والثوب ونحوه. يقال: في ثوبه خرق وهو في الأصل مصدر. وخَرَقْت الثوب إذا شققْته. ويقال للرجال المُتمزِّق الثياب: مُنْخَرِق السِّرْبال.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٥٦٩) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: { **إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَّ أَنْ يُعَافِيَكِ** }. **فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَّ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا** }(١).

فأين يقع التَّبرُّج في هذا الخلق العظيم، «خلق السِّتْرِ» لا شكَّ ولا ريب أنه لا يقدر على هذا الخلق وتلك الطبيعة إلا المؤمنة المحجَّبة صاحبة الفطرة السليمة الرشيدة.

٩ـ الحِجاب متوافق مع الإيمان: وصفة الإيمان ومسمَّاه هو أعزُّ لقَبٍ ينتمي إليه المسلم والمسلمة، حيث يشعر بنداءات الرحمن المتكرِّرة له ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ** ﴾.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦** ﴾ [الأحزاب].

﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ** ﴾ **[النور:٥١]**.

فمقتضىٰ الإيمان بالله الإذعان والتسليم لأمر الله تعالىٰ وقضائه، وألا يختار من هواه أو عقله أمرًا آخر غيره، فهذه معصية واضحة وضلال بيِّنٌ فاضح، وقد قال تعالىٰ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ** ﴾ **[الأحزاب:٥٩]**.

ومن هذا يتبيَّن أن التَّبرُّج والسُّفور اتِّباع للهوىٰ، واختيار أمر علىٰ أمر الله ورسوله، وهو بذلك معصية وضلال مبين.

---

(١) أخرجه البخاري ك: المرضى، ب: فضل من يصرع من الريح، ح (٥٦٥٢)، ومسلم ك: البر والصلة والآداب، ب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض..، ح (٢٥٧٦).

وأي تدخل للعقل في الشرع ومع النص؟!

إن الله تعالىٰ ترك للعقل مجالًا فسيحًا رحبًا واسعًا فيما حوله من الطبيعة وعلومها يبحث ويفكِّر ويستنتج ويلاحظ، ويُبدي آراءه وفق منهج علمي صحيح.

أما مجال ما وراء الطبيعة فليس للعقل دخل فيه من: (الغيب، والتشريع والأحكام والأخلاق)، فهي إخبار من الله تعالىٰ العليم الخبير: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. ولا مجال للعقل فيها إلا عن طريق الوحي، والعقل لا يُدرِك مصلحته فيها إلا من خلال الوحي الصحيح (١).

١٠- الحِجاب متوافق مع الحياء: والحياء مشتقٌّ من الحياة، والغيث يسمىٰ «حيا» لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، فمن لا حياء فيه فهو ميِّتٌ في الدنيا شقيٌّ في الآخرة.

والحياء: خلقٌ يَبْعَث علىٰ ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحقِّ، فهو أقوىٰ البواعث علىٰ الفضائل وارتياد معالي الأمور، وهو من أبرز الصفات التي تنأىٰ بالمسلم عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط إلىٰ سوء الأخلاق وصغائر الذنوب.

• والحياء لا يأتي إلا بخير، وهو خيرٌ كله، وهو خُلق الإسلام، وهو من شريعة جميع الأنبياء والرسل لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ** }(٢).

---

(١) **راجع كتاب: القياس العقلي للمؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **أخرجه البخاري ك: الأدب، ب: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، ح (٦١٢٠) من حديث أبي مسعود الأنصاري عقبة بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والحياء على نوعين: -

الأول: فطري جُبِلت عليه النفوس البشريَّة السويَّة كحياء الإنسان من كشف عورته بين الناس.

الثاني: إيماني يكتسبه المسلم كلما ازداد إيمانه واقترب من رَبِّه جَلَّ وعلا بالسجود والذكر وسائر العبادات ﴿**وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب** ﴿١٩﴾﴾ [**العلق**]. وهو بذلك خلق يمنع المؤمن من ارتكاب المعاصي خوفًا وحياءًا من نظر الله تعالىٰ إليه، وهو بذلك أم الفضائل كلها.

وزوال الحياء عند المسلم نذير بزوال الإيمان، ووقوع المسلم فيما لا يُحمد عقباه من العواقب الوخيمة، وفي الحديث: { **الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ** }(١).

وفي حديث شُعَبِ الإيمان قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** }(٢).

والحياء من أخلاق النبوة، فقد كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديد الحياء، وهو المثل الأعلىٰ والأسوة والقدوة لنا جميعًا.

- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: { **كَانَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ** }(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم ك: الإيمان، (١/٢٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، فَقَدِ احْتَجَّا بِرُوَاتِهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ.

(٢) أخرجه البخاري ك: الإيمان، ب: أمور الإيمان، (٩)، ومسلم ك: الإيمان، ب: شعب الإيمان، (٣٥).

(٣) أخرجه البخاري ك: الأدب، ب: من لم يواجه الناس بالعتاب، ح (٦١٠٢)، ومسلم ك: الفضائل، ب: كثرة حيائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٢٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولا شكَّ أن الحِجاب للمسلمة أفضل حارس لحيائها، ولن تتجمَّل وتتزيَّن المرأة بأفضل من زينة الحياء.

• ولقد برز الحياء وأثره في التربية في قصة ابنتي الرجل الصالح، اللتين سقى لهما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيره هذه الآية: أي: « وَاضِعَةً ثَوْبَهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا»، ثم قال: «فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ مِنَ النِّسَاءِ لَا خَرَّاجَةٌ، وَلَا وَلَّاجَةٌ...» (١).

وعند البغوي في معالم التنزيل: «قَالَ عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ مِنَ النِّسَاءِ خَرَّاجَةً وَلَّاجَةً، وَلَكِنْ جَاءَتْ مُسْتَتِرَةً قَدْ وَضَعَتْ كُمَّ دِرْعِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا اسْتِحْيَاءً»(٢).

قال الخطابي: « ويقال: رجل سلفع وامرأة سلفع بغير هاء وإنما أراد الوقحة من النساء الجريئة على الرجال »(٣).

وفي حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:«شرُّ النساء السَّلْفَعة» (٤) وهي الجريئة على الرجال.

• وفي حديث أم سلمة بيان ارتباط الحياء بغطاء الوجه: قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ك: الفضائل، ب: ما ذكر في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الفضل، (١٦/ح ٣٢٥٠٣).
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥٣٠).
(٣) غريب الحديث للخطابي (٢/ ٤٦٨).
(٤) أخرجه الحربي في غريب الحديث ب: (وقع) (١/ ٥٤).

رَسُولِ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ اللهَّ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **إِذَا رَأَتِ المَاءَ** } فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: { **نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا** }(١).

• إن مسارعة آدم وحواء إلى ستر عورتيهما بأوراق الجنة لَمَّا أكلا من الشجرة، وبدت عوراتهما، دليل على أن الحياء عنصر أصيل في فطرة الإنسان منذ خُلِق آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

• فالتجرُّد من خلق الحياء مدرجة للهلاك، وخلع لخلق الإسلام؛ فيجترىء صاحبه على المخالفات.

• والحياء من لباس التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ**﴾ **[الأعراف:٢٦]**. فالحياء حصن حصين للمرأة ضدَّ الشيطان، وللرجل كذلك، فمن تمسك بهذا الخلق ودخل هذا الحصن فقد أغلق في وجه بابًا منيعًا حماه من شرٍّ عظيم.

والتقوى إنما تتحقق: بحياء من الله تعالى يمنع العبد من ارتكاب المعاصي، وبخوف من مقام الله عَزَّوَجَلَّ يحجبه عن ظلم الناس.

قال الشاعر:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي * ولم تستحْيِ فاصنع ما تشاء**

فلا واللهِ ما في العيش خيرٌ * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء**

---

(١) أخرجه البخاري ك: العلم، ب: الحياة في العلم، ح (١٣٠)، ومسلم ك: الحيض، ب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ح (٣١٣).

١١- والحِجاب متوافق مع الغَيْرَة: هذه الغَيْرَة من الإيمان، وهي صفة من صفات الله ﷻ الذي يغار على عبده عندما يأتي ما حَرَّمَ الله عليه.

• عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَغَيْرَة اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ }**(١).

• وهذا ما يميَّز به الإسلام بين المؤمن وغيره، يحمَرُّ وجهُه خجلًا، ويرتجِفُ قلبُه، وتتحرَّك كوامن الإيمان فيه عندما يرىٰ أو يشاهد أو يأتي شيئًا مما حرَّمه الله تعالىٰ عليه.

• والغَيْرَة هي أن يحمي الرجل زوجته ومحارمه من قرابته من دخول الرجال الأجانب عليهنَّ، أو خروجهنَّ إليهم غير محجبات عند الحاجة، أو نظرهم إليهنَّ والحديث معهنَّ.

• والغَيْرَة خُلُقٌ من أخلاق أهل الإيمان، وأصحاب المروءة والرجولة، ويُقابلها: **الدَّيُّوث** وهو: الذي لا يَغار علىٰ أهله، ولا علىٰ أهل بيته.

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ - الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ -، وَالدَّيُّوثُ }**(٢).

• والغَيْرَة علىٰ النساء من طبع صاحب الفطرة السليمة، فهي طبيعة في النفس البشريَّة الحرَّة الكريمة الصافية النقيَّة، وربما قامت الحروب غَيْرَة علىٰ المرأة، وحميَّة لشرفها، واستجابة لاستغاثتها واستنجادها.

فلقد تدافع أشراف العرب في حروب الفِجار في سوق عكاظ من أجل امرأة

(١) أخرجه البخاري ك: النكاح، ب: الغَيْرَة، ح (٥٢٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦١٨٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» رقم (٤)، ص (١٤٦).

طلبوا منها كشف وجهها فأبت فسخروا منها، فنادت: يا آل عامر! فلبَّت سيوف بني عامر، ووقف بنو كنانة يدرأون عن فتيانهم، وهاجت هوازن لعامر، واغتمرت قريش في كنانة، وتفجَّرت الدِّماء، لولا حكمةٌ بدرَت من « حرب بن أميَّة » حين وقف بين القوم فحسم الموقف واحتمل ديات القتلى.

وانظر إلى غَيْرَة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أشار على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحَجْبِ نسائه، فوافقه القرآن. قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « يَا رَسُولَ الله، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِالحِجاب، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الحِجاب »(١).

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ قَالَ: { **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا** }، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله »(٢) أي والمعنى: كيف أغار على دخولك قصرًا أنت السبب في حصوله لي؟ بل وأنت أولى المؤمنين من أنفسهم.

• ومن لا غَيْرَة له لا إيمان له، عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: { **أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** }(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ح (٤٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح (٣٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري ك: التوحيد، ب: قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لا شخص أغير من الله}، ح (٧١٤٦)، ومسلم: الطلاق، ب: انقضاء عدة المرأة المتوفى عنها زوجها..، ح (١٤٩٩).

• فالغَيْرَة على النساء حياطة للشرف، وصيانة للعرض، وهي دليل على المحبَّة، وأنَفَة أن يشاركه في محبوبه الحلال غيره.

• عَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَوْ تَغَارُونَ؟ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجْنَ فِي الْأَسْوَاقِ يُزَاحِمْنَ الْعُلُوجَ»(١).

والعُلُوج: جمع عِلْج، وهو الرجل من كفار العجم أو الضخم القويُّ.

• ويحكي لنا الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في حوادث سنة ٢٨٦هـ أَنَّ امْرَأَةً تَقَدَّمَتْ إِلَى قَاضِي الرَّيِّ فَادَّعَتْ على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فَجَاءَتْ بِبَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لَهَا بِهِ، فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تُسْفِرَ لَنَا عَنْ وَجْهِهَا حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهَا الزَّوْجَةُ أَمْ لَا، فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ قَالَ الزَّوْجُ: لَا تَفْعَلُوا هِيَ صَادِقَةٌ فِيمَا تَدَّعِيهِ، فَأَقَرَّ بِمَا ادَّعَتْ لِيَصُونَ زَوْجَتَهُ عن النَّظَرِ إلى وجهِها.

فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقرَّ ليصون وجهها عن النظر: هو فِي حِلٍّ مِنْ صَدَاقِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخرة(٢).

• وفي القرن السابع الهجري احتل الصليبيُّون جزءًا كبيرًا من بلاد المسلمين حتى أوشكوا أن يحتلُّوا مصر، وفكَّر حاكم مصر الفاطمي «العاضد لدين الله» أن يستعين بوالي الشام «نور الدِّين زنكي»، ولكن كيف ووالي الشام لا يعترف بالخليفة الفاطمي في مصر، ولا يؤمن بشرعيَّة خلافته، وبين الخلافة العباسيَّة والفاطميَّة أشدُّ الخصام، لكنه وجد الحَلَّ بواسطة المرأة والغَيْرَة على كرامتها:

---

(١) أخرجه أحمد (١١١٨) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا.
(٢) البداية والنهاية (١١/٩٣).

فأرسل العاضدُ إلى «نور الدِّين زنكي» رسالة استنجاد أرفق معها خصلة من شعور نساء بيت خلافته في القاهرة، فسَرَتِ الحميَّةُ والنخوةُ في جند الشام وأهله، وبذلوا وسارعوا لإنقاد مصر من الصليبيِّين بقيادة: أسد الدِّين شيركوه، ويوسف ابن أيوب «صلاح الدِّين الأيوبي»، حتى كان يوم حِطِّين الذي غسَل الأرض المقدَّسة من العار، وطُرِدَتْ جحافل الصليبيِّين، ورحلوا عنها.

إنها حياة الغَيْرَة التي يحياها المجتمع المسلم والتي يَسمو بها فوق البشر رفعة، ويرتقي بها أعلى المنازل فضلًا وطُهرًا، يقابلها في المجتمعات الكافرة حياة الدياثة والخباثة والقذارة والحقَّارة والنجاسة والذلة والمهانة.

فالغَيْرَة على النساء رمز الإسلام الصحيح، ومن فقدها من أبناء المسلمين إنما فقدها بعد اندماجه وتقليده لأمم لا تغار على نسائهم. إن هؤلاء الكفرة لم يقدِّسوا العفَّة بل يحاربونها بمختلف الأساليب. ومن محاسن الإسلام أن أودع في قلب المسلم الغَيْرَة على نسائه، حتى جعل بدن المرأة الحرَّة عورة بالنسبة للآخرين، فلا يَحِلُّ لها كشفه، ولا النظر إليه؛ لذلك كُنَّ نساء الإسلام مصوناتٍ في بيوتهنَّ، سيدات على غيرهنَّ.

• والحِجاب والغَيْرَة المحمودة متلازمان، والتَّبرُّج والاختلاط والخلوة المحرمة وكل فتنة بالمرأة إنما تنتج عن عدم الغَيْرَة.

ولو أُسْدِل الحِجاب على وجه المرأة لخَمَدت الفتنة من أصلها، ولمُنِعَت النظرة المحرَّمة (زنا العين)، ولا يرضى مسلم عاقل ولا يسمح بتلك النظرة المحرَّمة إلى نسائه وبناته وأخواته.

١٢ـ والحِجاب متوافق مع سبيل المؤمنين وصراطهم المستقيم إلىٰ جنة ربِّ العالمين، قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء].

ومتوافق مع الهدىٰ الذي جاء به الرسول الأمين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واهتدىٰ به وسار عليه أهل الإيمان من الصحابة أصحاب الرضوان من المهاجرين والأنصار (سبيل المؤمنين) فلم يكن وقت نزول هذه الآية مؤمنون غيرهم، والحِجاب والستر والوقار والعفَّة من هذا الهدىٰ.

لذلك أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أن ندعوَ في كل يوم سبع عشرة مرة في كل ركعة من صلاة الفريضة: ﴿ **ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧** ﴾ **[الفاتحة].**

ولا يشكُّ أحد أن الحِجاب هو من الهداية إلىٰ صراط الله المستقيم، وأنه مخالف لما عليه سبيل وطريق الذين غضب الله عليهم وضلُّوا فغيَّروا وبدَّلوا وأنكروا وحرَّفوا تعاليم الله تعالىٰ لهم.



وقفة
(مأزق الحضارة المادية)

• الاختلاف في الرأي، والصراع حسب الأطماع وإشباع الرغبات.

• الظلم: نتيجة أن بعض الناس يريدون أن يستأثروا بأكبر قدر من متاع الدنيا، وأن يضعوا من التشريعات ما يخدم مصالحهم .

• الضياع: فمن لا يعرف حكمة خلقه هو في نفسه أتفه من قصاصة الورق التي يقذفها الهواء .

• الانهيار الأخلاقي والاجتماعي: وهذه سمة لازمة للحضارة المادية المعاصرة، وذلك لأن قوة الشهوة لا يوقفها إلا قوة الإيمان بالله تعالىٰ، وقانون الشريعة الذي لا يسير مع الهوَىٰ، ولا يسمح بالتردِّي في الهاوية .

•القلق والضيق: أينما ذهبت تجد الانتحار، والإدمان، والرافضين للواقع، والأمراض النفسية .

• الاختلال التشريعي: فالإنسان الذي لا يعرف الحكمة من خلقه كيف يُشرع لنفسه التي يجهل حقائقها؟! والإنسان لا يملك من نفسه أو مما ينتفع به شيئًا فكيف يشرع لما لا يملك؟!، والإنسان مملوء بالشهوات والأهواء والأطماع فكيف يُشرع من مُلِئَ شهوة وأهواء وأطماعًا؟!

ولا مخرج للبشرية من هذا الاختلال في أمر التشريع إلا بتلقي الشريعة من الخالق سبحانه الذي يعلم بدخائل النفوس، ويملك كل شيء في الوجود، ويتحلَّىٰ بأوصاف الكمال والجلال سبحانه، ولا ينحاز لفئة من الناس في أحكامه بغير حق، ولا يُقِرُّ انحرافًا أو إجرامًا .

❁❁❁

السؤال السابع والعشرون:

ما هو خطر التبرج والسفور على المجتمع الإسلامي؟

من حقِّ كل امرأة مسلمة أن تعيش آمنة مطمئنَّة علىٰ زوجها وأولادها، وأن تؤمِّن نفسها من أن تكون فتنة، وأن تحصِّنهم مما تُسبِّبه المرأة غير الصالحة، والمتبَرِّجة من إغراء وغواية وخضوع بالقول، وضرب بالأرجل في الطُّرقات، وصبغ الوجه بالمساحيق، والنَّمْص.

لذلك كان التَّبرُّج والسُّفور من أخطر الأمراض الاجتماعية علىٰ المجتمع المسلم، وذلك للأسباب التاليَّة: ـ

١ـ لأنه معصية لله ورسوله، وكبيرة من كبائر الذنوب:

والتَّبرُّج هو: إبداء المرأة لزينتها، وإظهار وجهها ومحاسن جسدها للرجال، مما تشغل به شهوتهم حتىٰ التكسُّر والتبختر في مِشيتها يعدُّ من التَّبرُّج ما لم يكن للزوج، وكذا لبس الملابس الشفَّافة أو الضيقة أو ثياب الشهرة من غير خجل ولا حياء، وأصل التبرُّج: التكلُّف في إظهار ما يخفىٰ من الأشياء، ومادة (تبرَّج) تدل علىٰ الظهور والانكشاف، ومنه بروج مشيَّدة، وبروج السماء.

وقيل: التَّبرُّج هو كل زينة تقصد المرأة إظهارها لتحلوَ في أعين الرجال الأجانب عنها (١).

• ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله وقع في المعصية، ومن يَعص الله ورسوله فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣].

وتبرُّج الجاهليَّة الأولىٰ من الكبائر المهلِكة، ومن جَثىٰ جهنم.

(١) راجع: لسان العرب (٣/٣٣)، القاموس المحيط (١/١٨٧)، المعجم الوسيط (١/٤٦).

• وعَنْ عَبْدَ الله بْنِ عَمْرٍو، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ، الْعَنُوهُنَّ؛ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ }**(١).

فانظر إلى مخاطر هذا التَّبرُّج: -

• أنه من مظاهر الجاهليَّة الأولى.

• أن عليه لعنة الله ولعنة أهل الصلاح، واللَّعن هو: الطَّرد من رحمة الله ﷻ.

• أنه من صفات أهل النار: لحديث **{ صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا.. }**(٢).

• يقول الأستاذ محمد أديب كلكل في كتابه: «حكم الإسلام في النظر»:

«إن المستبدِّين من الحكَّام يشغلون الشعوب عادة بما يقوِّي الشهوات ويزيِّنها، ويُلهي الناس بالمتاع الشخصي عن مراقبة القضايا العامَّة، لكي يبقوا سادرين في غفلاتهم، غارقين في شهواتهم، لا يهتمون بطغيان، ولا يسألون عن انحراف، ولا يقاومون ظلمًا ولا عدوانًا».

٢ـ التَّبرُّج سواد وظلمة يوم القيامة: كما ورد: **{ مَثَلُ الرَّافِلَةِ فِي الزِّينَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا نُورَ لَهَا }**(٣) والرَّافِلة: هي التي تتمايل في المشي، وتتبختر في ثوبها بين من يحرم نظره إليها.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٣٣١)، وقال: لا يُرْوَى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به عبد الله بن عياش، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٤١١) (٢٦٨٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي أبواب الرضاع، ب: ما جاء في كراهية خروج النساء في الزينة، ح (١١٦٧) عن ميمونة بنت سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وقال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه، إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعَّف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق، وقد روى عنه شعبة والثوري، وقد رواه بعضهم، عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه. وضعَّفه الألباني في جامع الترمذي (٣/ ٤٧٠) (١١٦٧).

قَالَ الدَّيْلَمِيُّ: يُرِيدُ الْمُتبَرِّجة بِالزِّينَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا [(١)].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «هذا الحديث ذكره الترمذي وضعَّفه، ولكن المعنى صحيح، فإن اللَّذَّة في المعصية عذاب، والراحة فيها نصَب، والنور فيها ظلمة، والطِّيب نتنٌ، وعكسه الطاعات، فخُلوف فمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ودم الشهيد اللون لون الدم، والعَرْفُ عَرف المسك» [(٢)].

٣ـ والتَّبرُّج متوافق مع النفاق، لأن العمل إما أن يكون لله عَزَّوَجَلَّ فيكون وقتئذ موافقًا لمراده الذي أنزله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما أن يكون لغير الله تعالى، فلا يمكن التعبُّد به لله تبارك وتعالى. فالمتبرجة قد تكون مع المتدينة متدينة، ولكنها في الحقيقة مع أهل الدنيا قلبًا وقالبًا.

وإذا سألت المرأة المتبَرِّجة لمن ترتدين هذا الزيَّ؟! فإن قالت لله، فقد كذبت لأن الله تعالى لم يأمر به، بل نهى عنه، إذن هو لغير الله تعالى بلا أدنى شكٍّ.

• والتَّبرُّج من خيانة الأمانة، ومن صفات المنافق: **{ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }** [(٣)]، والله تعالى قد حمَّلنا هذه الأمانة، وكلَّفنا بإقامة الدِّين، والأمانة، ومنها الطاعة والحِجاب؛ فالحِجاب من التكاليف الشرعيَّة التي حمَّلنا الله إياها، وأمرنا بها.

• وفي الحديث: **{ خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ، الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ**

---

(١) انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٣٢٩/٤).

(٢) انظر عارضة الأحوذي (١١٤/٥).

(٣) أخرجه البخاري ك: الإيمان، ب: علامة المنافق، ح (٣٤) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ }(١).

والمسلم الحقُّ يريد الله تعالىٰ والدار الآخرة، وإرادة الله ﷻ تستوجب تحقيق مراده، والرغبة فيه حتىٰ يتحقَّق رضى الله تعالىٰ عنه.

فالمرأة المحجَّبة: هي التي تريد بحجابها موافقة مراد الله، والحرص علىٰ نيل رضاه، ولا ترتديه من أجل شهرة، أو رغبة في نكاح رجل صالح، أو نيل مصلحة دنيويَّة، أو تلفت الأنظار إليها، فكلُّ ذلك يُخرِجها عن دائرة الإخلاص لله تعالىٰ، وبقع بها في دائرة الرِّياء والنفاق.

٤ـ والتَّبرُّج من حبِّ إشاعة الفاحشة، لأن المرأة عورة، وكشف العورة فاحشة ومقت، والشيطان هو الذي يأمر بها.

قال تعالىٰ: ﴿ **ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ** ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩** ﴾ [النور].

فما التَّبرُّج إلا لفت أنظار الرجال إلىٰ جمالها ولباسها، لتنال ثناءَهم أو إعجابَهم، ولتتفاخر به بين صواحبها، وهذا من تزيين الشيطان لها.

ويكفي قولُ النَّبيِّ ﷺ: { **ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ فَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ آبِقٌ مِنْ سَيِّدِهِ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا**

---

(١) أخرجه البيهقي ك: النكاح، ب: استجاب التزويج بالودود الولود، ح (١٣٤٧٨) من حديث أبي أذينة الصدفي المصري، وقال: وروي بإسناد صحيح، عن سليمان بن يسار، عن النَّبيِّ ﷺ مرسلًا إلى قوله: «إذا اتقين الله».

زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ }(١).

ويكفي لكونه فاحشة حرصُ عدوِّ الله «إبليس» - نعوذ بالله منه - علىٰ كشف السوءات، وهتك الأستار، وإشاعة الفاحشة. قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فإبليس رائد الدعوة للتبرُّجِ وكشف العوارت، وهو الداعي الأول والزعيم لشياطين الجن والإنس الداعين إلىٰ تحرير المرأة من قيد الدِّين والحِجاب والستر والصيانة والعفاف.

٥ـ والتَّبرُّج من سنن اليهود والنصارى: ولقد حذَّر الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التشبُّه بالكفار، وسلوك سبيلهم، فهو سبيل غير المؤمنين، وقد نهانا الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء].

٦ـ والتَّبرُّج من سنن الجاهليَّة الأولى: قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقد وصف النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوىٰ الجاهليَّة بأنها مُنتِنة أي: خبيثة، وأمرَنا بنبذها، وتبرَّأ من كل مَن يدعو بها في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ }**(٢).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ }**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣) من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والحاكم في المستدرك، ح (٤١١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٥٨) وصحيح الترغيب والترهيب ج٢ رقم (١٨٨٧)، والسلسلة الصحيحة (٨١/٢٠) رقم (٥٤٢).
(٢) أخرجه البخاري ك: الجنائز، ب: ليس منا من ضرب الخدود ح (١٢٩٧) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: { **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** }(١).

فلا يجوز لمسلم ولا لمسلمة أن يُعظِّم شيئًا من أمر الجاهليَّة بل يضعُها تحت قدمه، كما وضعَها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله في حَجَّة الوداع يوم عرفات: { **أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ** }(٢).

فكل أمور الجاهليَّة يجب أن تكون عند المسلم والمسلمة محقَّرة ينكرها ويتبرَّأ منها، سواء كانت: (ربا الجاهليَّة، أو تبرُّج الجاهليَّة، أو حكم الجاهليَّة، أو ظنَّ الجاهليَّة، أو دعوى الجاهليَّة، أو حميَّة الجاهليَّة وثأرها).

٧ـ والتَّبرُّج مخالف للفطرة الرِّبانيَّة: فاللِّباس وستر العورة، زينة للإنسان وسِتر لعوراته البدنيَّة، كما أن التقوى لباس وستر لعورة الروح وعوراته النفسيَّة.

والتَّبرُّج والسُّفور من الأمور التي تتناقض مع التقوى، والإيمان، والحياء، والعفاف، والفطرة السليمة، وتكريم الله تعالى للإنسان.

• والعُرْي فطرة حيوانيَّة، ولم تزل الحيوانات في انكشاف منذ خُلِقت، بعكس الإنسان، وهذه الفطرة الحيوانيَّة لا يميل الإنسان إليها إلا وهو يرتكِس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان.

• **إن من يَرى العُري والتكشُّف جمالًا هو منتكس في الذوق البشري، ومؤشِّر واضح على التخلُّف والرجعيَّة عن الفطرة الصحيحة التي خُلِق عليها آدم.**

حيث بدأ الإنسان حياته عاريًا، ثُمَّ رأى أن يستر جسمه بأوراق الشَّجر، ثُمَّ بجلود الحيوانات، ثُمَّ جَعَل يترقَّى في مدارج الحضارة حتى اكتشف الإبرة،

---

(١) أخرجه البخاري ك: التفسير، ب: قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ح (٤٩٠٥)، ومسلم ك: البر والصلة والآداب، ب: نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ح (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم ك: الحج، ب: حجة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (١٢١٨) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وابتدع الحياكة، فاستكمل ستر جسمه، وهكذا كانت نزعة السِّتر وليدة التقدُّم، فكلُّ زيادة في هذا التقدُّم كانت مؤدِّية إلى زيادة الحشمة، وكلُّ خلل في كمال السِّتر عنوان التخلُّف والرجعيَّة، وآية ذلك أن المتخلِّفين في أواسط أفريقيا عُراة، وحين تشرق عليهم شمس الإسلام يتسارعون إلى الاحتشام.

يقول الشيخ مصطفى صبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **لا خلاف في أن السُّفور حالة بداوة وبداية في الإنسان، والاحتجاب طرأ عليه بعد تكامله بوازع ديني أو خُلُقي يَزَعُهُ عن الفوضى الجنسيَّة، ويسدُّ ذرائعها ويتناسب الحِجاب مع الغَيْرَة التي جُبِل عليها الإنسان، ويوافق الطبيعة من ناحيته الأخرى، إلا أن الغَيْرَة غريزة تستمدُّ قوَّتَها من الرُّوح، والتحرُّر عن القيود في المناسبة الجنسيَّة تستمدُّ قوَّتَها من الشَّهوة الجسمانيَّة، فهذه تُغري بالسُّفور، وتلك تبعث على الاحتجاب، وبين هاتين الغريزتين تجافٍ، وتحارب يجريان في داخل الإنسان** »[1].

٨ ـ والتَّبرُّج بابُ شرٍّ مستطير، وأحد أهم أعراض ضعف الأمَّة وهوانها.

ومن أعراض التَّبرُّج والسُّفور في الأمَّة المسلمة: ـ

• جَعْلُ المرأةِ سِلْعةً في سوق النِّخاسة العالمي (فتاة غلاف، إعلان تجاري، بائعة لجذب الزبائن، وغير ذلك كثير).

• الإعراض عن الزواج بسبب شيوع الفواحش، وسهولة الزِّنا، وسيطرة الشهوات.

• انعدام الغَيْرَة وذهاب الحياء أدراج الرياح.

• كثرة الجرائم وتعدُّدها وتنوُّعها.

• إضاعة الأوقات لدى الشباب والرجال، وكذلك إضاعة الثروات في اللهو الباطل، وهو ثروة الأمَّة، وعماد نهضتها.

---

(١) « قولي في المرأة » لشيخ الإسلام مصطفى صبري (ص ٢٤، ٢٥).

• تحطيم الروابط الأسريَّة، وانعدام الثقة بين أفرادها، وكثرة الطَّلاق والخلع والقضايا أمام المحاكم.

• انتشار الأمراض بسبب ظهور الفواحش، كما في الحديث:{ **يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ...**}(١).

• تسهيل معصية زنا العين، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ **إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ ...**}(٢)، وتعسير طاعة غضِّ البصر الذي أمر الله تعالى به عباده المؤمنين والمؤمنات في سوة النور.

٩ـ التَّبرُّج باب فتنة عمياء من لوازم التَّرَف والتقدُّم والماديَّة؛ مما قد يجعل الأمَّة مستحقَّة للعقاب الإلهي الجماعي. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦** ﴾ **[الإسراء]**.

وفي الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ** }(٣).

وفي رواية عند أبي داود: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ **مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه ك: أبواب الفتن، ب: العقوبات، ح (٤١٠٩) عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٧٨) وسنن ابن ماجه (٤٠١٩) وفي السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري ك: القدر، ب: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ ﴾ ح (٦٦١٢)، ومسلم ك: القدر، ب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا، ح (٢٦٥٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد، ح (١) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٤)، وسنن ابن ماجه، (٤٠٠٥).

ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ }(١).

١٠ـ والتَّبرُّج له أثر كبير على الشخصيَّة وسلوكها، لأن الزيَّ له تأثير كبير على الطِّباع والشخصيَّة والسُّلوك، ألا ترى الرجل الذي يرتدي الزيَّ العسكريَّ! فشخصيَّته وسلوكه مختلف عن الرجل الطبيب الذي يرتدي رداء الطبِّ الأبيض، ولا يتساوى مع القاضي على منصَّة القضاء وهو يرتدي رداء القضاء، ولا مع العامل الذي يرتدي رداء العمل، وهكذا تأثير الزيِّ على النساء كذلك، فالمتبَرِّجة لها سلوك وطباع ونمط حياة قد تختلف تمامًا أو كثيرًا عن سلوك المحجَّبة وطباعها ونمط حياتها.

• والحِجاب له أثر كبير على الأخلاق والسلوكيَّات وحتى التعاملات، والعبادات، وله أثر هامٌّ في إظهار شعائر الإسلام، والاعتزاز بهويَّته، وهو الذي يجمع المؤمنات في بوتقة واحدة تمثِّل نسيجًا هامًّا في جسد الأمَّة المسلمة.

• كما أن للحجاب تأثيرًا كبيرًا في حياة الفتاة المسلمة وسلوكها واختيار أسلوب حياتها وشريكها في المستقبل.

• فالحِجاب عزَّة إيمانيَّة، ورفعة وعلوٌّ وشموخ وإباء وشَمَمٌ ومَكرمة، وهو عبادة لكل مسلمة، وجزء لا يتجزَّأ من كيانها، تتعبَّد به ربَّها جَلَّ وعلا، وتتقرَّب إليه به، ولا ترجو من أحد جزاءًا ولا شكورًا عليه، لم تفعله بطرًا ورئاء الناس، بل فعلته ابتغاء مرضاته ﷻ، خالصًا لوجه الكريم بعزيمة صادقة ورؤية واضحة لا غِبَش فيها ولا سراب.

❁❁❁

---

(١) أخرجه أبو داود ك: الملاحم، ب: في الأمر والنهي، ح (٤٣٣٨) عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، ح (٥٧٤٩)، والسلسلة الصحيحة.ج٧ رقم (٣٣٥٣).

وقفة
(أفضل العبادات)

• قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية » أي: لا يقدره حقَّ قدره إلا من أدرك الفارق بينه وبين الجاهلية .

« كيف تأتَّى للأمَّة التي ارتفعت إلى تلك القمم الشاهقة التي لم تسبقها إليها أمَّة في التاريخ، ولا أدركتها بعدها أمَّة في التاريخ، أن تتدنَّى إلى هذا الدَّرك من الضياع والذل والهوان والهبوط المُسِفِّ الذي وصلت إليه اليوم، والذي لا تكاد تُدانيه أمَّة في الواقع المعاصر » ، وفي الحديث: { إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ }(١) .

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: « إِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الْعَمَلُ عَلَى مَرْضَاةِ الرَّبِّ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ مُقْتَضَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَوَظِيفَتُهُ، فَأَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ فِي وَقْتِ الْجِهَادِ: الْجِهَادُ، وَإِنْ آلَ إِلَى تَرْكِ الْأَوْرَاد، وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ حُضُورِ الضَّيْفِ مَثَلًا الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْأَفْضَلُ فِي أَوْقَاتِ السَّحَرِ الِاشْتِغَالُ بِالصَّلَاةِ وَالْقُرْآنِ، وَالدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْأَفْضَلُ فِي وَقْتِ نُزُولِ النَّوَازِلِ وَأَذَاةِ النَّاسِ لَكَ أَدَاءُ وَاجِبِ الصَّبْرِ ، فَالْأَفْضَلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ إِيثَارُ مَرْضَاةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَالْحَالِ، وَالِاشْتِغَالُ بِوَاجِبِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَوَظِيفَتِهِ وَمُقْتَضَاهُ» **مدارج السالكين (١/١٠٩-١١٠) بتصرف.**

---

(١)أخرجه أبو داود ك: البيوع، ب: في النهي عن العينة، ح (٣٤٦٢) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

❁❁❁

السؤال الثامن والعشرون: ما هي شروط الحِجاب الشرعي؟

• **الحِجاب الشرعي**: هو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، وفِعْلُ آل بيت النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكرام والصحابيَّات الجليلات، وما وضَّحه علماء الأمَّة وبيَّنوه من شروطه، ومن هذه الشروط: ـ

• أن يكون سابِغًا وساتِرًا لجميع بدن المرأة.

• ألا يكون زينة في نفسه تلفِت الأنظار إليه، ومن الزينة كذلك وضع المساحيق والأصباغ وما يُسمَّى بالمكياج.

• ألا يكون شفَّافًا يصِف ما تحته، أو ملاصِقًا للجسم يجسِّم أعضاءه البارزة، بل يكون فضفاضًا واسعًا.

• ألا يكون مُعطَّرًا أو مبخَّرًا.

• ألا يشبه لباس الكافرات أو الراهبات أو يكون لباس شهرة.

• **وقد وضعت كل هذه الضوابط والشروط لحجاب المرأة المسلمة حتى لا تكون فتنة لنفسها، فتقع في العُجب والغرور؛ فتَهْلِكَ وتُهْلِكَ، وحتى لا تكون فتنة لغيرها تحرِّك فيه داعية الشَّهوة، فيشتهيها مَن لا حقَّ له فيها.**

• وقد يكون هذا الحجاب بهذه الشروط والمواصفات غريبًا على بعض الناس اليوم، فإن كان كذلك فهو من النبوءات التي أخبر عنها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: { **بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** }(١).

---

(١) أخرجه مسلم ك: الإيمان، ب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ح (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية أخرىٰ عند الإمام أحمد في مسنده فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: { نَاسٌ صَالِحُونَ فِي نَاسِ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ }(١).

• وقد يشعر المسلم والمسلمة بالغُربة في هذا الزمان ليس في ديار الكفار فحسب، بل في ديار المسلمين، حيث يشعر بغُربة في الفكر والسُّلوك والأخلاق والتعاملات والمظهر، ولكنه يشعر من خلال هذه الغُربة بالسعادة لتميُّزه بالحقِّ والصدق والصواب، وأنه علىٰ الطريق المستقيم، ولقد قالوا: إن لم تكن متميِّزًا فستختفي وسط الزحام.

فما أجملَ وأروعَ التميُّزَ بهذا الدِّين: التمَيُّز بالأمانة، حيث عدِمها كثير من الناس، والتمَيُّز بالصدق حيث فقده كثير من الناس، والتمَيُّز بالوفاء بالعهد والوعد، وعدم الغرور، وعدم الفجور عند الخصام.

• إن هذه الغُربة بالإسلام هي التوازن الذي فقده كثير من الناس فحلَّ بهم القلق والتردُّد والشكُّ واليأس والقُنوط وضيقُ الصدر.

• غُربةٌ وتميُّزٌ بالحِجاب واللحية اللتين يغتاظ منهما اليهود والنصارى ومَن شايَعهم من المنافقين والعَلمانيِّين أصحاب المصالح والأهواء.

• غُربةٌ وتميُّزٌ في الأخلاق والعطاء والعبادة الخالصة.

• غُربةٌ وتميُّزٌ في ترك التعامل بالرِّبا، وعدم الغِشِّ في القول والفعل، فلا نَجْشَ ولا شهادة زور ولا رِشوة ولا سرِقة ولا احتكار ولا استغلال ولا أكل لأموال

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٧٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٣/٤)، ح (١٦١٩).

الناس بالباطل في زمن الماديَّة واستغلال الناس بعضهم بعضًا.

• تميُّزٌ في الرجوع إلىٰ كتاب والسُّنَّة عند الشِّقاق والخلاف والنزاع.

• فما أروعَ هذه الغربةَ وما أجملَها إن كانت لله ﷻ، وفي سبيل الله تعالىٰ، ومن أجل المحافظة علىٰ الهُويَّة الإسلاميَّة التي أرادها الله لنا، ومن أجل التمسُّك بصبغة الله تعالىٰ لنا. قال تعالىٰ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة].

• إنه التمَيُّز بالحِجاب والسِّتر والعفاف والفضيلة، تميُّزٌ عن سائر النساء في عُرِيِّهم الفاضح علىٰ الشواطئ وفي النوادي الملاهي والأسواق وفي الجامعات المختلطة.

ففي البَحْرِ سَوءاتٌ وفي البَرِّ مثلُها * فيَا ضيعةَ الأخلاقِ في البرِّ والبَحْرِ**

• تميُّزٌ للمرأة المحجَّبة وعزَّة إيمانيَّة، مما جعلها عِرْضًا مُصانًا، ومخلوقًا يُرحَم.

• تميُّزٌ لها عن اللواتي انخدعْن ببريق الحضارة الزائف، وأرادوا بالهَوَىٰ أن يكون الحِجاب مجرَّد حشمة، فصار أفضل مسمًّىٰ له هو «التَّبرُّج المقنَّع» أو «الحِجاب العَصري»، أو «الحِجاب الموضة»، أو «حجاب التَّبرُّج» الذي يكشف منهنَّ عورات يجب سترُها شرعًا، وهو زينة في نفسه، ضيِّق يصف العورات، ويثير الشهوات لمن يراها في مِشيتِها، وقد يكون شفَّافًا ومعطَّرًا.

❁❁❁

• قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تفسير هذه الآية: « اسْتَقَامُوا وَاللهِ بِطَاعَةِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ »(١). أي لم يَميلوا ويحيدوا عن الشيء إلى غيره.

نسأل الله تعالى السلامة من الرَّوَغان والميل عن شرع الله تعالى، أو اللعب به، أو استحسان شيء بأهوائنا وميولنا.

● ولقد أثار أعداء الحِجاب الإسلامي من المنافقين والمُغرضين والذين في قلوبهم مرض «الشبهات»(٢) لعبًا بالنصوص، وتأويلًا فاسدًا لها.

وصناعة التأويل والتلاعب بالألفاظ أتقنها بنو إسرائيل لنيل عرض من الدنيا قليل، ويتقنها اليوم كثير من المحامين لجمع مزيد من المال الحرام وتبرئة المجرم من الجريمة التي ارتكبها، كما يتقنها اليوم كثير من طلبة العلم الشرعي لينالوا به المناصب الدنيويَّة الفانية.

فالتلاعب بنصوص الأدلة، والتحايل على قواعد الأحكام الشرعيَّة من صفات الفرق الضالَّة والفسَّاق، ليبرِّروا ضلالهم وفسقهم بالشرع المبجَّل، وهذا من مهاوي الضلال.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾** ﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾** ﴾ [الكهف].

❁❁❁

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١١٥)، وابن المبارك في الزهد (١١٠).

(٢) من أراد المزيد في هذا الباب فليراجع كتاب: عودة الحِجاب القسم الثالث د. محمد إسماعيل من ص(٣٣٦ - ٤١٦) حيث أورد سبعة عشرة شبهة، وأحسن وأجاد في تفنيدها والرد عليها.

وقفة
السيف أصدق أنباء من الكتب

• « امرأة هاشميَّة أسرها الروم لما خرج (ثيوفيلوس) امبرطور الروم إلىٰ زبطرة، وسبَىٰ أهلها، وارتكب فظائع هائلة، وهذه المرأة لا تربطها بالخليفة (المعتصم بالله) رابطة سوىٰ أخوة الإسلام، تستنجد به، وتطلقها صيحة يسجل التاريخ دويَّها الضخم (وامعتصماه)».

وما أن بلغت المعتصم هذه الصيحة ـ وكان يأخذ لنفسه شيئًا من الراحة ـ حتىٰ قالها بملء جوارحه «لبيَّكِ» وجهَّز أعظم جيش، وانطلق لتوِّه إلىٰ القتال، وانطلقت معه جحافل المسلمين، وقد ملأت الغَيْرةُ لكرامةِ المرأة نفسَ كلِّ جندي إباء وحماسًا. فأنزلوا بالعدو شرَّ هزيمة، واقتحموا قلاعه في أعماق بلاده حتىٰ أتوا **عَمُّورية** التي ينتسب إليها «ثيوفيلوس» وهدموا قلاعها، وانتبهوا إلىٰ تلك الأسيرة، وفكُّوا عقالها، وكان هذا في رمضان سنة ٢٣٢هـ، وقال لها المعتصم: « اشهدي لي عند جدك المصطفىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أني جئت لخلاصك».

• وكان « أبو تمام » الشاعر المعروف (ت سنة ٢٤٣هـ) مع المعتصم، فلما عاد إلىٰ عاصمته سامراء أنشده أبو تمام هذه القصيدة:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ   في حدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ [١]

---

(١) في حده السيف «الحرب» فاصل بين الرصانة والهزل (الحق والباطل)، فقد كان المنجمون في الرومان قد ذكروا للإمبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب قبل الصيف أي في العام القادم علىٰ ما تقول النجوم، كان كلام المنجمين تخليطًا وكذبًا، والحوادث الفلكية لا تأثير لها في ربح المعارك وخسرانها، ولقد فتحها المعتصم في أوائل الخريف.

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب [1]

ثم مضى في أبياتها حتى قال:

تدبير معتصم بالله منتقم لله، مرتقب في الله مرتغب[2]

وتتوالى أبياته الرائعة حتى قال:

رمى بك الله برجيها فهدمها ولو رمى بك غير الله لم تصب[3]

ثم يقول بعده عدَّة أبيات:

هيهات، زعزعت الأرض الوقور به عن غزو محتسب لا غزو مكتسب [4]

ثم مضى مبدعًا حتى ختمها بقوله:

فبين أيامك التي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب [5]

أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه، وجلت أوجه العرب [6]

---

(١) بيض الصفائح: الحديد المصقول، السيوف: الحرب والقتال لا الصفحات السود (سود الصحائف) المكتوبة بالحبر الأسود: (الرسائل) وهذه الحرب تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب بالحرب لا بالكلام.

(٢) إن الخليفة «المعتصم بالله» (متوكل في ما يعمل على الله) منتقم لله (قد غزا الروم لأنهم نكثوا عهد الله بالسلام)، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف أوامر الله في شيء)، مرتغب: راغب (في هذه الحرب إلى الله) في ما يرضي الله وفي ما يقربه إلى الله.

(٣) رمى بك الله: إن الله سخرك لتهديمها فاستطعت تهديمها، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضًا من أعراض الدنيا أو انتقامًا من عند نفسك لما استطعت ذلك.

(٤) هيهات: ما أبعد ذلك، زعزعت الأرض الوقور به: إن الأرض الثقيلة الثابتة قد ارتجت بعنف تحت أقدام «نيوفيلوس» لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتسابًا في سبيل الله لا تكسبًا للمال.

(٥) أيامك اللاتي نصرك الله فيها في معركة عمورية تشبه يوم معركة بدر (رمضان سنة ٢هـ) أول معارك الإسلام ضد المشركين، أذلت الروم كما بعثت العزة في العرب.

(٦) بنو الأصفر: الروم. والمصفر: المعتل، المريض. كاسمهم: كاسم أبيهم، كابيهم.صفر الوجوه: معتلين (مرض على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه. جلت: بيضت، كرمت، هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر (تسود) وأوجه العرب تبيض.

السؤال التاسع والعشرون: أما آن الأوان؟ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

إن الحِجاب كان أحد أهم مظاهر الإيمان في شتَّىٰ العصور، وعلىٰ الرغم من الخلاف بين بعض الفقهاء حول جواز كشف الوجه والكفَّين أو سترهما، إلا أن حجاب المرأة المسلمة ظل هو الأصل خلال مراحل التاريخ الإسلامي، وما شذَّ عنه إلا أفراد قلائل لا يعتدُّ ولا يحتجُّ بخلافهم أمام إجماع الأمَّة علىٰ مدىٰ العصور الخيريَّة، ومن القرون الأولىٰ حتىٰ القرن الثالث عشر الهجري.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يزل الرجال علىٰ مرِّ الزمان مكشوفي الوجوه، والنساء يخرجن منتقبات»(١).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسْتِمْرَارُ الْعَمَلِ عَلَىٰ جَوَازِ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْأَسْفَارِ مُنْتَقِبَاتٍ لِئَلَّا يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحِجاب مختصٌّ بالحرائر دون الإماء، كما كانت سُنَّة المؤمنين في زمن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفائه، أن الحرَّة تحتجب، والأمَة تبرز»(٣).

- ولقد أجمع العلماء علىٰ وجوب احتجاب النساء عن الرجال الأجانب، وأنه

---

(١) إحياء علوم الدِّين (٤/ ٧٢٩).
(٢) فتح الباري (٩/ ٣٣٧).
(٣) تفسير سورة النور (٥٦).

من صلب الإيمان.

وَقَالَ ابن المُنْذِرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَلْبَسُ الْمَخِيطَ كُلَّهُ وَالْخِفَافَ وَأَنَّ لَهَا أَنْ تُغَطِّيَ رَأْسَهَا وَتَسْتُرَ شَعْرَهَا إِلَّا وَجْهَهَا فَتَسْدُلُ عَلَيْهِ الثَّوْبَ سدلًا خَفِيفًا تَستَتِرُ بِهِ عَنْ نَظَرِ الرِّجَالِ وَلَا تُخَمِّرُهُ»(١). وهذا يقتضي أن غير المُحرمة مثل المُحرِمة فيما ذكر، بل أولىٰ.

• بل إن علماء المذاهب الأربعة متَّفقون علىٰ وجوب تغطية المرأة جميع بدنها عن الأجانب، سواء منهم من يرىٰ أن الوجه والكفَّين عورة، ومن يرىٰ أنهما غير عورة لكنه يوجب تغطيتهما عند الفتنة وفساد أكثر الناس، ورقَّة دينهم، وعدم تورُّعهم عن النظر إلىٰ المرأة.

• ولقد رفع الله تعالىٰ الحرج عن المرأة في كشف وجهها عند الخِطبة (خِطبة الزواج)، وعند التداوي إذا تعذَّر وجود طبيبة مسلمة، مع تحرِّي الطبيب الثَّبْتِ الثقة العدل التقيِّ دون خَلوة، ولا ينظر الطبيب إلا بقدر الحاجة، وكذلك عند القضاء والشهادة للتأكد من هُويَّتِها.

• **أما آن الأوان** أن نخشع لذكر الله تعالىٰ وما نزل من الحقِّ؟!، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

• **أما آن الأوان** - أختي المسلمة - أن تحفظي نفسك من أن تكوني فتنة لمسلم، فينصرف عن ذكر الله تعالىٰ ويترك الصلاة وصراط الله المستقيم لفتنته بك؟!، أما

(١) نقل الإجماع الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٤٠٦).

كان بوسعك أن تجعليه في مأمن من هذا، وتحفظي نفسك من آثام وأوزار ذلك؟!

• كم سيِّئةٍ تحصدينها في اليوم إذا كنتِ سافرة أو متبرِّجة بنظر الرجال والشباب إليك، أما تعرفين خطر إطلاق النظر وكيف أنه سهم مسموم من سهام إبليس يقذف بها في قلب المؤمن؟!

• **أما آن لك** أن ترتقي وترتفعي بمرضاة الله تعالى؟!.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **من التمس رضا اللهَّ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سخط الله عَلَيْهِ وأسخط النَّاس عَلَيْهِ** }[1].

« فسارعي إلى التوبة، ولا تُسَوِّفي، بل قولي كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه]، وقولي كما قال المؤمنون من قبل: ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وأما المعذِرة فهي إلى ربِّنا عَزَّ وَجَلَّ، من:

– هؤلاء المُعرضين الذين سيقولون بلسان حالهم: ﴿ **قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ** ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الشعراء] .

– وهؤلاء المُغرضين المضلِّين الذين تمردوا على أهل العلم، وشذُّوا عن المألوف، وأمروا بالمنكر، ونَهَوْا عن المعروف، أعني أصحاب العقليَّة الورقيَّة التافهة الذين يَتَوَلَّوْنَ اليوم البحث في قضايا المرأة والحِجاب، ويقومون بصياغة

(١) موراد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ح (١٥٤٢٩)، وانظر: الزهد والرقائق لابن المبارك، ح (١٩٩).

الشعارات الاجتماعيَّة التي تتمخَّض كل يوم عن بليَّة لا لَعًا (١) لها، وفتنة - وقَىٰ الله شرَّها - ممثَّلة في تلك الفتاوىٰ المضجعة، المحلولة العِقال، المبنيَّة علىٰ التجري، لا التحري، المؤسَّسة علىٰ الظن، وهو أكذب الحديث، أو الهَوَىٰ، وهو معبود باطل خبيث، ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[الفرقان:٤٣]، يُصدِرها قوم لا خلاق لهم من الصحافيِّين، ومَن أسمَوْهم المفكِّرين، تعجُّ منهم الحقوق إلىٰ الله عجيجًا، وتضِجُّ منهم الأحكام إلىٰ مَن أنزلها ضجيجًا، يُنَفِّرون من النقاب، لا لأن البحث العلمي أدَّاهم إلىٰ أنه مكروه أو محرَّم أو بدعة كما يُرجِفون، ولكن لأنه يشمئز منه مقلِّدوهم من كفَّار الشرق والغرب. فاللهم باعد بين نسائنا وبناتنا وأخواتنا وبينهم كما باعدت بين المشرق والمغرب »(٢).

• قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ ﴾ [البقرة]، والآية تتحدَّث عن فريق من أهل الكتاب (اليهود والنصارىٰ)، إلا أنها تحذير وتنبيه لأمَّة الإسلام حيث يقع فيهم التشبُّه بهم، كما أخبر الصادق المصدوق نبيُّنا محمدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: { لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ } قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: { فَمَنْ }(٣).

---

(١) لعًا – كعصى – كلمة يراد منها الانتعاش من العثرة، يقال في الدعاء للعاثر: لعًا له، وفي الدعاء عليه: لا لعًا له.

(٢) عودة الحِجاب القسم الثالث، محمد إسماعيل المقدم، ص (٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم ك: العلم، ب: اتِّباع سنن اليهود والنصارى، ح (٢٦٦٩).

حتى وقع ما أخبر به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجود نفرٍ من المسلمين يسمع كلام الله ويحرِّفه بعد ما عقله ووعاه، بل وأقام الحُجَّة على نفسه في مؤلَّف له أو فتوى أو محاضرة، ثم يُغيِّر كلام الله، ويُبدِّل ما قاله وما كتبه بعد حصوله على منصب أو مركز أو مال أو شهرة.

قرأت في كتاب تفسير لأحد أعلام المسلمين في العصر الحديث، وقد قال في اليهود ما قال وهو يفسِّر الآيات في القرآن الكريم التي تحدَّثت عنهم، ثم تولَّى منصبًا كبيرًا فغيَّر وبدَّل ما كتب عنهم، وعالِم آخَر يُفتِي قبل تولِّيه منصب الإفتاء بوجوب النقاب وأهميَّته، ثم بعد أن تولَّى المنصب تسمعه يقول: إن النقاب عادة وليس عبادة.

إنهم يحرِّفون كلام الله بعد ما سمعوه، مقلِّدين ومتشبِّهين بمن غضب الله تعالى عليهم ولعنهم ووصفهم بالضلال المبين.

❁ ❁ ❁

ونحن نقترب من نهاية الكتاب كما يقترب الزمان إلى نهايته نُذكِّر بحقيقة هامَّة أن أهل الحقِّ قلَّة، ولكنهم شامة بين الناس. قال الله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]، وقال أيضًا: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾ **[ص:٢٤]**.

- وأهل الجنة بالنسبة لأهل النار أقليَّة، فمن كل ألف نسمة يدخلون النار، يدخل واحد الجنة، كما دلَّت السنة الصحيحة بذلك.
- فأهل الحقِّ قليلون، لكنهم متميِّزون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.
- وهم أصحاب السعادة وراحة البال في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

• وهم أحقُّ الناس بالأمن وثبات القلب، ورباطة الجأش، وتوحيد القلب في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

• وهم أصحاب الريادة والرفادة والقيادة والزعامة والعلم والأدب، ينالون حبَّ الناس واحترامهم، وإجلالهم والثناء عليهم، ويستمتعون بالجلوس إليهم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

• إنهم حَمَلَةُ الحقِّ، ورسالة الصدق، ووحي السماء الذي انقطع بعد النَّبيِّ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

• هذه القلة المؤمنة الصالحة المتميِّزة هي الفئة التي نجت بفضل الله تعالىٰ من غِواية إبليس حين قال لرب العزَّة تبارك وتعالىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

أخلَصوا لله تعالىٰ في أعمالهم، فلم يُبالوا بنظر الناس إليهم أو كلامهم عنهم، وأخلصهم الله تعالىٰ فجعلهم شامة بين الناس وشارات وعلامات ومنارات لغيرهم ليكونوا عبادًا لله عَزَّوَجَلَّ مخلصين مثلهم.

والاستثناء كما هو معلوم في اللغة يدل على القلَّة وليس الكثرة.

• وهذه القلَّة هي أيضًا صاحبة الميراث في الجنة.

قال تعالىٰ: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم].

• وقال تعالىٰ بعد أن ذكر صفات المؤمنين في صدر سورة «المؤمنون» من الفلاح، والصلاة ذات الخشوع، والبُعد عن اللَّغو والإعراض عنه، وأداء الزكاة، وحفظ الفرج، ورعاية الأمانة والعهد، والمحافظة على الصلاة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون].

• ولقد ذمَّ الله تعالىٰ الكثرة، وجعلها من صفات أهل النار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥﴾ [المدثر].

• يعني مالوا في الدنيا إلىٰ الكثرة، وفضَّلوا الانتساب إليها.

قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تغترَّ بالحقِّ وقلَّة السالكين فيه، ولا تغترَّ بالباطل وكثرة الهالكين فيه».

• إنها سُنَّة الحياة، وسُنَّةٌ من سُنَن الله الكبرىٰ أن يكون أصحاب التميُّز والصلاح والفلاح والذكاء والأدب قلَّةً بين الناس، حتىٰ في أمور الدنيا تجد أن العلماء والفقهاء والمخترعين والأدباء والأطباء والمهندسين والبارعين والتُّجار الناجحين قلَّة في الناس. لكنها قلَّة متميِّزة.

فلا تغترَّ بالكثرة يومًا ما، فإن شخصًا بقدوته وسيرته وتميُّزه بدينه وخلقه وعمله وسلوكه يمكنه أن يؤثِّر في ألف شخص.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦﴾ [الأنعام]. أي: إنما يستجيب من دعاه الله تعالىٰ إلىٰ الحياة الحقُّيقيَّة الطيِّبة والمتاع الحسن في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

❊❊❊

وقفة
(فضل العلم)

• قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ⑨﴾ [الزمر].

عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقولُ: {**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**}(1).

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

{**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**}(2).

والعلم نور من الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يَهديه للعُصاة، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفظي	فأرشدَني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأن العـلـمَ نـــورٌ	ونورُ اللهِ لا يُهدَى لعـاصي

---

(1) أخرجه البخاري ك: العلم، ب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ح (٧١).

(2) أخرجه مسلم ك: الفضائل، ب: بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم، ح (٢٢٨٢).

❁❁❁

السؤال الثلاثون:

ما جزاء من يسخر ممن ترتدي الحِجاب؟

• **الحِجاب والسخرية:** كثير من الأخوات تخشى من ارتداء الحِجاب حتى تنجو بنفسها من السخرية التي قد تقع من جهلة الناس حولها.

لكني أسوق لها المبشِّرات التي ساقها الله تعالى لها في في الكتاب والسنة:

١- قال تعالى على لسان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾ [هود].

فشتَّان بين سخريتهم من نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسبب دعوته لهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ليل نهار، وبين سخريته هو منهم، لكفرهم وعنادهم وإنكارهم لفضل ربهم عَزَّ وَجَلَّ وحقه عليهم، بل وسخريته هو منهم لما يراه من جزاء الكافر المعاند وهم في غفلة لا يرون شيئًا ولا يشعرون، بل عانى منها جميع الأنبياء والرسل. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾** ﴾ [الأنعام].

٢- وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾** ﴾ [البقرة].

وهذه بشرى أن الذي يسخر منك بسبب الدِّين والحِجاب يقع تحت طائلة الكفر، وأن صاحبة الحقِّ تقع تحت طائلة الإيمان والتقوى والرزق الطيب في الدنيا والآخرة.

٣- وقال تعالى مبيِّنًا السبب من أسباب الدخول في النار، والقسوة والشدَّة فيها،

وعدم قبول شفاعة الخزنة ولا مالك، ولا يسمع الله تعالىٰ لهم ولا يكلمهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

فانظر كيف كانت عاقبة الذين يسخرون من الذين آمنوا بسبب إيمانهم، وكيف كانت عاقبة صبر أصحاب الإيمان من الفوز برضوان الله تعالىٰ ورحماته وجنته.

٤- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين].

فتأمَّل وتدبَّر لحال المجرمين وكيف أن حياتهم ضحك ولعب وغمز ولمز، يفتخرون بما يفعلون من استهزاء وسخرية وتعذيب لأهل الدِّين، بل ضلَّت عقولهم، والتبست أمورهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم هم المهتدون وأن أصحاب الدِّين والإيمان «قوم ضالُّون».

لكن السنن الإلهيَّة لا تجعل لهم سلطانًا علىٰ الذين آمنوا، ثم تنقلب الموازين وتكون النُّصرة والغلَبة لأهل الحقِّ عليهم، ثم بسوء خاتمتهم ونهايتهم، ثم يردُّ الله تعالىٰ عليهم الكرَّة: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

فترىٰ أهل الإيمان يضحكون وهم في الجنة علىٰ الأرائك يتنعَّمون وينظرون إليهم وهم في الجحيم، ثم يأتي التساؤل بعد فوات الأوان وحلول الندم: ﴿هَلْ

ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين].

٥- السُّخرية صفة ملازمة لكل إنسان يحمل صفة الفرعونيَّة في نفسه، مما يجعله مكابرًا معاندًا لقبول الحقِّ والهدىٰ. قال قائدهم فرعون عن نبي الله موسىٰ وكليمه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الشعراء].

وقال أيضًا: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر].

وقالها أحد فراعنة مصر في العصر الحديث عند لقائه مع بعض التيارات الإسلاميَّة في إحدىٰ الجامعات المصريَّة، ثم أهلكه الله تعالىٰ كما أهلك فرعون الأول: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الشعراء].

٦- إن الاستهزاء صفة ملازمة للمنافقين، وهي من أسس النفاق، قال تعالىٰ عنهم: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا

جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة]، وقال أيضًا: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[التوبة].

وقال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة].

٧- وفي الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {.. وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لَها بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }(١).

وفي رواية: { إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ }(٢). فانظر إلى خطورة الكلمة التي يَستهزيء بها هؤلاء.

فالإسلام يحثُّ المسلم على صيانة لسانه، فلا يستقلّ ولا يسخر من أي معروف أو عمل خير حتى لو كان قليلًا.

٨- وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى

(١) أخرجه البخاري ك: الرقاق، ب: حفظ اللسان، ح (٦٤٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم ك: الزهد والرقائق، ب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، ح (٢٩٨٨).

مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ }(١).

٩ـ والاستهزاء والسخرية من أسباب الفرقة بين المسلمين، وسبب من أسباب نشوء العداوة والبغضاء، وأخطر ما فيها أن المستهزئ يتحمل وزر من صدَّه عن سبيل الله بسبب كلامه وسخريته، فكان كمن دعا إلىٰ ضلال، والنَّبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: { وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ }(٢).

وفي رواية: «من دعا إلىٰ ضلالة» فكم من مسلمة تركت الحِجاب بسبب استهزاء وسخرية المنافقين والمنافقات، فحملوا وزرَها، وضلَّت في سبيلها بسبب الجهل بكتاب ربِّها عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيِّها صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

١٠ـ والسخرية والاستهزاء من صفات الحاسدين الحاقدين، الضعفاء المارقين، الذين امتلأت بطونهم وانتفخت كروشهم، كما وصفهم النَّبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله : { **وهو يجلس شبعان على أريكته، يقول:....** }، فهي صفة مقبوحة مذمومة من رذائل الأخلاق مذمومة في الكتاب والسنة والأعراف والتقاليد.

فكوني علىٰ ثقة وبصيرة ونور، واعلمي أن الله تعالىٰ قد أضاء لكِ الطريق، ورزقكِ البصيرة فتعرفين الناس من أقوالهم إن كانوا منافقين: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ **[محمد:٣٠]**، فتحذرين من أقوالهم ومن مصاحبتهم، وإن كانوا صالحين فاهتدىٰ بقولهم وتأثَّري بعملهم، فهم علىٰ الصراط فكوني معهم فآخره جنة الفردوس الأعلىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي ك: الإيمان، ب: ما جاء في حرمة الصلاة، ح (٢٦١٦)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم : الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ح (١٠١٧).

وأخيرًا: فإن هذا الاستهزاء وتلك السخرية من البلاء الذي يختبر الله تعالىٰ به العباد، ليعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿ **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾** ﴾ **[العنكبوت]**، وقال بعدها بآيات: ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾** ﴾ **[العنكبوت]**.

- **وهو من البلاء**: لرفع الدرجات والمزيد من الحسنات جزاء الصبر والثبات والاحتساب.
- **وهو من البلاء** للتمحيص، ولتثبيت قلب العبد المؤمن، فلا يبالي بمقولة منافق، ولا معاداة كافر في سبيل الله ﷻ.
- **وهو بلاء** لتكفير السيِّئات ومغفرة الذنوب، فما يصيب المؤمنَ من غمٍّ ولا همٍّ إلا كفَّر الله بها من خطاياه.
- **وهو بلاء** ليرىٰ مدىٰ صبره وقوة تحمُّله للأذىٰ في سبيل الله ﷻ.
- **وهو بلاء** ليشهد به عِزَّ الربوبيَّة وهيمنتَها، وذُلَّ العبوديَّة وانكسارَها، ويشهدَ به سنن الله ﷻ، ويُقِرَّ به علىٰ صدق كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ.
- **وهو بلاء** ينال به محبة الله تعالىٰ. فالله ﷻ إذا أحبَّ عبدًا ابتلاه، فإذا صبر ورضي اصطفاه.
- **وهو بلاء** يشهد به معيَّة الله معه، وتوفيقه له، فإن هداه شرح صدره للإسلام، ونوَّر حياته بالالتزام والاستقامة علىٰ نهج الله تعالىٰ ونهج رسوله ﷺ.
- **وهو بلاء** العزَّة والكرامة، وما يفعله أرباب النفاق ما هو إلا حسدٌ من عند

أنفسهم على الحقِّ الذي مَنَّ الله تعالىٰ به على أصحاب الفضيلة والهدىٰ والنور.

• أما الحِجاب فهو صورة من صور البناء الحضاري للأمَّة المسلمة، وهو دليل علىٰ عزَّتها وشرفها وسؤدُدِها.

والتاريخ يشهد بذلك، فمنذ أن كانت المرأة المسلمة راعية لزوجها وأولادها، سكنًا لهم، لا تخرج إلا محجَّبة، ولا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة، كانت العزَّة والشرف والعلوُّ لأمَّة الإسلام، وانظر لها عندما رفعت الحِجاب منذ دعوة قاسم أمين، وإبرهيم مرقص، وهدىٰ شعراوي، واجتماعهم في كنيسة إبان الإحتلال الصليبي لمصر، وقرروا إقامة مظاهرة رفع الحِجاب وحرقه، ومنذ ذلك التاريخ وأمَّة الإسلام في الانحدار، تُحتلُّ أراضيها، ويُفرَّق بين شعوبها، وتستورد طعامها وشرابها، وهي الغنيَّة بثرواتها وأموالها وأراضيها ورجالها، ولكنه الذلُّ والهوان الذي كتبه الله تعالىٰ علىٰ من عصاه، وكما قيل: والله إن علت مناصبهم وكثرت أموالهم، وامتطوا القصور وركبوا أحدث السيارات فإن ذُلَّ المعصية لا يزال في رقابهم، ويأبىٰ الله إلا أن يُذِلَّ مَن عصاه.

❁❁❁

• والحِجاب (الجِلباب والخِمار) ليس من الغلوِّ أو التطرُّف، إنما الغلوُّ في التَّبرُّج والسُّفور، فالمرأة ـ المتبرِّجة ـ السَّافرة إنما تتغالىٰ في دور العقل وتستحسن بعقلها ما تفعله، وإن خالف قولَ الله وقولَ رسوله، وتتأوَّل كلام الله وكلام رسوله بما يتوافق مع عقلها وثقافتها وبيئتها، كأن الوحيَ المتمثِّل في الكتاب والسنة لا أهميَّة له ولا ضرورة عندها في ظل فهم منحرف، وعقل ضالٍّ.

نَسِيَتْ وتناسَت أن مجال العقل: الطبيعة من علوم الكمياء والطبيعة والطب

والأحياء والفلك والجيولوجيا والزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من العلوم المادِّيَّة، أما ما وراء المادة من: غيبيَّات وتشريعات وأحكام وعقائد وعبادات وحلال وحرام وقصص فلا مجال للعقل فيه سواءً بالتعديل أو بالقياس، فالعقل السليم ليس له إلا الاستسلام والإذعان لأمر الربِّ الجليل، وأن يتلقَّى تعاليمه بقلب راضٍ، وعقل ناضج، ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ فهذا حال المؤمنين الراشدين الذين حبَّب الله تعالى إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان؛ فكانوا من الراشدين.

- كوني - أختاه - مع الفريق الذي ناداه الله ﷻ ﴿**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**﴾ [الأحزاب:٣٢]. نساء فوق القمة. فكوني منهن ومعهن، تفوزي بخيري الدنيا والآخرة.

- **اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أضام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك... آمين.**

❁❁❁

هذا والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

وكتبه

أسامة بن محمد بدوي البراجة

غرة شهر ربيع الثاني من عام ١٤٣٧ من الهجرة النبوية.

❁❁❁❁❁

وقفة
(خطر المستغربين)

تقول الأستاذة «سلوى عبد المعبود» [مجلة منار الإسلام الإماراتية]:

«• الأسرة المسلمة تتعرَّض منذ قرابة قرن من الزمان لحرب مخطَّطة مدروسة ضروسة منظَّمة، يقف وراءها خبراء في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع يدعمون الأعداء في حربهم للإسلام .

• وقد كان دافع الأعداء للاتجاه بسهامهم المسمومة تلك إلى المرأة المسلمة دافعًا جوهريًّا ليخلصوا إلى زحزحة الأسرة كلها عن العقيدة، وتشجيعها على الانفلات من أحكام الدِّين .

• هل يجوز لنا أن نبتعد بهؤلاء المثقَّفين «المغتربين» عن صفة «العمالة» ونكتفي بوصفهم بجهل الإسلام؟!

• هل يجوز وصف أساتذة في الجامعات، وأطباء وأدباء مشهورين، وعلماء اجتماع ذائعي الصيف بالجهل بالإسلام؟!

• هذه الفئات المغتربة تنقل مفاهيم وعادات الغرب النصراني إلينا في ديار المسلمين مستترة وراء التقدُّم وادِّعاء الحضارة، وفي الوقت ذاته هي تسخر من التشريع الإسلاميِّ، وتهزأ بالقيم الإسلاميَّة تحت دعوَى: التخلُّف والرجعيَّة فكانت النتيجة ضياع قدسيَّة العقيدة في نفوس الأجيال المسلمة، وزعزعة مكانة التشريع الإسلاميِّ في القلوب والحياة، فيسهل سقوط المجتمع تحت السيطرة العقليَّة والنفسيَّة للأعداء ... وهذه أول خطوات الهزيمة .

• إن هدف المستغربين والعائدين إلينا كأبواق دعاية للغرب، وهم يعرفون تمامًا أن الهدف هو: سلب الهُوِيَّة الإسلاميَّة دون ضجيج ... وقتل الانتماء للإسلام دون إثارة للانتباه .

• يقول: « إدوارد مورتيمر » في صحيفة « الفاينانشال تايمز » اللندنية تحت عنوان : الإسلام والغرب والعلم: « إن الاستعمار المباشر قد زال، ولكن قد حلَّ محله الآن ما هو ألعن منه وهو الاستعمار غير المباشر، باستخدام أشخاص مقنَّعين بقناع الوطنيَّة أو الدِّين أو باسمهما معًا » .

• «لقد نجح الغزو الثقافي منذ إسقاط الخلافة في إقامة سبعين جنسيَّة مختلفة، وقد أخذ يصرف الناس رويدًا رويدًا عن رباط العقيدة ويشغلهم داخل حدودهم الوطنية بأزمات الرغيف أو برغبات الجنس أو بشهوات أخرىٰ أو بالترف، وإن عصابات من المستغربين قد انتشرت في أرجاء العالم الإسلاميِّ لا تعرف صلاة ولا صومًا ولا زكاة، ولا تعترف بحلال أو حرام قد أخذت تنخَر في كيان الأمَّة وثوابتها منتهزة الهزائم التي نزلت بنا، ومستغلَّة الفرقة التي نحن فيها، وهي طابور خامس، هذا مع دور الجامعات الأوروبيَّة والأمريكيَّة التي تسعىٰ نحو نفس الهدف، وتستغلُّ أسماء إسلاميَّة للنيل من صميم الإسلام. وقد آن الأوان لنعرف أعدائنا»ا.هـ

• قالوا: من لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث:

(همٌّ لا يغبه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه).

(التاط قلبه: أي التصق، همٌّ لا يغبه: أي ملازم له).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، وكتب التفسير.
- كتب السنة والآثار.
- إبراز الحقِّ والصواب، لصفي الرحمن المباركفوري.
- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم.
- الاختلاف رحمة أم نقمة، للأمين الحاج محمد.
- أدب ونصوص، د. محمد بدر المعبدي.
- إلى الفتاة المسلمة والمسؤولين عنها، لأبي بكر الجزائري.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر.
- حجاب المرأة المسلمة في العصر الجاهلي، د. زينب بيرة جكلي.
- حكم الإسلام في النظر، لمحمد أديب كلكل.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني.
- دلائل الإعجاز، للجرجاني.
- ذمُّ الهَوَىٰ، لابن الجوزي.
- الرسالة، للإمام الشافعي.
- روضة المحبِّين، لابن القيم.

- شرح العقيدة الطحاويَّة للإمام الطحاوي.
- العبرات، للمنفلوطي.
- عودة الحِجاب، د. محمد إسماعيل المقدم.
- الفقيه والمتفقِّه، للخطيب البغدادي.
- قولي في المرأة، لمصطفى صبري.
- لسان العرب، لابن منظور.
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- المصباح المنير، للفيومي.
- من وحي القلم، للرافعي.



فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

نبذة عن الكِتاب

اشتمل هذا الكتاب على عدة مباحث هامة، محورها ما يجب أن تتصف به المرأة المسلمة من الستر والعفاف من خلال العمل بهدي الكتاب والسنة.

وقد اشتمل على المباحث التالية:

- ذمِّ الهوى، والتحذير من لِيِّ النصوص، وعبادة الهوى.
- بيان أثر الزي على كل من الشخصية والسلوك والأخلاق.
- بيان علاقة الزي بالحرية الشخصية.
- بيان منشأ الخلاف بين الحجاب والنقاب.
- بيان معاني الحجاب والتبرج والسفور.
- بيان التدابير الشرعية لمنع وقوع الفواحش.
- بيان مضار وأخطار التبرج والسفور.
- بيان شروط الحجاب الشرعي، ومميزاته.

نبذة عن المؤلف:

- دراسات في علوم الأراضي.
- دراسات عليا (كلية الدراسات العربية والإسلامية).
- له أكثر من أربعين مؤلفًا وبحثًا في العلوم الإسلامية والإنسانية والتربوية.

نبذة عن مكتبة البلد الأمين:

هي مكتبة متخصصة منذ أكثر من ثلاثين عامًا في نشر العلوم النافعة، وَحَلِّ المعضلات، والعمل على توحيد جهود العاملين للإسلام، ورأب الصدع بينهم، والعودة إلى الإسلام الصحيح من نبعه الصافي من غير زَبَدٍ.